اعترافات كيسـنجـر

الأهــرام ينشر الفصــول الكاملة لأخطر كتاب صدر في أمريكا عن حــرب أكتوبر بعنوان (الأزمـة)

نشرتها جريدة الأهرام في الفترة من الخميس ٢ أكتوبر ٢٠٠٣م حتى الأحد ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٣م

خالد داود

١

إسرائيل انـهزمت لولا تدخل أمريكا!

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الخميس ٢ أكتوبر ٢٠٠٣ ـ ٦ شعبان ١٤٢٤هـ

كتاب وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر الذي صدر الأسبوع الماضي في الولايات المتحدة بعنوان "الأزمة: كيفية تفاعل أزمتين كبيرتين في السياسة الخارجية" يتناول بالتفصيل دوره الشخصي في التعامل مع أزمتين من أهم الأزمات العالمية التي لعب دورا محوريًا في تسويتها أثناء عمله كمستشار للأمن القومي ووزير للخارجية مع الرؤساء ريتشارد نيكسون وجيرالد فورد: حرب السادس من أكتوبر والأيام الأخيرة من حرب فيتنام والتي سعي خلالها لتحجيم الخسائر الفادحة التي لحقت ببلاده هناك.

ويعتمد الكتاب الذي يكاد يكون مخصصا بالكامل لحرب أكتوبر فيما عدا الصفحات الخمس والعشرين الأخيرة ـ علي نشر المحادثات الهاتفية للوزير الأمريكي المحنك والمثير للجدل في آن واحد منذ اليوم الأول لاندلاع حرب السادس من أكتوبر وحتي السابع والعشرين من نفس الشهر عام ١٩٧٣ ليكشف بشكل مفصل ما دار في الكواليس السياسية العالمية في إطار محاولات الولايات المتحدة وقف الحرب وضمان عدم هزيمة حليفتها إسرائيل أمام الهجوم المفاجئ والمباغت للقوات المصرية والسورية. ويتضمن الكتاب محادثات أجراها كيسنجر مع رئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير ووزير خارجية مصر محمد الزيات وسفير إسرائيل لدي الولايات المتحدة سيمحا دينيتز وسفير الاتحاد السوفيتي السابق لدي الولايات المتحدة أناتولي دوبرنين والأمين العام السابق للأمم المتحدة كورت فالدهايم وشخصيات أخري كثيرة من ضمنها مساعدوه المقربون في ذلك الوقت. ونظرا لتلاحق أحداث الحرب وسرعتها فلقد اعتمد الوزير الأمريكي المعروف بتأييده القوي لإسرائيل ـ بشكل كبير علي الهاتف لإدارة موقف الولايات المتحدة من هذه الأزمة وخاصة في ظل غياب تكنولوجيا البريد الالكتروني والفيديو كونفرانس أو حتي الفاكس في تلك الفترة.

ولم يكن بالطبع من الممكن الاعتماد علي المكاتبات الرسمية لملاحقة تطورات الحرب المتسارعة.

ويقول كيسنجر في مقدمة الكتاب أن نصوص محادثاته الهاتفية في تلك الفترة كان يقوم بتسجيلها طاقم السكرتارية الخاص به وذلك لكي يتمكن من متابعة الوعود التي تقدمت بها الأطراف المختلفة بجانب تضمين بعضها في المذكرات التي كان يقوم بإعدادها للرئيس نيكسون. والنصوص الأصلية لم تتعرض لأي تعديل منذ كتابتها علي الآلة الكاتبة وقام في العام ١٩٧٧ بإيداعها في مكتبة الكونجرس. وفي العام ١٩٨٠ سلم كيسنجر هذه النصوص لوزارة الخارجية ومنذ العام ١٩٩٧ باتت متاحة لكي يستخدمها قسم الدراسات التاريخية الملحق بها في إصداراته. وفي عام ٢٠٠١ قام الوزير الأسبق الذي لعب دورا شديد الحساسية في حرب أكتوبر من خلال علاقته الوثيقة بالرئيس الراحل أنور السادات بإيداع كل ما لديه من سجلات لمحادثات هاتفية إلي مجلس الأمن القومي وإلي وزارة الخارجية لكي يستفيدوا من محتوياتها والنظر في طرحها للعلن.

ويقول كيسنجر إن المحادثات التي يوردها في كتابه تعكس الجو العام الذي تم فيه اتخاذ القرارات الرئيسية المتعلقة بالحرب ولكنه ينفي أن تكون محاولة للتأريخ لتلك الفترة والتي ستتطلب بالضرورة الاطلاع علي وثائق أخري كثيرة تتضمن محاضر الاجتماعات الرسمية والمذكرات التي تم تبادلها بين الأطراف المختلفة التي لعبت دورا في تلك الحرب. ويتدخل الكاتب بين المحادثات الهاتفية ليورد الخلفية اللازمة لفهم مجراها وكذلك شرح تطورات أخري متعلقة بها مثل الاجتماعات الرسمية التي كانت تعقد في نفس الوقت.

ويشير الكاتب إلي أن حرب أكتوبر تزامنت مع مشاكل داخلية كان يواجهها الرئيس نيكسون في نفس الوقت. ففي نفس اليوم الذي اندلعت فيه الحرب تقدم نائب الرئيس سبيرو آجنو باستقالته لنيكسون في إطار تصاعد أزمة فضيحة ووترجيت. وخلال الأسبوع الثاني من الحرب كان الرئيس السابق مشغولا بالتفاوض مع لجنة التحقيق حول شروط تسليم شرائط تسجيل المحادثات الهاتفية للبيت الأبيض والتي كانت تكشف تورطه شخصيا في الفضيحة. وبينما كان كيسنجر في موسكو في العشرين من أكتوبر للتفاوض مع الاتحاد السوفيتي السابق علي شروط وقف إطلاق النار علي الجبهة المصرية توالي مسلسل الاستقالات من إدارة نيكسون. وفي هذا الإطار لعب كبير موظفي البيت الأبيض ألكسندر هيج دورا مهما كحلقة وصل بين كيسنجر ونيكسون لملاحقة تطورات الحرب.

وفي إطار الأمور المثيرة الكثيرة التي تكشف عنها هذه المحادثات فلقد بدا هناك خلاف واضح بين وزارتي الخارجية والدفاع حول كيفية التعامل مع حرب أكتوبر وهو ما يترك انطباعا بأن هذا الانقسام يبدو تاريخيا مقارنة بما هو عليه الوضع حاليا في إدارة الرئيس جورج بوش الابن والانقسام بين الوزارتين حول كيفية إدارة الاحتلال الأمريكي للعراق. ولكن كيسنجر يحذر القارئ من أنه نتيجة لسرعة تطور الأحداث واعتماده في الأساس علي المحادثات الهاتفية فقد تبدو الخلافات أعمق مما كانت عليه في الواقع. وفيما يتعلق بالأمور المبدئية "كنت أتفق مع وزير الدفاع جيمس شليزنجر بشكل عام ونصل إلي نفس النتائج وإن كان ذلك عبر طرق مختلفة نتيجة لاختلاف المؤسسات البيروقراطية التي كنا نرأسها. وأحد أهم النماذج علي ذلك الجسر الجوي الذي قررنا القيام به لمساعدة إسرائيل وهو ما تكشف عنه صفحات هذا الكتاب.

ولم يفت كيسنجر أيضا أن ينبه القارئ إلي أن وكالة الأمن القومي قد قامت بمراجعة نصوص المحادثات وطلبت إلغاء بعض ما ورد فيها وهو ما أشار إليه في الكتاب بوضع نقاط بين أقواس (.....).

يري كيسنجر أن أزمة الشرق التي أدت إلي اندلاع حرب ١٩٧٣ كانت لها عدة مكونات: الصراع العربي - الإسرائيلي والصراع الأيديولوجي بين الدول العربية المعتدلة وتلك الراديكالية والتنافس بين القوتين العظميين في ذلك الوقت: الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي السابق. ومن أجل الوصول لحل لهذه الأزمة كان لا بد من وضع تلك العوامل الثلاثة في عين الاعتبار. وبعد استعراض مختصر لظروف نشأة إسرائيل وتطورات حرب ١٩٦٧ يقول كيسنجر أن إسرائيل التي لم يكن قد سبق لها العيش أبدا في ظل حدود معترف بها منذ نشأتها في ١٩٤٨ لم تكن تري فارقا كبيرا في أن تكون حدودها عند خطوط ١٩٤٨ أو١٩٦٧.

وفي مواجهة حالة العداء العربي لها في ذلك الوقت فإنها كانت تري في أية أراضي جديدة تتمكن من الاستيلاء عليها حماية لأمنها في مواجهة أي هجمات مفاجئة. ومن ناحية أخري رفض الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الاعتراف بالهزيمة وتبني موقفا حازما عكسته قرارات قمة الخرطوم الشهيرة" لا سلام لا تفاوض لا اعتراف بإسرائيل." وفي العام ١٩٧٠ اندلعت المواجهات في الأردن بين الحكومة الهاشمية ومنظمة التحرير الفلسطينية وهددت سوريا بغزو الأردن ووضعت الولايات المتحدة قواتها في حالة تأهب. "وخلال تلك الفترة بدا العالم العربي منقسما بين المعارضة الأيديولوجية والدينية لوجود إسرائيل والحقيقة العملية أنه ليس بإمكانهم تغيير الأمر الواقع إلا من خلال الطرق الدبلوماسية". وتحركت الدول العربية مثل الأردن ولاحقا مصر بعد وفاة الرئيس عبد الناصر إلي الموافقة علي القبول بإسرائيل في حدود ما قبل ١٩٦٧ ولكنهم اشترطوا عدم القبول بسلام كامل مع إسرائيل إلا بعد التوصل لتسوية بشأن مصير الفلسطينيين.

ولكن الخط الرافض للتفاوض الذي تبنته غالبية الدول العربية في ذلك الوقت وفقا لكيسنجر - هو الذي أدي لإحباط أية محاولات دبلوماسية لحل الصراع مع إسرائيل خلال الفترة بين حربي١٩٦٧ و١٩٧٣.

ويعتبر أن قرار مجلس الأمن الشهير رقم ٢٤٢ كان يعبر بشكل واضح عن الطريق المسدود الذي وصلت له الجهود الدبلوماسية. فهو أشار إلي ضرورة قيام "سلام عادل وشامل" في إطار "حدود آمنة ومعترف بها" ولكنه لم يحدد بالتفصيل هذه الحدود. وفي الوقت الذي رفضت بعض الدول العربية القرار فلقد قبلته دول أخري وكذلك إسرائيل مع احتفاظ كل طرف بتفسيره للقرار وهو ما أدي إلي حالة من الجمود في الجهود الدبلوماسية. فالدول العربية التي قبلت

القرار كانت تصر علي الانسحاب الكامل من كل الأراضي التي قامت باحتلالها عام ١٩٦٧ بينما تمسكت إسرائيل بالقول أن حدودها السابقة لتلك الحرب لم تكن آمنة وبالتالي لا بد من أن تحتفظ ببعض الأراضي التي قامت باحتلالها.

وللتيقن من حماية مصالحها اشترطت إسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ أن تقوم الدول العربية بالتفاوض معها مباشرة أي ضرورة الاعتراف بها كدولة أولا وكشرط مسبق للدخول في أية مفاوضات. ولكن الدول العربية أصرت علي القبول أولا بمبدأ الانسحاب من أراضي ١٩٦٧ قبل النظر في الوسائل الدبلوماسية. "ولم يكن بمقدور أي حاكم عربي مهما بلغت درجة اعتداله أن يقبل بمطالب إسرائيل بالاحتفاظ بالأرض وتحقيق السلام معا ويبقي حيا في مناخ الإهانة والراديكالية والنفوذ السوفيتي الذي كان سائدا في تلك الفترة. كما لم يكن بإمكان أي رئيس وزراء إسرائيلي الاستمرار في منصبه إذا أعلن التخلي عن بعض الأراضي المحتلة كثمن مدفوع مقدما لدخول المفاوضات. واستمرت إسرائيل في مطاردة الوهم أنها بإمكانها مواصلة السيطرة علي معظم الأراضي وتحقيق السلام في نفس الوقت. بينما عاش منافسوها من العرب في ظل وهم مماثل وهو أنه بإمكانهم استعادة الأرض دون تقديم السلام".

وفي هذه الظروف يقول كيسنجر أن مصر أصبحت المدخل لتحريك الدبلوماسية في الشرق الأوسط. "ولقد دعمت عوامل تقنية أخري ما لدي مصر أساسا من حجم وتقاليد وثقافة وتأثير وتضحيات قدمتها في سلسلة من الحروب العربية - الإسرائيلية. ومصر هي أكبر الدول العربية من ناحية عدد السكان وهي المركز الثقافي للمنطقة. ومدرسوها مثلوا العمود الفقري للنظم التعليمية التي تم بناؤها في العالم العربي كما أن تاريخها هو الأطول بعد التاريخ الصيني. وسواء كملكية أو جمهورية فلقد كان لمصر دور يفوق حدود المصالح الوطنية المصرية الضيقة. ولقد قامت مصر بالتضحية بشبابها من أجل أهداف الوحدة العربية وحق الفلسطينيين في تقرير المصير. وخلال هذه المسيرة فقدت شبه جزيرة سيناء وخاطرت بتماسكها الداخلي. لقد استحقت مصر الحق في التوصل إلي سلام".

٢

السادات أذهل الجميع بمفاجأة الحرب

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الجمعة ٣ أكتوبر ٢٠٠٣م - ٧ شعبان ١٤٢٤هـ

كان كيسنجر يستبعد التوصل إلى اتفاق للسلام بين الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وإسرائيل. ويقول إن الرئيس ناصر "أبدى من ناحية استعدادًا عامًا للمشاركة في مسيرة السلام ولكن مع التمسك ببرنامج لم يكن من الممكن تحقيقه. فهو كان يطالب بانسحاب إسرائيل من حدود ١٩٦٧ مقابل إنهاء مصر لحالة العداء مع اشتراط التوصل إلى تسوية إسرائيلية مع الفلسطينيين وفى النهاية المطالبة بتدمير الدولة اليهودية. كما أن ناصر لم يكن ليقبل التفاوض مباشرة مع إسرائيل. فقد كان يطالب أمريكا بحمل إسرائيل على الانسحاب، وفى المقابل كان سيتكرم علينا بالقبول بعودة العلاقات الدبلوماسية بين واشنطن والقاهرة. وفى نفس الوقت فإن راديو القاهرة بقى مركزًا للدعاية المعادية للولايات المتحدة والغرب عمومًا في الشرق الأوسط بأكمله. وباختصار فإن ناصر كان يريد قيادة العالم العربى يتبنى موقف معاد للولايات المتحدة وفى نفس الوقت تصوير أية تنازلات يحصل عليها على أنها نتيجة للمواقف العربية المتشددة وللدعم العسكرى والدبلوماسى الذى كان يقدمه السوفيت. ولم يكن لدى الولايات المتحدة أية مصلحة في اتباع هذا الطريق."

وفى إطار حالة الجمود هذه فإن دور الاتحاد السوفيتى بدا متخبطًا. فمن ناحية أدى تزويد السوفيت للدول العربية بالسلاح إلى زيادة المواقف المتشددة ولكن من ناحية أخرى فإن هذا السلوك أدى فقط إلى تزايد المخاطر ولم يزل العقبات القائمة. كما أن السوفيت كانوا يهتمون في الأساس بإرضاء حلفائهم من الدول العربية مما لم يمكنهم من لعب دور دبلوماسي لحل الصراع أو حتى القيام بدور مستقل. أما الولايات المتحدة فلم يكن من المتوقع منها أن تقوم بمساندة أنظمة راديكالية تقوم بمهاجمتها باستمرار وفى حالة رغبتها في تغيير سياستها فإنها لم تكن لتستعين بالاتحاد السوفيتى السابق كوسيط للتعامل مع العرب.

ويضيف كيسنجر أن الولايات المتحدة لم تكن ترغب أيضًا في الضغط على إسرائيل للقبول بتسوية في إطار الضغوط التي كانت ترغب أيضًا في الضغط على إسرائيل للقبول بتسوية في إطار الضغوط التي كانت تتعرض لها من قبل الدول العربية الراديكالية، وذلك لأن هذا من شأنه ترسيخ القناعة بأن أمريكا لا يمكن التعامل معها إلا من خلال الضغط. "وفى داخل العالم العربى كنا بحاجة إلى تقوية المعتدلين في مواجهة المتشددين والحكومات المعروفة بولائها للغرب بدلا من تلك الموالية للسوفيت وبالتالي رفضنا كمسألة مبدأ تقديم أية تنازلات لمصر ما دام ناصر (أو خليفته السادات بعد ذلك) تبنى مواقف معادية للغرب واعتمد على وجود قوات سوفيتية. كما لم نر أية ضرورة للتقدم بشكل مشترك مع الاتحاد السوفيتى ما دامت مواقف موسكو جاءت متطابقة مع الأنظمة العربية الراديكالية. وكنا على اقتناع بأنه عاجلا أو آجلا أن مصر أو دولة عربية أخرى سوف تقر بأن الاعتماد على الدعم السوفيتى، وتبنى مواقف راديكالية لم يؤديا إلا إلى إحباط آمالهم. وفقط عند هذه النقطة قد يكون لديهم استعداد لإنهاء الوجود السوفيتى (وكنت استخدمت كلمة طرد في تقرير تقدمت به وتم انتقاده في ٢٦ يونيو ١٩٧٠) والنظر في ما يمكن تحقيقه من أهداف. وعندئذ سوف تأتى اللحظة التي يمكن فيها للأمريكيين التقدم بمبادرتهم الرئيسية ومطالبة أصدقائنا في إسرائيل بتبنى مواقف جديدة إذا كان ذلك ضروريًا.

وبعد وفاة ناصر في ١٩٧٠ بدأ الرئيس السادات في التحرك في هذا الاتجاه وإن كان بصورة غير واضحة. فقد استمر في الاعتماد على السوفيت لتوفير العتاد العسكرى وفى نفس الوقت بدأ في حذر في استكشاف البدائل الدبلوماسية. وفى عام ١٩٧١ كانت هناك محاولة من أجل التوصل إلى اتفاق لفض الاشتباك عبر قناة السويس تحت إشراف ممثل

للأمم المتحدة وهو الدبلوماسي السوفيتى جونار يارنج. ولكن فشلت هذه المبادرة لأن إسرائيل لم تكن ترى أية مكاسب من تقديم تنازلات في أعقاب استعانة مصر بنحو عشرين ألف من الخبراء العسكريين الروس على طول القناة، كما لم يوجد لدى الولايات المتحدة أي حافز للضغط على إسرائيل، ولم يكن السوفيت مستعدون لتحدى الولايات المتحدة بشكل مباشر.

وفى ١٩٧٢ قام السادات بطرد الخبراء العسكريين الروس وذلك بعد فشل السوفيت في تحقيق تقدم في قضية الشرق الأوسط بعد قمة عقدها الرئيس نيكسون مع الرئيس السوفيتى ليونيد بريجينيف في موسكو. ولكن الظروف لم تكن مهيأة بعد لتحقيق اختراق. فلقد كانت هناك انتخابات رئاسية في الولايات المتحدة بجانب ضرورة التعامل مع آثار حرب فيتنام وهى القضايا التي تمكنا من تحقيق تقدم في عام ١٩٧٢ وفى العام ١٩٧٣ كان من المنتظر عقد انتخابات في إسرائيل وتعهد نيكسون لرئيسة الوزراء الإسرائيلي جولدا مائير بتأخير تقديم أية مبادرات دبلوماسية حتى يتم عقد هذه الانتخابات في الأول من نوفمبر. وعلى الرغم من ذلك فقد أوضح نيكسون أن الولايات المتحدة سوف تبدأ في القيام بمبادرة دبلوماسية رئيسية بعد ذلك. واستعدادًا لذلك التقيت مرتين مع حافظ إسماعيل المستشار الأمني للرئيس السادات، كما تحدث في نفس هذا الإطار في لقاء عقدته مع وزير خارجية مصر محمد الزيات في الخامس من أكتوبر ١٩٧٣ أي قبل يوم واحد من اندلاع الحرب.

ولكن السادات على الرغم من ذلك أذهل جميع الأطراف بتوجهه للحرب في السادس من أكتوبر. وكان الذهول نتيجة للفشل في التحليل السياسى. فكل التقديرات الأمريكية والإسرائيلية قبل الحرب اتفقت على أن مصر وسوريا تفتقدان القدرة العسكرية لاستعادة الأراضى بقوة السلاح. وما لم يفهمه أحد في البداية أن هدف السادات لم يكن الغزو، ولكن تغيير التوازن في المفاوضات التي كان ينوى البدء فيها. ورأى أن صدمة الحرب سوف تمكن الطرفين مصر وإسرائيل - من إظهار المرونة التي كان من المستحيل إبداءها في الوقت الذى كانت ترى إسرائيل فيه أنها متفوقة عسكريًا بينما كانت تعيش مصر حالة من الإهانات القومية (بعد حرب ١٩٦٧).

والافتراضات السياسية هي عادة التي تحدد لون تقديرات أجهزة المخابرات. وحتى ظهر الخامس من أكتوبر أي قبل أقل من أربعة وعشرين ساعة من وقوع الهجوم قدمت وكالة المخابرات المركزية (سى. آى. إيه) التقييم التالى للرئيس: يبدو أن الطرفين يشعر أن بقلق متزايد من تحركات الطرف الآخر. وقد تكون الإشاعات وتقارير العملاء هي أحد الأسباب وراء زيادة الشعور بعدم الراحة الذى ينمو. ولكن الاستعدادات العسكرية التي تمت حتى الآن لا توحى بأن طرفًا ما ينوى المبادرة بشن عمليات عدائية".

وفى إطار هذه الخلفية اندلعت حرب الشرق الأوسط بشكل غير متوقع في أكتوبر ١٩٧٣.

٣

جولدا مائير تقول للسفير الأمريكي في تل أبيب:

جاء اليوم الذى تواجه فيه إسرائيل مصيرها!

واشنطن: خالد داوود

الأهرام السبت ٤ أكتوبر ٢٠٠٣ ـ ٨ شعبان ١٤٢٤هـ

في السادسة والربع من صباح السادس من أكتوبر ١٩٧٣ كنت نائما في جناحي في فندق ولدورف تاور في مدينة نيويورك حيث أقيم عادة أثناء حضور اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة عندما دخل علي جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية النشيط لشئون الشرق الأدني وجنوب شرق آسيا. وبينما كنت أحاول إجبار نفسي علي الاستيقاظ سمعت صوت سيسكو وهو يصر أن إسرائيل ودولتين عربيتين هما مصر وسوريا علي وشك الذهاب إلي الحرب! ولكنه كان واثقا في نفس الوقت أن الأمر برمته خطأ وأن كل طرف كان يسئ قراءة نيات الطرف الآخر وبالتالي إذا ما تمكنت من الاتصال فورا بالطرفين وأوضحت حقيقة الموقف فإنه قد يكون من الممكن السيطرة علي الموقف قبل أن يبدأ إطلاق النيران. وكانت هذه محاولة إطراء واضحة لقدراتي ولكنها بدت لاحقا مبالغ فيها للأسف.

وما دفع سيسكو لإيقاظي كانت رسالة عاجلة من سفير الولايات المتحدة لدي إسرائيل السيناتور السابق كينيث كيتينج. فقبل ساعتين استدعت رئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير السفير إلي مكتبها في تل أبيب. وكان من غير المعتاد لأي مسئول سياسي إسرائيلي أن يعمل في ذلك اليوم وهو يوم كيبور أحد أكثر أيام قداسة بالنسبة لليهود والمفترض أنه مكرس للصلاة وللتأمل ولتذكير الإنسان بمدي ضآلته مقارنة بالله. وكانت رسالة مائير الواضحة هي أن اليوم الذي ستواجه فيه إسرائيل مصيرها قد بدأ. وقالت للسفير كيتينج "قد نكون في مشكلة". فتحركات القوات المصرية والسورية والتي افترضت إسرائيل والولايات المتحدة أنها مجرد تدريبات أخذت فجأة منحي ينذر بالتهديد. وذكرها كيتينج أنه قبل عشرة ساعة من لقائهما تلقي هو شخصيا تأكيدات من المسئولين في وزارة الدفاع الإسرائيلية بأن الموقف ليس خطيرا. وردت جولدا أن هذا التقييم لم يعد سليما وأن الإسرائيليين مقتنعين الآن بأن المصريين والسوريين علي وشك شن هجوم مشترك في وقت لاحق من مساء ذلك اليوم. وتكهنت مائير أنه مادام العرب متيقنين من أنه سيتم هزيمتهم فإن الأزمة يجب أن تكون قد نجمت عن سوء فهم من طرفهم لنوايا إسرائيل. وطلبت جولدا من كيتينج أن تنقل الولايات المتحدة إلي الاتحاد السوفيتي والدول العربية المجاورة لإسرائيل بشكل عاجل أنها لا يوجد لديها نية لمهاجمة مصر أو سوريا. وأضافت أن إسرائيل سوف تقوم باستدعاء "بعض" قوات الاحتياط ولكن كدليل علي حسن نواياها فإنها لن تقوم بإعلان حالة التعبئة العامة. وسألها كيتينج إذا ما كانت إسرائيل تنوي القيام بضربة وقائية. ولكن جولدا كررت بوضوح أن إسرائيل ترغب في تجنب إراقة الدماء وأنها لن تبدأ في أي حال من الأحوال بشن العمليات العدائية.

وعندما أيقظني سيسكو من النوم كان قد تبقي نحو تسعين دقيقة فقط من السلام أمام منطقة الشرق الأوسط. وتمكنت مصر وسوريا بمهارة كبيرة من إخفاء استعداداتهما للحرب لدرجة أن إسرائيل في هذه المرحلة توقعت بدء الحرب بعد نحو أربع ساعات من الموعد الذي بدأت فيه بالفعل. وكنت أعرف أن أية دبلوماسية لن تفلح إذا ما كان العرب قد اتخذوا قرارهم بالفعل بشن هجوم عسكري. ولكن تقديراتي في ذلك الوقت كانت متأثرة بالتقارير الإسرائيلية المتسقة وكذلك تقديرات أجهزة المخابرات الأمريكية أن مثل هذا الهجوم كان شبه مستحيل تقريبا. ولذلك بدأت علي الفور في فترة عصيبة من الدبلوماسية المكثفة في محاولة لتجنب وقوع صدام وأنا أكثر من نصف مقتنع بأن التحركات المصرية والسورية نجمت عن سوء فهم مصري وسوري للنوايا الإسرائيلية.

وكان أول تحرك قمت به هو الاتصال بالسفير السوفيتي أناتولي دوبرنين وذلك بناء علي طلب رئيسة وزراء إسرائيل. وقمت بإيقاظه من النوم:

السفير السوفيتي دوبرنين وكيسنجر. السبت السادس من أكتوبر الساعة السادسة وأربعين دقيقة صباحًا (الواحدة وأربعين دقيقة بعد الظهر بتوقيت القاهرة)

جولدا مائير تتحدث إلى الرئيس نيكسون.. ترى ماذا تقول له بعد الهزيمة

كيسنجر: لدينا معلومات من الإسرائيليين أن المصريين والسوريين يخططون للقيام بهجوم خلال الست وساعات المقبلة وأن ممثليكم يقومون بإجلاء رعاياكم المدنيين من دمشق والقاهرة.

دوبرنين: السوريون ومن؟

ك: ومصر يخططون للقيام بهجوم خلال ست ساعات.

د: نعم

ك: وأن ممثليكم يقومون بإجلاء بعض رعاياكم المدنيين من دمشق والقاهرة.

د: هم (إسرائيل) طلبوا منك إبلاغنا ذلك

ك: لقد طلبوا منا إبلاغكم ذلك. لقد تلقيت هذه الرسالة للتو من الإسرائيليين.

د: هل هذا هو ما قالوه؟

ك: نعم وهم يقولون أنه إذا كان سبب قيامكم بإجلاء الرعايا هو الخوف من هجوم إسرائيلي فهم طلبوا منا إبلاغكم وإبلاغ العرب أنهم لا يوجد لديهم أية خطط للقيام بهجوم.

د: نعم.

ك: ولكن إذا قام المصريون والسوريون بالهجوم فإن الرد الإسرائيلي سيكون قويا للغاية.

د: نعم.

ك: ولكن الإسرائيليين علي استعداد للتعاون من أجل تخفيف التوتر العسكري.

د: نعم

ك: حسنا وهذا تبليغ منا لكم. إن الرئيس (نيكسون) يعتقد أنكم ونحن أيضا لدينا مسئولية خاصة لضبط أصدقائنا.

د: نعم.

ك: نحن نقوم بنقل ذلك بشكل عاجل إلي الإسرائيليين.

د: نعم.

ك: نحن نقوم بالاتصال بشكل عاجل بالإسرائيليين.

د: انتم

ك: نعم.

د: تقومون بالاتصال مع الإسرائيليين

ك: إذا استمر الأمر بهذه الطريقة فإن الحرب سوف تندلع قبل أن تفهم رسالتي.

د: أنا أفهم. لقد قمتم بالاتصال مع العرب والإسرائيليين.

ك: نعم وتحديدا الإسرائيليين لتحذيرهم من عدم القيام بأية تحرك غير محسوب.

د: أنا أفهم.

ك: ونحن نأمل أن تقوموا أنتم أيضا بعمل الشيء نفسه واستخدام نفوذكم لأكبر درجة ممكنة مع أصدقائكم (من العرب).

د: دقيقة من فضلك. هل هذه هي نهاية الرسالة

ك: هذا صحيح. أود أن أخبرك أنه وكما تعرف بلا شك فإن هذا الأمر مهم للغاية بالنسبة لعلاقتنا وهو ضمان ألا يقع انفجار في منطقة الشرق الأوسط الآن.

د: ماذا بشأن علاقتنا؟

ك: قبل ساعة واحدة من الآن لم أكن قد أخذت الموضوع محمل الجد ولكننا تلقينا مكالمة عاجلة من القدس تقول أن الإسرائيليين يعتقدون أن الهجوم سوف يقع خلال ستة ساعات وهم يقومون بحشد قواتهم.

د: من الإسرائيليين ألا تعتقد أنهم يحاولون القيام بشيء ما بمفردهم

ك: إذا كان هذا الوضع فإننا نقول لهم ألا يقوموا بذلك. لا يمكنني الحكم الآن. ولكن حتي الأمس فإن تقديرنا كان أن المصريين والسوريين يقومون بعمل استعدادات عسكرية ولكننا اعتقدنا أن هذه عملية تهويش أخري من تلك التي يقومون بها. هل تفهم

د: أفهم.

ك: حتي الأمس لم يقم الإسرائيليون بأية تحركات تمكننا من التقاطها ولكنك كما تعرف يمكنهم التحرك بسرعة.

د: أنا أفهم وسوف أنقل هذه الرسالة. سوف أقوم بذلك وأتخذ كافة الإجراءات الضرورية.

ك: ويمكنك أن تطمئن موسكو أننا نقوم بالاتصال بشكل عاجل مع إسرائيل.

وكانت مكالمتي التالية مع موردخاي شاليف نائب رئيس البعثة الدبلوماسية الإسرائيلية في واشنطن حيث أن السفير سيمحا دينيتز كان في إجازة في إسرائيل لقضاء عطلة يوم كيبور.

كيسنجر - شاليف ٦,٥٥ صباحا

كيسنجر: لدينا تقرير من كيتينج (سفير الولايات المتحدة في إسرائيل) أنكم تتوقعون عمليات عسكرية خلال ستة ساعات.

شاليف: نعم.

ك: أولا لا بد أن أبلغك أنه كان يجب عليك إطلاعي علي هذه الرسالة أمس ولم يكن يجب عليك الاعتماد علي (الوزارة في) واشنطن في الوقت الذي أتواجد فيه هنا (في نيويورك). (وكانت الرسالة تطالب الولايات المتحدة بتطمين مصر وسوريا أن إسرائيل لا يوجد لديها نية للهجوم.)

ش: لم تكن الرسالة معي في ذلك الوقت. كما أنهم أخبروني أنك لن تتمكن من رؤيتي.

ك: لا بد أنك تمزح. عموما دعنا من ذلك الآن.

ش: ألم تصلك الرسالة

ك: نعم ولكن في وقت متأخر جدا من الليل.

ش: لقد أعلنا قبل خمس عشرة دقيقة أننا اتخذنا إجراءات احتياطية ورفعنا حالة الحذر في الجيش وهو ما يتضمن حشد بعض القوات.

ك: أريد أن أقول ما يلي: إننا علي اتصال مع السوفيت والمصريين وطالبنا بممارسة أقصي قدر من ضبط النفس. ودوبرنين قال أنهم سيتعاونون معنا. ونحن نقوم بإعداد آلية خاصة للاتصال. ونود أن نلح عليكم بألا تتخذوا أية أعمال وقائية لأن الموقف سوف يكون خطيرا للغاية إذا قمتم بالتحرك.

ش: نعم.

ك: وأريد منك توصيل هذا الأمر

ش: سوف أقوم بذلك علي الفور

ك: وسوف نحيطكم علما بأية ردود أفعال أو أية محادثات نجريها. فلتبق بجوار الهاتف.

وبعد خمس دقائق قمت بالاتصال بوزير الخارجية المصري محمد حسن الزيات الذي كان موجودا في نيويورك. (ويوضح الاتصال مع الزيات كما هو الحال مع السفير الروسي أن كلاهما لم يكن لديه فكرة مسبقة مطلقا عن الضربة المباغتة التي قررت مصر وسوريا توجيهها لإسرائيل.)

كيسنجر - الزيات السابعة صباحا

كيسنجر: السيد وزير الخارجية آسف لإزعاجك. ولكن لدينا تقرير يبدو موثوقا للغاية ومناشدة من الإسرائيليين تفيد بأن قواتكم والقوات السورية يخططون للقيام بهجمات خلال الساعات القليلة القادمة.

الزيات: الساعات القادمة

ك: نعم. لقد قمنا بالاتصال بالإسرائيليين. والإسرائيليون طلبوا منا إبلاغكم بجدية الموقف وأنه لا يوجد لديهم نية للهجوم. وإذا كانت الاستعدادات التي تقومون بها سببها الخوف من هجوم إسرائيلي فإن هذه المخاوف لا أساس لها.

ز: نعم

ك: ومن ناحية أخري إذا كنتم سوف تقومون بالهجوم فإنهم سيأخذون إجراءات شديدة القوة. هذه رسالة أقوم بتوصيلها لك من إسرائيل. أريد أن أقول لك أنني قمت بالاتصال للتو بالوزير الإسرائيلي (نائب رئيس البعثة شاليف) وقلت له أنه إذا قامت إسرائيل بالهجوم أولا فإننا سننظر للموقف بجدية كبيرة كما أبلغته نيابة عن الولايات المتحدة أنه إذا لا يجب علي إسرائيل القيام بهجوم مهما كان الاستفزاز الذي يعتقدون أنهم يواجهونه. الآن أطلب منك سيادة الوزير توصيل هذه الرسالة لحكومتك.

ز: سوف أقوم بذلك

ك: علي الفور. وأطلب منهم نيابة عنا أن يظهروا ضبط النفس علي الأقل في الوقت الذي نبدأ فيه...

ز: سوف أقوم بذلك علي الفور علي الرغم من أنني ما زلت متوجسا من أن هذه ذريعة يستخدمها الإسرائيليون

ك: إذا كانت ذريعة فإننا سوف نتخذ إجراءات قوية بحقهم.

وكانت المكالمة التالية مع نائبي برنت سكوكروفت

كيسنجر ـ سكوكروفت الساعة ٧,١٥ صباحا

كيسنجر: هل يضع دوبرنين الرسالة أمامه وهو يقوم بالاتصال بموسكو

سكوكروفت: هي في طريقها للخروج ولكنها في الغالب لم تصله بعد.

ك: هل هم بالفعل في الطريق

س: نعم. لقد أخبرتهم.

ك: حسنا

مكالمة مع أوليج يدانوف مساعد السفير السوفيتي لدي واشنطن الساعة ٧,٢٥ صباحا

كيسنجر: أعرف أن السفير يتحدث مع موسكو. أريد أن تكون لديه بعض المعلومات وتأكد من أنه لن يغلق الخط مع موسكو قبل أن ننتهي من حوارنا. لقد حصلنا للتو علي تأكيد من إسرائيل أنهم وبناء علي طلبنا لن يقوموا بشن أي هجوم وقائي.

يدانوف: نعم.

ك: ونود أن تعرف موسكو ذلك ونود أن تستخدم موسكو نفوذها مع مصر وسوريا في نفس الاتجاه.

ي: حسنا

ك: لدينا تأكيدات نبني عليها مواقفنا

ي: نعم.

محادثة مع ألفريد أثيرتون نائب مساعد وزير الخارجية للشئون الشرق الأدني وجنوب شرق آسيا ٧,٣٠ صباحًا:

أثيرتون: تلقيت تقرير من السفير كيتينج الذي تحدث مع السيدة مائير قبل ساعات قليلة. النقطة المركزية هي أنها طلبت نقل الرسالة التالية للمصريين وللسوفيت: إسرائيل لا تخطط لمهاجمة سوريا ومصر وهي تقوم بحشد قواتها فقط في حالة وقوع هجوم أجنبي. وكإجراء وقائي قامت باستدعاء بعض قوات الاحتياط. إن إسرائيل علي دراية كاملة بالمشاعر المتوهجة لدي المصريين والسوريين. ولكن إذا قاموا بالبدء في الهجوم فسوف يخسرون وذلك علي الرغم من أن الهجوم قد يلحق خسائر والتي ترغب إسرائيل في تجنبها. وإسرائيل لن تقوم أكرر لن تقوم بشن هجوم. وقالت أنه مع الوضع في الاعتبار أن إسرائيل ستدافع عن نفسها في حالة تعرضها لهجوم فإنها أكدت أن الحكومة الإسرائيلية تتمني تجنب إراقة الدماء.

كيسنجر: متي حصلنا علي ذلك؟

أ: لقد وصلت للتو بناء علي اجتماع عقده السفير معها في وقت سابق من اليوم

ك: هذا هو أهم جزء فيها. أنقلها علي الفور لسكوكروفت.

مكالمة مع الزيات وزير خارجية مصر الساعة ٧,٣٥ صباحا

كيسنجر: آسف لازعاجك مجددا ولكني أريد أن أطلعك علي ما لدينا من معلومات. لقد تلقيت ردا من الإسرائيليين علي طلبي ألا يبدءوا هم بأي عمليات عسكرية. ولقد تقدموا بتعهد رسمي أنهم لن يشنوا هجوما أو يبدءوا في العمليات العسكرية. وأريد أن أخبرك أنهم إذا تخلوا عن هذا الوعد فإننا سوف نأخذ أكثر المواقف جدية.

الزيات: شكرا. هذا الموقف يبدو شبيها بما حدث في ١٩٦٧. وذلك لأن الروس قالوا لنا أن هناك تجمعات (عسكرية إسرائيلية) علي الحدود.

ك: هل أخبركم الروس بهذه التجمعات

ز: بالأمس قال لنا أحد أعضاء البعثة أن هناك تجمعات علي الحدود مع سوريا.

ك: لهذا السبب يجب أن نتعلم من ١٩٦٧. لدينا الآن وعد إسرائيلي بأنهم لن يقوموا بشن هجوم وقائي ونحن نوفر لكم كل المعلومات التي بحوزتنا. ونحن نقوم بما في وسعنا لكي نضمن قيامهم بضبط النفس.

ز: هل لي أن أسألك كيف تقوم بالاتصال بهم هل الوزير أبا إيبان هنا

ك: أتصل عن طريق السفير الإسرائيلي في واشنطن. الاتصالات لديه أفضل.

٤

الزيات قال لى: آسف لم أستطع الوصول إلى الرئيس السادات.. لأنه في غرفة العمليات

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الأحد ٥ أكتوبر ٢٠٠٣م ـ ٩ شعبان ١٤٢٤هـ

يستأنف هنري كيسنجر مستشار الامن القومي للرئيس الأمريكي الأسبق ووزير الخارجية الأسبق سرد احداث يوم ٦ أكتوبر من واقع المكالمات الهاتفية التي أجراها مع الاطراف المختلفة وأيضا مع الامين العام للأمم المتحدة في ذلك الوقت كورت فالدهايم.

كيسنجر ـ شاليف الساعة ٧,٤٥ صباحا

ك: لقد أبلغنا السوفيت أنكم لا تخططون للقيام بأية ضربات وقائية وأن لدينا تأكيدات منكم بذلك. لدينا مسئوليات معينة إذا تراجع الإسرائيليون.

شاليف: نعم

ك: نحن نسهل الاتصالات للمصريين مع القاهرة. كما تحدث السوفيت مع موسكو باستخدام بعض خطوطنا.

ش: وماذا عن السوريين

ك: لا يوجد لدينا وسائل للاتصال بهم. سوف يتوجب علي السوفيت القيام بذلك. وقد أقوم بإرسال شخص ما للسفارة السورية.

ش: حسنا. ولقد قمت بتوصيل رسالتك الأولي وأنا تحت تصرفك.

ك: حسنا. كن علي ثقة بأننا سوف نحيطك علما بكل ما نقوم به.

....

كيسنجر ـ دوبرنين ٧,٤٧ صباحًا

دوبرنين: لقد تحدثت مع (وزير الخارجية السوفيتي) جروميكو وقمت بتوصيل رسالتك.

ك: هل وصلت الرسالة الخاصة بالتأكيد الإسرائيلي أنهم لن يقوموا بهجوم وقائي؟

د: نعم ولقد قمت بتوصيلها بالفعل.

ك: إذن أنت مطلع علي آخر التطورات. لقد تحدثت مع وزير الخارجية المصري وأوصلت له الرسالة الإسرائيلية. كما أطلعته علي التأكيد الإسرائيلي أنهم لن يقوموا بهجوم وقائي وأننا سوف نتأكد من القيام بتنفيذ ذلك. ولقد قال لي إنه سيقوم بتوصيل هذه الرسائل علي الفور للقاهرة. لم نقم بالاتصال بالسوريين وهذه هي نقطة الضعف في الموقف الحالي.

د: أنا أفهم.

ك: إن تأثيرنا علي سوريا ليس بنفس درجة تأثيرنا علي القدس.

د: أنا أفهم.

ك: من الممكن أن تبلغ هذا الأمر إلي موسكو في حالة عدم معرفتهم بذلك. هذا هو كل ما قمنا به حتي الآن.

د: لقد قمت بكل الأمور بناء علي توجيهاتك

ك: ولكننا تحدثنا مع وزير الخارجية المصري في الأمر.

د: هل تحدثت معه عبر الهاتف؟

ك: هو موجود في نيويورك. ولقد جري بيننا حوار جيد في نيويورك. وبالأمس جري اجتماع ودي بيننا ولكننا لم نصل لنتائج محددة. كما قلت لك إننا لن نمارس أية ألعاب. سوف يقولون لك أننا نقوم بذلك. ولكنك يمكنك طمأنة موسكو بهذا الشأن.

كيسنجر - الزيات ٨,١٥ صباحا

الزيات: لم أستطع الوصول للرئيس (السادات). إنه في غرفة العمليات. لقد تلقيت المعلومات التالية: في السادسة من صباح اليوم قامت بعض الوحدات البحرية والجوية الإسرائيلية بأعمال استفزازية علي الحدود المصرية. إننا نحاول صدهم ونقوم بذلك.

ك: هل حاولوا عبور القناة؟

ز: في خليج السويس جري تحرك بحري تسانده الطائرات (الإسرائيلية). هذا يحدث في أراضينا. وهو بعيد عن الحدود السورية وقناة السويس. ولقد تم إصدار البيان رقم واحد (من مصر عن هذه العمليات).

ك: هل هذه الوحدات تابعة للبحرية الإسرائيلية؟

ز: البيان قال إنه تحرك بحري تسانده الطائرات. أنا لا أعرف علي وجه الدقة ولقد طلبت المزيد من المعلومات. وعلي ما يبدو فإن هذا الاشتباك العسكري قد وقع في المياه المصرية قرب الزعفرانة وعين السخنة بعيدا عن قناة السويس.

ك: حسنا.

ز: أنني أري أن الإسرائيليين هنا يدعون لاجتماع لوزراء الخارجية.

ك: كما قلت لك سوف نعارض أي عمل إسرائيلي هجومي أو تحرك شبيه يقوم به أي طرف آخر.

ز: لقد وصلتني رسالتك.

ك: سوف أعمل علي هذا الأمر علي الفور. ولكنني أطالبكم في نفس الوقت بأن تظهروا ضبط النفس وأن يتم تحجيم أي تحركات في المكان الذي بدأت فيه.

ز: داخل مصر سيكون الأمر صعبا.

ك: إذا كان داخل مصر فسيكون من حقكم بالطبع أن تردوا ونحن لا نطالبكم بعدم الدفاع عن أراضيكم ولكن حاولوا تحجيم الأمر ونحن من ناحيتنا سوف نقوم بالاتصال بالإسرائيليين علي الفور. سوف نقوم بتدبير الاتصالات مع القاهرة إذا رغبت في الاتصال بهم علي الفور.

ز: لقد أخبرتهم. ما هو نوع الاتصالات.

ك: القائد (جوناثان) هاو (الذي كان يدير عملية الاتصالات التي يقوم بها كيسينجر) سوف يتصل بك أو بأحد مساعديك لكي يخبركم بكيفية تدبير وسيلة اتصال سريعة للغاية مع القاهرة.

ز: يجب عليه الاتصال بالسفير مجيد (عصمت عبد المجيد مندوب مصر لدي الأمم المتحدة في تلك الفترة).

ك: سوف نتصل به ونبلغه كيفية الحصول علي وسيلة اتصال سريعة. أبلغه تحياتي الحارة وسوف نقوم بما نستطيع القيام به.

...

كيسنجر - أبا إيبان ٨,٢٥ صباحا

ك: هل أنت علي دراية بالرسالة التي وصلتنا مساء أمس

إيبان: نعم. لقد بلغتني رسالة بهذا المعني وما نخشاه هو أنهم ينوون القيام به في الشمال وفي الجنوب. ولقد أبلغوني قبل ثلاث ساعات أن أكون مستعدا وأنه سيكون هناك المزيد من التفاصيل.

ك: أود أن أطلعك علي آخر التطورات بعد ما قمت به هذا الصباح. تلقيت مكالمة في السادسة صباحا من السفير كيتينج قال فيه إنه تم إبلاغه عن تلك التقارير الصحيحة ومطالبته باستخدام نفوذنا. قمت أولا بالاتصال بالروس وطالبتهم باستخدام أقصي درجة من ضبط النفس ودبرنا لهم وسائل الاتصال بموسكو. كما اتصلت بوزير الخارجية وطالبته أيضا بممارسة أقصي درجة من ضبط النفس. ولقد تلقينا رسالة من رئيسة الوزراء (جولدا) من خلال السفير كيتينج أكدت فيها أن الإسرائيليين لا يقومون بأية ضربات وقائية. ولقد أبلغت هذه المعلومات للمصريين وكذلك للسوفيت وقلت لهم إه هذه أيضا كانت نصيحتنا العاجلة للإسرائيليين وأننا سعداء بالتطمينات التي تلقيناها وفي هذه الظروف فإنه مطلوب ممارسة درجة أكبر من ضبط النفس. ولقد تحدث (الزيات) مع إسماعيل (محمد حافظ اسماعيل مستشار الرئيس السادات لشئون الأمن القومي). ولقد تحدث معي بشأن تحرك بحري في خليج السويس. إذا كان هذا هو الأمر فإنه سيكون مؤسفا للغاية لأن هذا داخل المياه المصرية.

إ: ما هو التحرك البحري؟

ك: إطلاق نار. هجمات إسرائيلية جوية وبحرية. ومع الوضع في الاعتبار خطورة الموقف فلقد رأيت من الضروري أن أتحدث معك. إذا كنتم بالفعل تقومون بهذا الأمر فإن رجالك سيعرفون الموقع. يجب علي أن أطالبك بقوة ألا يتم القيام بأية عمليات إسرائيلية في هذه الظروف.

إ: إن هذا الأمر يدهشني. لدينا تطمينات بعدم القيام بضربات وقائية. كيف يمكنني الوصول لك؟

ك: يمكنك الاتصال بي في فندق ولدورف. وإذا كانت هذه الخطوط مشغولة اتصل بالبيت الأبيض.

كيسنجر - شاليف ٨,٢٩ صباحا

شاليف: لقد تلقيت للتو مكالمة من القدس تفيد أنه بينما كانت الحكومة مجتمعة وصلت أنباء عن قيام المصريين والسوريين بالبدء في عمليات عدائية وتحديدا عن طريق القصف الجوي علي طول الحدود.

ك: لقد تلقينا مكالمة من المصريين قالوا فيها إنكم تقومون بتحرك بحري في خليج السويس علي الجانب المصري.

ش: أنا لا علم لي بذلك.

ك: لم تكن هذه الوسيلة هي المفضلة لديكم في الماضي للقيام بعمليات (عمليات بحرية في الجانب المصري)

ش: لا

ك: الأمر لا يتعلق بكيف بدأت الأمور في الماضي. ماذا تفعلون؟

ش: افترض أننا نتعامل مع هذا الموقف.

ك: مرة أخري أود التشديد علي ممارسة أقصي درجات ضبط النفس.

ش: أعتقد أن لديك تطمينات من ناحيتنا بأننا لن نقوم بالبدء ولكن يبدو أنهم هم الذين بدأوا بالفعل.

ك: هل تعرف ما حدث؟

ش: لا. هذا الأمر برمته بدأ قبل عشرين دقيقة.

ك: هل من الممكن أن تبقيني مطلعا علي تطورات الوضع

ش: سوف أقوم بذلك.

وبعد ذلك تحدث كيسنجر مع الكسندر هيج كبير موظفي البيت الأبيض حيث كان برفقة الرئيس نيكسون.

كيسنجر - هيج ٨,٣٥ صباحًا

ك: يبدو أن لدينا حربا تجري في الشرق الأوسط اليوم.

هيج: فعلا.

ك: أود اطلاعك علي ما يحدث. إنني بصدد إرسال تقرير للرئيس ولك بخصوص ما حدث صباح اليوم. وصلنا تقرير في السادسة هذا الصباح بأن الإسرائيليين يتوقعون أن يقوم المصريون والسوريون بمهاجمتهم خلال ست ساعات.

هيج: نعم.

ك: في البداية اعتقدت أن هذه خدعة إسرائيلية لكي يتمكنوا من شن هجوم علي الرغم من أن هذا اليوم هو أكثر الأيام قداسة (يوم كيبور). اتصلت بالإسرائيليين وحذرتهم وطالبتهم بضبط النفس. كما اتصلت بوزير الخارجية المصري وطلبت ضبط النفس. وقمت بالاتصال بدوبرنين ووفرت له الوسائل اللازمة للاتصال بموسكو. وتلقيت مكالمة مرة أخري من الإسرائيليين أعطوني خلالها تأكيدات أنه لن يتم القيام بضربة إسرائيلية وقائية. كما أتصل بي المصريون مجددا ليقولوا إن إسرائيل شنت هجوما بحريا في خليج السويس. وبعد ذلك بخمسة عشرة دقيقة اتصل الاسرائيليون ليقولوا إن المصريين والسوريين يقومون بقصف مواقعهم علي طول الحدود ويشنون هجمات جوية. الآن من غير المتوقع أن يقوم الإسرائيليون بشن هجوم من خلال تحرك واحد في خليج السويس. هذا مجرد تنبؤ وكل ما أريد أن تعرفه هو أننا نتابع الموقف عن كثب الآن. يجب عليك القول إن الرئيس كان علي اطلاع بكل ما يجري منذ السادسة صباحا وأنا سأواصل تزويدك بالمعلومات.

هيج: هل حدث أي اختراق للحدود؟

٥

بعثنا برسائل إلى السعودية والأردن نطالبهما بضبط النفس

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الاثنين ٦ أكتوبر ٢٠٠٣م - ١٠ شعبان ١٤٢٤هـ

يواصل كيسنجر سرد مكالماته الهاتفية صباح يوم ٦ أكتوبر وهو هنا يستأنف محادثته مع ألكسندر هيج كبير موظفي البيت الأبيض

ك: كل ما أعرفه في هذه اللحظة هو بناء عل تقرير من القدس وصلنى من وزير إسرائيلى يقول فيه إن هناك هجومًا جويًا على طول الحدود المصرية والسورية. ولا أعرف ماذا كان التحرك الإسرائيلي المضاد. لدى تقرير من المصريين يقول إن وحدات بحرية إسرائيلية تقوم بالقصف في خليج السويس وأنهم سيقومون بطردهم.

هيج: ما هو رأيك في الموقف السوفيتى؟

ك: رأيى أنهم يحاولون الحفاظ على الموقف هادئًا وأنهم فوجئوا بالأمر.

هيج: هل تصدق ذلك؟

ك: نعم. أعتقد أنه سيكون من الجنون لو كانوا قد بدأوا هذا الأمر.

هيج: لا يمكنك معرفة الحقيقة. لدينا الكثير من المشاكل هنا (مشيرًا إلى استقالة نائب الرئيس سبيرو أجنو).

ك: هذا أحد العوامل. أعتقد أن موقفنا الداخلى (فضيحة ووترجيت) ساعد في حدوث ذلك. قد يكون السوفيت أخبروا المصريين أنه لن يحدث تقدم ما لم يكون هناك تحرك ما في منطقة الشرق الأوسط ويبدو أن هؤلاء المجانين قاموا بالتحريك بشكل زائد بعض الشئ. ويبدو لى الآن أن الإسرائيليين سيقومون بالرد بقوة. لقد قاموا بالفعل بحالة تعبئة جزئية. غالبًا سأعود إلى واشنطن وسأقرر خلال ساعات. لقد طلبت من سكوكروفت الدعوة لاجتماع مجموعة عمل خاصة في واشنطن. ونحن نتابع موقف الأسطول السادس. ولا توجد حتى الآن سفينتان في مكان واحد. وسوف يستغرق الأمر أسبوعًا في الغالب لكى نتمكن من تجميع البحارة. سيتوجب علينا تحريك الأسطول بدءًا من الغد إذا كان هناك شيء يجرى بالفعل.

هيج: حسنًا يا هنرى.

ك: لا تدع (السكرتير الصحفى للرئيس رون) زيجلر ينطق بما يشاء دون معرفتنا. موقفك هو أن الرئيس على إطلاع كامل بالموقف ويحصل بانتظام على تقارير من الأمم المتحدة بنيويورك هذا الصباح. لا يوجد لدينا شيء إضافى نقوله. وإذا كنا بصدد الإعلان عن موقف معين فسوف أقوم بالاتصال بك لكى نحدد إذا ما كان ذلك سوف يتم من هنا أم من البيت الأبيض.

هيج: سوف أقول إن الرئيس تلقى تقريرًا في السادسة صباحًا.

ك: لنقل السادسة والنصف. ولتقل أننى كنت على اتصال مع كل هذه الأطراف وأننا لم ندلى بتعليق. ولقد أبلغنا رسائل للسعودية والأردن نطالبهم فيها بضبط النفس.

هيج: حسنًا.

ك: ولتبق بجوار الهاتف. وإذا كنت الآن مع الرئيس فلتطلب من السويتش أن يوصلنى به.

....

كيسنجر ـ الأمين العام للأمم المتحدة كورت فالدهايم ٨,٤٠ صباحًا

ك: السيد السكرتير العام أود إبلاغك ببعض التطورات التي حدثت صباح اليوم والتي قد تخرج عن نطاق السيطرة. (وبعد استعراض مماثل للتقرير الذى قدمه لهيج يواصل القول).حتى الآن لم تقم أي قوات بعبور الحدود. هذا ما أعرفه في هذه اللحظة وأردت التحدث معك للتعبير عن تعاوننا.

فالدهايم: أشكرك للغاية.

ك: لا أعرف ما التحرك الذى سيتم الدعوة له. ولكن أعتقد أنه يجب علينا تهدئة الموقف بقدر الإمكان ولكنه قد يخرج عن حدود السيطرة. المساعدة التي يمكنكم القيام بها هو الاتصال بالسوريين قبل الاتصال بالمصريين.

ف: لقد كنت جالسًا بجوار الوزير السورى التنفيذي (رئيس الوزراء) ووزير الخارجية أمس ولكنهم لم يذكروا أي شيء له صلة بهذا الأمر.

ك: وأنا كنت جالسًا بجوار وزير الخارجية المصرى أمس ولكنه لم يقل أي شيء.

...

كان من الواضح أن الحرب قد اندلعت. ولكن منظمة الأمم المتحدة التي تم تصميمها للحفاظ على السلام أو استعادته كانت تقف موقفًا سلبيًا. وتماثلت عدم رغبة مسئولي الأمم المتحدة في التدخل مع رغبة الأطراف المعنية عدم اتخاذ المنظمة الدولية لموقف محدد. ولكن مع استمرار الحرب فإن الأمر كان سينتقل بالتأكيد للأمم المتحدة ولو لمجرد المصادقة على النتيجة التي ستسفر عنها. وأثارت هذه الحقيقة قضيتين: اختيار المنبر المناسب والأساليب التي سيتم اتباعها. وفيما يتعلق بالمنبر فلقد كان هناك خياران: الجمعية العامة ومجلس الأمن. ولم نكن نرغب في اللجوء إلى الجمعية العامة لمعرفتنا بأن مجموعة عدم الانحياز كانت ستقف بجانب العرب بينما توقعنا أن يتبنى الأوربيون موقفًا مبهمًا في أفضل الأحوال. أما الكتلة التابعة للاتحاد السوفيتى فكانت ستتبع موقف الأغلبية من الدول النامية حتى لو لم تقد موسكو هذا الاتجاه. وعلى هذا الأساس فقد كان الخروج بموقف متوازن من الجمعية العامة شبه مستحيل. أما تركيبة مجلس الأمن فلقد كانت ستسمح بالخروج بنتيجة أفضل وفى جميع الأحوال فنحن نتمتع بحق النقض الفيتو - هناك. واستراتيجيتنا كما عكست المكالمة مع نيكسون في الساعة ٩,٢٥ صباحًا في الفصل السابق - كانت أن نستخدم سياسة التهدئة التي كانت قائمة مع الاتحاد السوفيتى في ذلك الوقت من أجل التوصل إلى موقف مشترك بيننا. وكان الغرض من ذلك منع الاتحاد السوفيتى من البروز بصفة المتحدث باسم العالم العربى وهو ما كان سيؤدى إلى عزلنا في العالم الإسلامي وإحداث انقسام مع أوروبا. وأهم من كل ذلك أن هذه الاستراتيجية كانت ستمنحنا المزيد من الوقت حتى يتضح الموقف على الجبهة العسكرية حيث أننا كنا ما زلنا مقتنعين بأننا سنضطر للتعامل قريبًا مع نتائج انتصار عسكرى إسرائيلى سريع.

كيسنجر ـ سير لورانس ماكنتير رئيس مجلس الأمس السادس في أكتوبر ١٠,٠٨ صباحًا

كيسنجر: يبدو أن الأحداث تتلاحق بسرعة والآن نحن نعقد مشاورات مع مختلف الأطراف للبحث عن أفضل توقيت لدعوة مجلس الأمن للاجتماع. وسوف نبقيك على علم بما يجرى من تطورات ونتطلع أن تقوم أنت أيضًا بنفس الشئ. نحن نرغب في معرفة ما قد يقع في مجلس الأمن قبل أن نلجأ إليه. أنا أتحدث معك بصراحة حول ما نقوم به.

ماكنتير: أشكرك على ذلك. لقد اتصل بى مندوب إسرائيل الدائم ليس لطلب عقد اجتماع ولكن لإطلاعى على الموقف كما يفهمه حتى الآن. ولم أسمع أي شيء حتى الآن من المصريين أو ممثلي الدول العربية الأخرى.

ك: لقد تحدثت مع الأمين العام لكى أطلعه على آخر تطورات الموقف. وبالطبع نحن نعتقد أن هذا الأمر يتعلق بمجلس الأمن وليس الجمعية العامة.

م: نعم.

ك: ما كنت أريد قوله إنه إذا تم عقد اجتماع وعندما يتم بالفعل فإننا سوف نبذل أقصى جهدنا من أجل أن يبقى النقاش على مستوى مرتفع وتفادى أي مزايدات رخيصة وبالطبع سنقدر أي مساعدة تقدمونها لنا في هذا الشأن. بالطبع أنت تتفهم هذا الموقف الذى تمليه المبالغات ونحن نحاول تجنب ذلك.

كيسنجر - فالدهايم الساعة ١٠,٢٢ صباحًا

فالدهايم: لقد جاءنا تأكيد من المراقبين التابعين لنا في الشرق الأوسط يؤكد ما قلته لى من أن هناك قتال ثقيل على طول الخطوط المصرية والسورية. بينما لا يوجد قتال على الخطوط الأردنية. ولقد وعدوا بتوفير المزيد من المعلومات حال توافرها. كما أجريت مكالمة مع الزيات وزير خارجية مصر وهو يطلب عقد اجتماع الجمعية العامة ولقد قلت له أن ذلك من الصعب حدوثه من الناحية العملية لأننا لن نتمكن من الدعوة لاجتماع بهذه السرعة. ولقد سألته عن رغبته في عقد اجتماع لمجلس الأمن وقال أنه لم يتلق تعليمات بهذا الشأن حتى الآن ولكنه قال أنه سيرسل لى بيانًا وطلب مننا توزيعه (على الدول الأعضاء).

٦

الزيات ثار قائلا: نحن لا نهاجم.. الآخرون هم الذين يهاجموننا!

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الثلاثاء ٧ أكتوبر ٢٠٠٣م - ١١ شعبان ١٤٢٤هـ

يتابع كيسنجر سرد مكالماته الهاتفية التي أجراها صباح يوم السبت ٦ أكتوبر. وفى هذه الحلقة السادسة يستأنف محادثاته مع كورت فالدهايم الأمين العام للأمم المتحدة في ذلك الوقت ثم مع ألكسندر هيج كبير موظفي البيت الأبيض ثم مع مندوب إسرائيل في الأمم المتحدة.

كيسنجر: نحن نرى أن الأمر يجب أن يذهب لمجلس الأمن أولا.

فالدهايم: تمامًا. لا أعتقد أن هناك فرصة أمام الجمعية العامة ومن غير الممكن عمليًا عقد اجتماع قبل يوم الاثنين. وأعتقد أن الأمر يتعلق بمجلس الأمن. ولقد أبلغت ذلك للزيات ولكنه قال إنه لا يوجد لديه تعليمات. كما عبرت له عن قلقى الشديد وطلبت منه أن يقوموا (المصريون) بكل ما في وسعهم من أجل تهدئة الموقف. ولقد أثار غضبه وقال "نحن لا نهاجم. الآخرون (إسرائيل) هم الذين يقومون بذلك".

ك: إن معلوماتنا تفيد عكس ذلك. وأد اطلاعك - فقط من أجل معلوماتك الخاصة وأرجو ألا تطلع آخرين - أننا نعمل مع السوفيت لنرى إمكانية الخروج بموقف مشترك في مجلس الأمن. وحتى يحدث ذلك فقد يكون من المفيد تأخير عقد مثل هذا الاجتماع إذا طلب أحد ذلك. وما أعرفه أن أحدًا لم يدع لاجتماع حتى الآن. وإذا كنا نبدو أننا نتصرف ببطء حتى الآن فالسبب هو أننا ما زلنا في انتظار رد الفعل السوفيتى.

ف: لم يطلب أحد حتى الآن عقد اجتماع.

ك: إن وجهة نظرنا هي أن هذا أمر يتعلق بالأمن والسلام وبالتالي فالتعامل معه من مسئولية مجلس الأمن. وسوف نعارض عقد اجتماع للجمعية العامة.

ف: لقد حاولت إقناع الزيات بذلك.

ك: سوف نعارض اجتماع الجمعية العامة حتى لو طلب عقده يوم الاثنين. أريد أن أكون واضحًا في هذا الشأن.

ف: أنا سعيد لأنك تطلعنى على ذلك.

ك: نحن نحاول الوصول إلى اجتماع بناء لمجلس الأمن. ومن أجل معلوماتك الخاصة فإن ما نقوم به هو النظر في إمكانية التوصل لوقف لإطلاق النار والعودة إلى خطوط ما قبل البدء في العمليات العسكرية. إذا تمكنا من القيام بذلك فسوف يدعو طرف ما مجلس الأمن للانعقاد.

ف: ستكون هذه هي الطريقة الأفضل وأتمنى أن تنجح. وإذا كان لدى أسئلة فسوف أتصل بك.

ك: هذا من شأنه أن يعطى الحكومتين (الأمريكية والسوفيتية) فرصة لتنسيق مواقفنا.

ف: من المهم أن نبقى على اتصال لصيق. ولكن ألا تعتقد أن السوفيت سيخشون من القيام بمثل هذا التحرك بسبب علاقتهم مع العرب.

ك: يجب عليهم أن يشعروا بالقلق أيضًا إذا كانوا يخشون على علاقتهم معنا.

ف: هذا توجه مفيد للغاية وأتمنى أن يكون من الممكن التوصل إلى موقف مشترك.

ك: مرة أخرى وبشكل شخصى فإننى أتفق مع تقويمك ولا أعتقد أنهم سيوافقون على ذلك.

ف: إننى أعرف من خبرتى أنهم مهتمون للغاية بعدم القيام بأى شيء من شانه أن يعطى انطباعًا أنهم يعملون ضد العرب أو قد يؤثر سلبًا على علاقتهم معهم.

ك: أعتقد أنه من المهم للغاية أن نحاول. حتى الآن لم يطلب أحد عقد اجتماع ونحن لن ندعو له حتى يأتينا رد الفعل السوفيتى. وسوف يكون مفيدًا لو تمكنت من تأخير عقد الاجتماع حتى يأتينا هذا الرد في حالة قيام أي طرف بطلب عقد اجتماع لمجلس الأمن.

كيسنجر - هيج الساعة ١٠,٣٥ صباحًا

ك: أود أن أطلعك على آخر التطورات وعلى الاستراتيجية التي أنوى اتباعها. قد يكون من المطلوب منكم تهدئة بعض الناس.

هيج: حسنًا إننى أجلس مع الرئيس الآن.

ك: حسنًا. لقد تمكن المصريون من عبور القناة من خمس نقاط. كما تمكن السوريون من القيام باختراق من نقطتين في الجولان وذلك وفقًا للمعلومات التي حصلنا عليها من مراقبى الأمم المتحدة. وتقيمنا أنه من غير المتصور أن يكون الإسرائيليون قد بدأوا بالهجوم ليتمكن المصريون بعد ذلك بساعتين من استعادة المبادرة والقيام بعبور القناة.

هيج: لا يوجد أي شك في ذلك.

ك: هذا أمر من غير المتصور حدوثه. يجب أن نفترض قيام العرب ببدء الهجوم.

هيج: أعتقد أن هذا هو شعور الرئيس أيضًا.

ك: السؤال الذى يبقى مفتوحًا هو هل تم ذلك بتواطؤ مع الاتحاد السوفيتى أم على الرغم من معارضته. نحن لا نملك إجابة حتى الآن على هذا السؤال. لقد قمت بالاتصال بالأمين العام للأمم المتحدة والذى يقوم بالتسريب (المعلومات) كما المصفاة وذلك لاطلاعه على ما قمنا به وبحقيقة أننا على اتصال مع السوفيت. كما اتصلت بدوبرنين واقترحت عليه أن ندعو سوريا لاجتماع لمجلس الأمن وأن نقدم مشروع قرار مشترك يدعو لإنهاء القتال والعودة إلى الخطوط التي تم تثبيتها عام ١٩٦٧. ولقد قلت للسوفيت أن هذه ستكون علامة للثقة المتبادلة بيننا وأننا سنؤجل طلب عقد جلسة لمجلس الأمن حتى يصلنا رد منهم. ولقد أطلعت الأمين العام للأمم المتحدة على ذلك. وأخبرنى السوفيت أنهم سيحاولون الحصول على رد من موسكو. إن الغرض الحقيقى هو تبين موقفهم الفعلى. إذا كانوا يريدون وقف القتال فسوف يوقفونه بسرعة. أما إذا رفضوا سيكون من الواجب علينا افتراض وجود تواطؤ. كما أنهم إذا رفضوا فسيبقى لدينا مشكلتان: الأولى هي وقف القتال والثانية تتعلق بسياستنا على المدى الطويل. ومن أجل التوصل إلى وقف القتال فإننا لا يمكننا أن نعطى السوفيت والعرب الانطباع أننا نبتعد كثيرًا عن الإسرائيليين لأن ذلك من شأنه الدفع لاستمرار الحرب.

هيج: هذا صحيح.

ك: ولذلك إذا كان من الممكن للسوفيت أني تعاونوا معنا فسوف نأخذ موقفًا محايدًا. سوف نقول إننا لا نعرف الحقائق ولكنهم يجب عليهم وقف القتال. هل تفهم ما أعنيه؟

هيج: نعم.

ك: ولكن إذا لم يتعاون السوفيت معنا ودعموا العرب بالكامل فيما يتعلق بقضية استمرار القتال فإنه سيكون من الواجب علينا في تقديرى الانحياز للإسرائيليين.

هيج: نعم.

ك: يجب علينا القيام بذلك من أجل ١ - وقف القتال ٢ - منع السوفيت من التدخل وتحقيق مكسب رخيص و٣ - وضع بعض المال في البنك من أجل الابتعاد عن الإسرائيليين في محاولاتنا اللاحقة التوصل إلى تسوية. كل هذه الأمور تعتمد على رد الفعل السوفيتى. وبعد أن نتمكن من وقف القتال فإنه يجب علينا استخدام هذه الأزمة كوسيلة للبدء في الدبلوماسية. الآن لم تعد هناك أية أعذار من أجل التأخير. والعودة إلى وقف إطلاق النار سوف يكون لها بعدان. إذا كانت مشكلة اليوم تعنى أن العرب سوف يتخلون عن بعض الأرض - وذلك لأن تقديرى أنه بدءًا من مساء الغد سوف يتخلى العرب عن بعض الأرض بعد هزيمتهم عسكريًا. ووجهة نظرى هي أنه إذا تمكن الإسرائيليون من الاستيلاء على أراض فإنه يجب علينا أن نضغط عليهم بقوة لإجبارهم على التخلي عنها.

هيج: نعم.

ك: يجب علينا القيام بذلك في حالة العرب ولكن أعتقد أنه من المحرج أنه لن يكون لدينا الكثير من الوقت.

هيج: نعم ما لم يحدث تدهور سريع هناك.

ك: هذه هي الاستراتيجية التي أقترحها. أعتقد أنه لا يوجد أمامنا خيار. أعتقد أن أسوأ ما يمكننا القيام به الآن هو أن نتخذ موقفًا محايدًا بينما ما زال القتال مستمرًا وذلك ما لم يتخذ السوفيت موقفًا محايدًا معنا. إذا اشتركوا معنا في هذا الموقف فإننا يجب أن نأخذ موقفًا محايدًا. وسوف يكون ذلك أمرًا مثاليًا. أما إذا لم يشتركوا معنا وتوجهوا نحو الجانب الآخر (العرب) فسوف يكون من الواجب علينا الانحياز (لإسرائيل). إذا تحيز السوفيت بالكامل للجانب الآخر فسوف تكون لدينا حالة فاضحة من التواطؤ وسنجد أنفسنا في مواجهة موقف شبيه لما حدث عام ١٩٧٠ (عندما قامت سوريا حليفة السوفيت بغزو الأردن) مجددًا وفى هذه الحالة فسيجب علينا أن نتخذ موقفًا صلبًا.

هيج: إن الرئيس يفكر جديًا في العودة إلى واشنطن.

ك: أعتقد أن ذلك سيكون خطأ كبيرًا. لا يوجد ما يمكننا القيام به الآن ويجب عليك الانتظار حتى يتبين كيفية تطور الموقف. انتظر حتى بعد الظهر على الأقل. حتى الآن لم تتم الدعوة ولو لاجتماع لمجلس الأمن.

هيج: هو يتفق مع ذلك. مشكلته أنه إذا كانت حرب شاملة فإن جلوسه هنا في مثل هذه الأجواء سيكون أمرًا سيئًا للغاية.

ك: دعنا ننتظر الرد السوفيتى. إذا رفض السوفيت التعاون معنا فسوف نعرف أننا في حالة مواجهة وفى هذه الحالة يجب على الرئيس أن يتولى القيادة. من المهم أن تتأكد أن الرئيس مرتاح للاستراتيجية التي اقترحتها. أعتقد أن هذا هو الطريق الوحيد المتاح أمامنا الآن. ويجب النظر للأمر في إطار ما يمكن للرئيس القيام به وفى ضوء التطورات التي ستحدث لاحقًا.

هيج: هل تم البدء في العمل من أجل تحريك الأسطول (السادس) إلى موقع مناسب؟. إن الرئيس مهتم بهذا الأمر.

ك: هذا صحيح. لقد تم إصدار توجيهات للأسطول للاستعداد ولاستدعاء طاقمه إلى السفن وذلك لكى يكونوا على استعداد للتحرك خلال ساعات.

هيج: إن الرئيس يريد منهم التجمع في أسرع وقت ممكن وذلك لاتخاذ التحرك المناسب إذا كانت هناك حاجة لذلك.

ك: إن هذا هو ما يحدث ولكننا أدرنا انتظار حتى يتم التيقن من التقارير التي بحوزتنا وذلك سوف يتم خلال هذه الساعة. وهذا هو مقدار الوقت الذى يحتاجونه لكى يتم استدعاء العاملين في الأسطول.

هيج: سوف أعاود الاتصال بك بعد مناقشة الأمر مع الرئيس.

كيسنجر - شاليف الساعة ١٠,٥٥ صباحًا

شاليف: رئيسة الوزراء تريد أن تعطيك تأكيدًا شخصيًا على أساس الثقة الموجودة بينك وبينها أن الهجوم قد بدأه الآخرون.

ك: هذا هو تقديرنا أيضًا ولقد قلت نفس الشئ للرئيس قبل قليل.

ش: فيما يتعلق بالأمر الخاص بالاشتباك البحرى الذى أشار إليه المصريون فإن هذا الأمر ليس له صلة بالحقيقة مطلقًا.

ك: لا أستطيع أن أصدق أنكم ستبدأون باشتباك بحرى ثم يتمكن العرب من عبور القناة.

ش: رئيسة الوزراء سوف تلقى خطابًا عبر الراديو خلال دقائق قليلة.

ك: أريد أن أطلعك على أساس شخصى وفقط من أجل معلومات رئيس الوزراء أننا اقترحنا على السوفيت أن نطالب كلانا مجلس الأمن بعقد اجتماع والمطالبة بالعودة إلى خطوط وقف إطلاق النار لعام ١٩٦٧. هذه محاولة لمعرفة حقيقة موقفهم وإذا ما كانوا يقفون وراء هذه العملية وهو ما سيعطينا أساسًا للانحياز لموقفكم عندما يبدأ النقاش في المجلس.

ش: سوف أمرر هذه المعلومات. هل تلقيتم منهم أي رد بهذا الشأن؟

ك: لا. سوف أتصل بك فور حصولى على رد.

ش: هناك أمر أود إثارته. لقد تقدم العسكريون بقائمة من الأشياء التي يحتاجونها بشكل عاجل وبسرعة.

ك: سوف أعود لواشنطن الليلة ومن الأفضل أن نناقش هذا الأمر عندما نلتقى شخصيًا.

كيسنجر - عضو مجلس الشيوخ جاكوب جافيتز الساعة ١١,٠١ صباحًا

جافيتز: يا له من يوم للغفران (كيبور). ما هي التقارير التي لديك.

ك: تقديرى الشخصى والذى أريد منك تكراره هو أن الأمر بوضوح يتعلق بهجوم بدأه العرب.

ج: وماذا باعتقادك أدى لتصعيد الأمر بهذه الطريقة.

ك: ما يجب علينا تحديده الآن يا جاك هو ما إذا كان الاتحاد السوفيتى متواطئ في هذه العملية. لقد عرضت على السوفيت القيام بتحرك مشترك في مجلس الأمن من أجل العودة لخطوط وقف لإطلاق النار بموافقة الإسرائيليين. هذا من شأنه الكشف عن حقيقة موقفهم.

ج: الأمر برمته يمكن وقفه إذا قام هؤلاء الناس (السوفيت) بمجهود.

ك: القرار يطالب بالعودة لخطوط وقف إطلاق النار.

ج: أنا أعرف أن التحرك الدبلوماسي سوف يسير في هذا الاتجاه ولكن الأمر برمته سوف يتأثر كثيرًا إذا تمكن العرب من تحقيق نجاح. سوف يكون من الصعب للغاية التعامل معهم.

٧

التقديرات الأمريكية: لن يصمد العرب أكثر من ٧٢ ساعة

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الأربعاء ٨ أكتوبر ٢٠٠٣م - ١٢ شعبان ١٤٢٤هـ

في هذه الحلقة السابعة من اعترافات كيسنجر يظهر مدي خطأ التقديرات الامريكية، حيث كان التصور هو أن العرب لن يصمدوا في معارك حرب التحرير أكثر من٧٢ ساعة.

ويكشف كيسنجر عن نصوص محادثاته الهاتفية مع كل من السفير السوفيتي دوبرينين، ومندوب بريطانيا لدي الامم المتحدة دونالد ميتلاند.

كيسنجر: تقديرنا هو أنه ما لم يكن الإسرائيليون قد فوجئوا بالكامل وهو أمر ليس مستحيلا في يوم كيبور فإنهم سيكونون في أضعف موقف لهم:

جافيتز: هل يوجد رد فعل من الرئيس

ك: لقد تحدثت معه وإذا وافق أن الأمر قد يكون تواطؤا سوفيتيا فإنه سيجب علينا تكرار ما قمنا به في سبتمبر ١٩٧٠ (عندما نظمت الولايات المتحدة المقاومة ضد الغزو السوري للأردن.) إذا تبين أن هناك تواطؤا سوفيتيا فسوف نتخذ موقفا قويا. أما إذا ابتعد السوفيت فسوف نبتعد نحن أيضا وسنبقي محايدين تجاههم (الإسرائيليين). نحن نفترض أن الإسرائيليين يمكن لهم أن يعتنوا بأنفسهم. ولكن إذا ثبت خطأ ذلك فسوف يجب علينا إعادة تخطيط الموقف

ج: ما سمعته لا يجعلني سعيدا للغاية

ك: نحن علي صلة وثيقة بالإسرائيليين ولا نقوم بأي تحرك إلا بعد التشاور معهم.

كيسنجر ـ دوبرنين الساعة ١١,٢٥ صباحا

ك: أود معرفة ما حدث بشأن مجلس الأمن. لقد تم ابلاغي أن المصريين يطالبون بعقد اجتماع للجمعية العامة. ولكن من المستحيل عقد هذا الاجتماع قبل يوم الاثنين٨ أكتوبروفي جميع الأحوال فإن الأمر يتعلق بالأمن والسلام ولن نسمح بمناقشته في الجمعية العامة

د: أنا أفهم ذلك

ك: لا يمكن لنا أن نقبل هذا الاقتراح

د: أنا أفهم ذلك

ك: إذا اتخذتم موقفا مساندا كلية للعرب فإن هذا سيكون مساندة لما يبدو لنا أنه هجوم عربي. و لا أحد يعتقد أن المصريين كان بإمكانهم عبور القناة من خمسة مواقع. وسوف أكون سعيدا لو حصلت علي تحليلك العسكري فيما يتعلق بهذا الأمر. وبما أن القتال بمجمله يجري علي الجانب الإسرائيلي فأعتقد أن الحقائق واضحة تماما. نحن

مستعدون لاتخاذ موقف محايد في مجلس الأمن إذا اتخذتم موقفا مماثلا. كما أننا علي استعداد للتوصل إلي مشروع قرار مشترك يدعو إلي العودة لخطوط وقف إطلاق النار.

د: أنا فاهم ولقد قمت بإبلاغ هذه الرسالة

ك: اليوم العرب يقفون علي أرض إسرائيلية ولكننا لا نعتقد أن هذا الأمر سيستمر أكثر من ٧٢ ساعة وبعد ذلك ستصبح المشكلة إقناع الإسرائيليين بالعودة لخطوط وقف إطلاق النار. إذا اتفقنا علي هذا المسار وبغض النظر عن العمليات العسكرية وقدر ما سوف يحققه الإسرائيليون من نجاح فإننا سوف نتمسك بهذا الموقف وسوف نكون مستعدين لمعارضتهم.

د: كما تقول العودة إلي خطوط وقف إطلاق النار. أنا أفهم

ك: نحن لم نستجب لطلب إسرائيلي عاجل بتوفير معدات عسكرية. ولكن إذا خرج الأمر عن نطاق السيطرة فإننا سنكون مضطرين لذلك. ولكل هذه الأسباب فإنه سيكون من المهم من أجل علاقتنا أن نقوم بالتنسيق بشكل مشترك ويجب عليك أن تبلغ ذلك للأمين العام الذي تحدثت معه للتو. سوف أعود إلي واشنطن بعد ظهر اليوم.

د: حسنا

ك: السبب الذي يجعلني آمل أنه يمكننا حل الموقف هو أنك لم تغادر المدينة

د: لو لم أكن تلقيت مكالمتك حتي التاسعة صباحا لكنت قد رحلت اليوم. كنا نخطط لتناول عشاء هادئ في مقر إقامتنا في ميريلاند ثم المغادرة لقضاء عطلة. هل تري كيف تغيرت الأمور. أتمني أن نستطيع التعامل مع هذا الأمر

ك: لقد كان أصدقاؤك العرب مخادعين إلي أقصي درجة. الزيات أخبرني أنه سيكون هناك ثلاثة شهور من الهدوء علي الأقل وأنه سوف يلتقي بي مجددا في نوفمبر وكان يريد القدوم إلي واشنطن الأسبوع القادم. وبناء علي الحوار الذي جري بيننا والحوار بين الرئيس وجرميكو اعتقدنا أن هذه الفترة ستكون مناسبة للبحث عن طريقة مناسبة للتعامل مع الموقف.

د: كان هذا هو انطباعي أيضا

ك: نحن نأخذ هذا الأمر علي محمل جاد للغاية. وإذا كان بإمكانك نقل هذا الأمر لزملائك في أسرع وقت ممكن فسوف نقدر ذلك.

كيسنجر - سير دونالد ميتلاند سفير بريطانيا لدي الأمم المتحدة الساعة ١١,٣٥ صباحا

ك: لقد وصلتني رسالتك الخاصة برأيك فيما يحدث في مجلس الأمن. أردتك أن تعرف أننا تحدثنا مع السوفيت من أجل اتخاذ موقف مشترك نطالب فيه الأطراف بالعودة إلي خطوط وقف لإطلاق النار ووقف العمليات القتالية وباتخاذ موقف محايد

ميتلاند: بالتأكيد

ك: أتساءل إذا كنت متفقا معنا علي محاولة تأجيل عقد اجتماع مجلس الأمن حتي يصلنا رد من السوفيت

م: إنني أتفهم ما تقوله

ك: هناك مشكلة واحدة لدينا. مع اتضاح المزيد من الحقائق قد يصبح من الصعب الحصول علي مثل هذا القرار. لا يوجد لدينا أي شك في أن العرب هم الذين بدأوا هذه المرة

م: في الغالب

ك: اقتراحنا يقوم علي إحالة الأمر الي مجلس الأمن. وفي نفس الوقت ندعو لوقف إطلاق النار والعودة إلي الخطوط الأصلية والبدء بعد ذلك في مرحلة من الهدوء لكي نتمكن من القيام بعملنا لاحقا

م: أنا لست متأكدا من أن السوفيت سيوافقون علي ذلك.

ك: نحن نشعر أنه يجب ألا ندع اليوم يمر دون القيام بتحرك

م: أنا متفق معك

ك: نحن لن نتسرع بالقيام بشيء هذا الصباح. ربما بعد الظهر

م: أنا متفق معك في ذلك

ك: أنا أحاول العودة إلي واشنطن والحصول علي ساعتين من الهدوء من أجل القيام بذلك. وبشكل عام فإنني اقترح الدعوة لاجتماع في الثانية أو الثالثة بعد الظهر. وسوف يكون هذا التوقيت مناسبا بالنسبة لنا.

م: هذا هو ما كنا نفكر به

ك: نحن نريد ساعتين إضافيتين اليوم

م: لن أتدخل في ذلك. شعورنا هو أنه سيكون من الخطأ أن يعرف العالم بوقوع هذا الحجم من العمليات العسكرية بينما نبقي نحن دون أن نظهر رؤوسنا

ك: لا يوجد لدينا مشكلة في ذلك

٨

الأسطول السادس يصل إلى شرق البحر المتوسط خلال ١٢ ساعة

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الخميس ٩ أكتوبر ٢٠٠٣م - ١٣ شعبان ١٤٢٤هـ

محادثة كيسنجر - شاليف الساعة ١١,٥٥ صباحا بتوقيت نيويورك.

ك: لقد تحدثت مع الرئيس مجددا وكذلك مع السوفيت. أريدك أن تعرف ما نقوم به. إننا نقوم بتجميع أسطولنا في البحر المتوسط وسوف نبدأ في تحريكه نحو شرق البحر المتوسط. هذا الأمر سوف يستغرق نحو١٢ ساعة. كما أننا سوف نقر غدا بشكل شبه مؤكد المعدات العسكرية التي طالبتم بها في إطار معقول، خاصة إذا وقف السوفيت بجانب العرب، فإننا في تلك الحالة سنقر طلباتكم بكل تأكيد.

شاليف: سوف تقومون بإقرار طلباتنا.

ك: إذا ساند السوفيت العرب في الأمم المتحدة، فإنه من المؤكد أننا سنقوم بذلك. وإذا لم يقوموا بذلك، فإننا سوف نقر طلباتكم في الغالب ولكننا نريد أن نري كيف يتطور الموقف أولا. ولكننا سنقدر قيامكم بتوفير قدر ما تستطيعون من المعلومات حول حقيقة الموقف العسكري وذلك لكي نقوم بتقييمنا، بجانب إخطارنا بخططكم في هذا الصدد. وعندما يتم اجتماع مجلس الأمن فإننا سوف نطالب - وسواء وافق السوفيت أو رفضوا - بضرورة العودة إلي وقف إطلاق النار وإلي خطوط ما قبل اندلاع القتال.

ش: هل ستقومون بذلك بغض النظر عن موافقتهم من عدمه؟

ك: سوف ننتظر عدة ساعات لكي نحصل علي موافقتهم. وإذا لم يتم ذلك، فلقد قمنا بالتنسيق مع البريطانيين لكي يطلبوا عقد اجتماع وحينذاك سنتقدم بمقترحاتنا.

ش: حسنا

ك: ندعو للاجتماع قبل الثانية أو الثالثة من بعد ظهر اليوم وذلك لكي ينعقد نحو الخامسة أو السادسة. وكل ما سنقوم به هو المطالبة بوقف إطلاق النار والعودة إلي خطوط ما قبل بدء القتال. كما أن البريطانيين مستعدون للقول بأنهم يعتقدون أن العرب هم الذين بدأوا هذا الأمر (الحرب).

ش: أعتقد أن هذا الأمر واضح. وهذا هو ما ذكره مراقبو الأمم المتحدة علي الجبهتين.

ك: من كافة النواحي، لا يوجد شك في هذا الأمر........

محادثة كيسنجر - هيج الساعة ١٢,٤٥ بعد ظهر السبت ٦ أكتوبر بتوقيت نيويورك.

هيج: سوف نعود إلي واشنطن

ك: ما الذي سيقوم به الرئيس؟

هيج: من المتوقع أن يقوم بإصدار إعلان حول (استقالة) نائب الرئيس. هذا هو أول أمر

ك: هذه مشكلة مختلفة قليلا

هيج: ما أقوله لك أن المشكلتين سوف يتم ربطهما ببعضهما البعض. لا يمكن للرئيس أن يجلس هنا في الشمس بينما يجري ما يجري بخصوص نائب الرئيس. الأمر ليس نهائيا بعد ولكن سنعرف بعد قليل

ك: إذا كان ذلك الأمر يحدث بالفعل، فإنني أستطيع أن أفهم سبب عودته من الناحية الدبلوماسية. ولكنني كنت سأقوم بتأخير عودته بعض الشئ. إذا افترضنا أن السوفيت تبنوا موقفا متشددا، فإن عودته في ذلك الوقت ستكون تحركا جيدا. هذا هو رأيي بصراحة. إذا أتخذ السوفيت موقفا يقترب من إعطائنا ضربة في أسناننا، فإن عودته سوف تكون مؤشرا علي أن الأمور تأخذ منحي جديا. لن نعرف في الغالب الموقف قبل الثالثة وربما ليس قبل صباح الغد.هيج: حسنا، سوف أحاول تأخير رحيله من هناك: (بعد فترة سكون) من الأفضل لو تم تأخير عودته حتي صباح الغد........

كيسنجر - فالدهايم الساعة ١,٢٠ بعد الظهر بتوقيت نيويورك.

فالدهايم: أود اطلاعك علي آخر التطورات هنا. لقد جاء الزيات للقاء رئيس مجلس الأمن والتقي به في حضوري. ولقد طلب منه عقد اجتماع عاجل للجمعية العامة. ولقد سبق أن أشرت إلي أنه قد طلب هذا الأمر مني. ولقد كان رد فعل رئيس المجلس مشابها لرد فعلي حيث قال أن هذا ليس ممكنا من الناحية العملية. وبعد نقاش طويل، وافق الزيات علي أن يرسل له خطابا قام بإعداده وتوقيعه في مكتب رئيس المجلس وطلب منه توزيعه علي الدول الأعضاء بدلا من الدعوة لاجتماع للجمعية العامة. الخطاب مكون من صفحتين يتهم فيه إسرائيل ببدء العدوان مما يتطلب منهم الرد. كما أتهم الإسرائيليين بشن هذا الهجوم علي طول الحدود المصرية والسورية في مواصلة لسياسة احتلال الأراضي العربية واستغلالها.

ك: اعتقد أننا سوف نطلع علي هذا الخطاب

ف: أنه اتهام لإسرائيل لعدم قبولها القرار ٢٤٢. هذا هو الموقف، والخطاب سوف يتم توزيعه كوثيقة علي أعضاء مجلس الأمن بناء علي طلب الزيات كما أنه طلب التحدث صباح الاثنين٧ أكتوبر أمام الجمعية العامة. لقد أتي إلي مكتبي وأخبرني أنه لم يأت بعد طلب للدعوة لعقد اجتماع لمجلس الأمن. هل هذا صحيح؟ أعتقد أنهم لا يرغبون في هذا الاجتماع.

ك: نحن نري أنه يجب أن يكون هناك نقاش في مجلس الأمن في وقت ما من بعد ظهر اليوم، وسوف نعارض أي طلب لعقد اجتماع للجمعية العامة لمناقشة الأمر.

ف: إن الأمر من اختصاص مجلس الأمن

ك: لا نعتقد أن الجمعية العامة قادرة علي تناول القضية.

ف: لقد تم رفض طلب عقد اجتماع للجمعية العامة. ولا يوجد لدينا مشكلة في هذا الشأن، علي الأقل خلال عطلة نهاية الأسبوع الحالي. ولكن إذا طلب الزيات الكلمة، فإن الرئيس يجب عليه قبول طلبه. وعندما سألته قال أنه سيطلب الكلمة فقط بعد أن يري كيفية تطور الوضع. أعتقد أنه يريد الانتظار لمعرفة تطورات العمليات العسكرية

......

وفي حدود الثانية وعشر دقائق بعد الظهر بتوقيت نيويورك تلقينا ردا مبدئيا من القيادة السوفيتية. وكانت لهجة الرد ودية، وتركت المجال مفتوحا أمام احتمال القيام بتحرك منسق ولكن لم تتم الإشارة إلي خيارات محددة. كما أن الإشارة إلي احتمال معرفة سوفيتية مسبقة بالأمر جاءت مبهمة. وأدعي القادة السوفيت أنهم علموا بالأمر في حدود نفس التوقيت الذي علمنا به نحن أيضا. وقد يكون هذا صحيحا من الناحية العملية. ولكنهم قاموا بسحب المدنيين من مصر وسوريا قبل يومين من بدء العمليات، وكان واضحا أن ذلك تم توقعا لحرب وشيكة.

....

نص رسالة أملاها السفير السوفيتي دوبرنين إلي الجنرال سكوكروفت: الساعة ٢,١٠ بعد الظهر بتوقيت نيويورك.

رسالة إلي الرئيس نيكسون والوزير كيسنجر من الحكومة السوفيتية.

دوبرنين: لقد تلقت القيادة السوفيتية المعلومات الخاصة ببدء العمليات العسكرية في الشرق الأوسط في نفس الوقت الذي تلقيتم فيه هذه المعلومات. وسوف نتخذ كافة الإجراءات للتعرف علي حقيقة الموقف في المنطقة حيث أن المعلومات الواردة من هناك تبدو متناقضة. ونحن نشارككم تماما قلقكم من اشتعال الموقف في الشرق الأوسط. ولقد أشرنا مرارا في السابق إلي خطورة الموقف في هذه المنطقة. نحن ننظر الآن في الخطوات التي يمكن القيام بها كما تفعلون أنتم أيضا. ونحن نتطلع للاتصال بكم ثانية للنظر في احتمال تنسيق المواقف فيما بيننا.

....

مكالمة بين كيسنجر وجون سكالي سفير الولايات المتحدة لدي الأمم المتحدة: الساعة ٣,٤٥ بعد الظهر بتوقيت نيويورك.

ك: لقد تلقيت ردا من السوفيت يقولون فيه أنهم عرفوا بالأمر في نفس الوقت الذي قمنا بإبلاغهم فيه. وهم يودون التنسيق مع الجانب العربي ثم سوف يقومون بالإتصال بنا. وأعتقد أنه يجب علينا الانتظار لمدة ساعة إضافية أو أكثر حتي أتحدث مع دوبرنين.

سكالي: هذا الأمر يبدو مناقضا تماما للانطباع الذي لدينا هنا. المعلومات هنا تفيد أن ياكوف ماليك (سفير الاتحاد السوفيتي لدي الأمم المتحدة) لا يرغب في اللجوء إلي مجلس الأمن.

ك: قد يكون هذا هو التوجه. هم لا يوافقون علي تنسيق التحرك في مجلس الأمن.

س: نعم. ونحن نعرف بالتأكيد أن مصر لا ترغب في عقد اجتماع لمجلس الأمن.

ك: سوف نقوم بالاتصال بهم. أود الحديث مرة أخري مع دوبرنين لمعرفة قراءته للموقف.

....

مكالمة كيسنجر ـ دوبرنين الساعة ٣,٥٠ بعد الظهر بتوقيت نيويورك.

ك: أناتول، لقد وصلتني رسالتك. ولا أستطيع القول أنها نموذج في الوضوح. وهي قد تعني أنكم إما مشوشون أو أنكم تقومون بالتعاون معهم

دوبرنين: التعاون مع من؟

ك: العرب

د: لماذا؟

ك: ماذا تعني الرسالة باعتقادك؟ هل يمكنك تفسيرها؟

د: من الواضح تماما أن القادة السوفيت لا يعرفون ما هو الموقف علي وجه التحديد وأننا سوف نقوم بمقارنة ما لدينا من معلومات سويا. أما فيما يتعلق بخططهم النهائية، فإننا سوف نلم بذلك في وقت لاحق.

ك: كم من الوقت سوف يستغرق ذلك؟ نحن لا نشعر بالراحة وأريد أن أعرف رد فعلك. المصريون يريدون طرح الموضوع علي الجمعية العامة، ونحن نعتقد أن هذا تحرك طائش. ولابد من القول إنه إذا تم طرح القضية في الجمعية العامة، فإننا سنترك الأمور تأخذ مجراها. نحن علي ثقة بأن الأمر سينتهي بنصر عسكري للإسرائيليين. وبعد ذلك

سوف يأتي الجميع لنا. وإذا انتهي الموقف بطريقة سيئة، فإننا سنمتنع عن تلقي أية اتصالات لفترة (وهو ما يعني السماح للإسرائيليين بالتحرك بحرية.) نحن نري ضرورة طرح الموضوع أمام مجلس الأمن.د: نعم

ك: ولكننا قررنا تأجيل هذا التحرك حتي نتلقي ردا منكم. كم من الوقت ينبغي علينا الانتظار حتي يبلغنا ردكم؟

د: ساعة واحدة. إنهم يعقدون اجتماعا هناك (في موسكو) الآن

ك: سوف انتظر حتي الخامسة قبل أن أتخذ قرارا. ودعني أؤكد لك أننا نريد التعاون معكم

د: هذا هو ردنا

ك: هذا هو انطباعي من ردكم. ما قلته لك هو من مصلحة أصدقائنا. لا يجب أن يعتقد أحد أنه بإمكانه خداعنا.

د: لا... لا

ك: كما أنه يوجد لدينا نقاش علني سيستغل للدعاية يوم الثلاثاء. ما نفكر فيه هو أننا سنقوم بدعوة مجلس الأمن للاجتماع. وسوف نقترح ـ دون إدانة أي طرف ـ وقف إطلاق النار والعودة إلي خطوط وقف النيران.

د: حسنا

ك: سوف أرسل لك مشروع القرار.

....

مكالمة كيسنجر ـ شاليف الساعة ٤,٠٠ بعد الظهر بتوقيت نيويورك.

ك: هل لديك أي معلومات جديدة؟

شاليف: لدي بعض المعلومات بناء علي مكالمات هاتفية قمت بها. نحن نقوم بدفعهم للانسحاب ببطء، من خلال جسرين علي الأقل. أعتقد أن عدد الطائرات التي قمنا بإسقاطها بلغ نحو عشرين علي الجانب المصري ونصف ذلك العدد علي الجانب السوري

ك: حسنا. فيما يتعلق بالاستراتيجية. أرجو منك نقل هذه الرسالة للسيدة مائير فقط وليس لبقية أعضاء الحكومة

ش: حسنا

ك: أنت تعرف أن المصريين طلبوا عقد اجتماع خاص للجمعية العامة. وسوف يبدأ النقاش حول هذا الأمر يوم الاثنين. تقديرنا هو أن الجمعية العامة ستكون منبرا سيئا للغاية بالنسبة لكم. ولكي تكون استراتيجيتنا فعالة، لا بد أن ندعو إلي اجتماع لمجلس الأمن.

ش: نعم

ك: لقد تلقينا ردا من السوفيت حول الاقتراح وهم لم يتخذوا موقفا ملزما حتي الآن. هم يقولون أنهم يدرسون الأمر ويحاولون تحديد موقفهم. ولكني أبلغت السوفيت بأنه إذا تحولت الجمعية العامة لمكان يتم فيه شن معركة دعائية، فإننا سنتخذ موقفا متشددا.

ش: نعم

ك: سأكون سعيدا لو تم توفير أي معلومات حديثة لي ولكن هذا هو ما قررنا القيام به

ش: سأقوم بتوصيل هذه المعلومات للسيدة مائير. ولقد عرفت من مكالمات سابقة أن الرد السوفيتي لم يكن....

ك: لا نعرف بعد ما هو الرد السوفيتي. ما قلته لك هو أن الرد السوفيتي كان وديا حتي الآن ولكنه غير ملزم. ونود أن نعرف ما هي استراتيجيتكم.

ش: سوف أقوم بتوصيل هذه المعلومات فورا.

ك: أنا أعرف أن لديهم الكثير ليقوموا به في القدس ولكن إذا كان بإمكانهم أن يعطونا تقارير بشكل منتظم فسوف يساعدنا ذلك علي ألا نبدو أغبياء. متي يعود دينيتز (سفير إسرائيل)؟.

ش: بعد غد وربما غدا لست متأكدا

....

محادثة كيسنجر ـ هيج الساعة ٤,١٥ بعد الظهر بتوقيت نيويورك.

ك: دوبرنين يقول أنه سيتلقي معلومات مرة أخري من موسكو خلال ساعتين. وفيما يتعلق بنيويورك فإن المصريين يعارضون اجتماعا لمجلس الأمن، والسوفيت يساندونهم في غياب التوجيهات. أما الانجليز الذين أرادوا الدعوة لاجتماع فهم قد تراجعوا بعض الشئ. قل للرئيس أننا ما زلنا ننتظر الرد السوفيتي وإذا لم نحصل عليه بحلول السادسة مساء فإنه يجب علينا أن ندعو لاجتماع.

هيج: نعم

ك: الأمر تحت السيطرة هنا. الرئيس سوف يرغب في معرفة ما يجب عليه القيام به. في السادسة سوف ندعو لاجتماع لمجلس الأمن. سوف أقول أن الرئيس أصدر لي توجيهاته بالعودة إلي واشنطن وكذلك أنه سيدلي بتصريح في وقت لاحق.

هيج: الرئيس موافق علي هذا التوجه. أعتقد أن هذا سيكون أمرا جيدا ياهنري. القلق الوحيد الذي يساورنا هنا هو من السوفييت

ك: ولذلك السبب يجب علينا أن نكون مستعدين للتغلب عليهم. يجب عليهم أن يكونوا مستعدين للمساعدة في هذا الأمر. لا يمكننا أن نبدو أننا الطرف الضعيف في هذه الأزمة

هيج: لا يوجد شك في هذا الأمر. لا يمكننا تقبل ذلك

....

وبعد قيامنا بتحديد الاستراتيجية، بدأت المشاورات مع الحلفاء ومع الكونجرس بداية بالسفير البريطاني. أما جون سيسكو مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأدني وجنوب آسيا فقد تولي المشاورات مع بقية الحلفاء

....

محادثة كيسنجر ـ السفير البريطاني جورج رولاند ستانلي بيرنج، إيرل أوف كرومر الساعة ٤,٢٥ بعد الظهر بتوقيت نيويورك.

ك: أردت أن أطلعك علي استراتيجيتنا العامة علي أن تكون هذه المعلومات لرئيس الوزراء فقط. وأرجو أن يمكننا العمل بشكل لصيق كما فعلنا في سبتمبر ١٩٧٠

كرومر: أنا متأكد أننا نرغب في ذلك أيضا

ك: دعني أبدأ بقراءتنا للموقف. نحن واثقون بأن العرب هم الذين بدأوا هذا الأمر. وكنا قد تلقينا تأكيدات بأن إسرائيل لن تقوم بشن هجوم استباقي ونقلنا ذلك للمصريين والسوفيت. وقلنا أنه إذا قامت إسرائيل بذلك فإننا سنعارضهم علنا.

كر: هل جري ذلك مؤخرا؟

ك: كان هذا في المساء، ولكن الوقت كان قد تأخر للتأثير في القرارات التي تم اتخاذها. لقد تحدثنا مع السوفيت واقترحنا عقد اجتماع لمجلس الأمن وأن يكون هناك قرار بسيط يدعو إلي وقف اطلاق النار والعودة لخطوط ما قبل اندلاع المعارك. ولقد قمنا بذلك لأن مثل هذا القرار سيكون محايدا ولا يتطلب أي إدانة. ونحن نتوقع أنه خلال يومين ـ ما لم تكن تقديراتنا خاطئة تماما ـ أن يأتي العرب علي ركبهم يترجون منا القيام بذلك. نريد التحرك في هذا الاتجاه قبل حدوث ذلك.

كر: نعم، قبل حدوث ذلك

ك: إذا ساندنا السوفيت في ذلك، فإننا في موقف جيد. وإذا لم يقوموا بذلك، فإننا يجب علينا التحرك بشكل سريع لنوضح أن العرب هم المعتدون في هذه الحالة ونعلن وقوفنا علي نحو ما إلي جانب الإسرائيليين. والأسباب التي تدفعنا لذلك هي أننا ـ وكما قرأت في الصحف وكما أخبرتك سابقا ـ بدأنا سلسلة من التحركات الدبلوماسية في محاولة لتحقيق بعض التقدم، وهذا الأمر يعتمد علي قدرتنا في إقناع الإسرائيليين بتقديم ضمانات أمنية أخري.

كر: لقد ناقشت مع....

ك: إذا لم يستطيعوا رؤية ما نقوم به، فإن أية ضمانات نقدمها لن تكون لها أي قيمة. وإذا لم يشترك معنا السوفيت في تهدئة الأمور الآن، فإننا يجب أن نفترض تواطؤهم معهم (العرب) بشكل مسبق. إنه من مصلحة الجميع ـ بما في ذلك أوروبا الغربية ـ ألا تعارضنا في هذا الموقف المحدد.

كر: متي سوف يلتقي مجلس الأمن؟

ك: لقد اتصلت بدوبرنين. لقد وصلنا رد من السوفيت بالفعل، ولن أقوم بإبلاغ آخرين بهذا الأمر: إذا تحولت الجمعية العامة لمعركة دعائية، فلن يتمكن أحد من الوصول لنا علي مدي بقية الأسبوع وبغض النظر عن مدي روعة الخطب التي سيتم إلقاؤها في نيويورك. ولن يكون من السهل التعامل معنا كما هو الحال الآن. ومن ناحية أخري، فإننا علي استعداد للتعاون الآن لمحاولة التقدم علي أساس محايد.

كر: بالتأكيد

ك: سوف ننتظر. لقد أمهلت دوبرنين حتي الخامسة مساء وسوف ننتظر ساعة إضافية حتي السادسة لوصول رد من موسكو. وإذا لم يحدث ذلك، فلقد طلب مني الرئيس أن أطلب من سكالي (سفير أمريكا في الأمم المتحدة) الدعوة لاجتماع لمجلس الأمن. ولن نقوم بتبني موقف يدين طرف ما لم يقم السوفيت بمساندة العرب. سوف نكون ممتنين لو قام ممثلكم بالتنسيق معنا من أجل الحصول علي الدعم.

كر: سوف أعمل علي ذلك فورا

ك: أرجو منك إبلاغي بالتوجيهات الصادرة إلي ممثلكم.

كر: هل كان هذا الأمر مفاجئا تماما، كما كان الحال بالنسبة لي؟

ك: نعم، وللمرة الأولي ـ وهذا الكلام لك ولرئيس الوزراء فقط ـ عندما قمنا بطلب تقارير واتصلنا بالسفير الإسرائيلي، تنبأ أن الإجراءات دفاعية في الأساس. وعندما وصلني تقرير هذا الصباح، كان هذا هو موقفهم حتي مساء أمس. ولقد وصلنا التأكيد الأول هذا الصباح. وبعد ذلك، بدأت القيام باتصالات هاتفية وتقديم الضمانات لكافة الأطراف. ولكن بعد ثلاث ساعات بدأت الحرب.

كر: لديكم أصدقاء، كما هو الحال في فيتنام الشمالية وفي أماكن أخري من العالم. يبدو أنهم غير موثوق فيهم.

ك: هل تقصد موسكو؟

كر: لا، أعني العرب. ألا تعتقد أنهم كانوا متفوقين هذه المرة؟

ك: نعم، متفوقون للغاية. وسوف تكشف العمليات العسكرية إذا ما كانوا قد قاموا بعملية انتحار. ومعلوماتنا ـ رغم أنه لا يوجد لدينا الصورة كاملة ـ تفيد أنهم تمكنوا من العبور من خمس نقاط ولم يتبق سوي جسرين.

....

وفي وقت متأخر من اليوم وصلنا أول رد مفصل من موسكو.

٩

رد موسكو على الدعوة إلى عقد مجلس الأمن:

"إسرائيل هي التي تحتل أراضى عربية.. والدول العربية ضحية العدوان"

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الجمعة ١٠ أكتوبر ٢٠٠٣م ـ ١٤ شعبان ١٤٢٤هـ

يتابع كيسنجر في هذه الحلقة التاسعة من كتابه الأزمة سرد محادثاته التليفونية مع أطراف الصراع والتي تتركز علي الخلاف حول عرض الموقف علي الجمعية العامة للأمم المتحدة أو علي مجلس الأمن.

السفير دوبرنين ـ سكوكروفت الساعة ٥,٤٥ بعد الظهر

لقد وصلني رد من موسكو بخصوص الدعوة لعقد مجلس الأمن. وفيما يلي ملخص للرد:

يوجد لدينا شكوك جدية في النتائج التي يمكن تحقيقها بالتسرع في الدعوة لعقد اجتماع لمجلس الأمن. وحتي الآن لم يطلب أي من طرفي الصراع عقد اجتماع لمجلس الأمن.

ثانيا، إن الظروف لا تبدو واضحة تمامًا من ناحية عدم وجود اتصالات واضحة مع الأطراف المتصارعة. ونفترض أن كلانا لا يوجد لديه القدرة في هذه الظروف أن يكون له اتصالات جيدة مع أطراف الصراع لمعرفة ما يجري. وفي ظل هذه الظروف، فإننا لا نعتقد أن عقد اجتماع لمجلس الأمن سيكون أمرا مرغوبا فيه، لأنه سيؤدي إلي تبادل الاتهامات بيننا وذلك لأن موقفنا من قضية الشرق الأوسط معروف. وموقفنا لن يتغير خلال هذا الاجتماع الخاص لمجلس الأمن. وسوف نكون مجبرين علي التصريح بموقفنا المعروف مما سيؤدي إلي مواجهة مفتوحة معكم.

كان موقفنا منذ سنوات فيما يتعلق بالشرق الأوسط ومنذ ١٩٦٧ هو أن إسرائيل هي التي قامت باحتلال أراضي عربية وأن الدول العربية التي تم احتلال أراضيها هي ضحية للعدوان. ولا نعتقد أن هذا الأمر سوف يوصلنا إلي أي جديد. وسوف نكون مضطرين للقول بأنه يوجد بالفعل قرارات جيدة في الأمم المتحدة، وأن الأمر متعلق بتطبيق هذه القرارات. ولذلك فإننا نري أن عقد اجتماع لمجلس الأمن غير مرغوب فيه. وفي نفس الوقت، فإن الموقف المعقد والخطير يتطلب مواصلة التشاور بيننا حول كيفية تسوية قضية الشرق الأوسط. هذا هو ملخص للبرقية وسوف أبقي هنا.

كيسنجر ـ ابا إيبان السادسة مساء

إيبان: تقرير مفصل....

ك: إذا كان بإمكانك توفير هذا التقرير في أقرب فرصة ممكنة. إذا قمت بتوصيل التقرير لممثلينا، فإنهم سيقومون بإعداد نسخ منه وسوف يكون متوافرا في دمشق قبل أن أراه!

إ: إن التقدم السوري توقف بسبب حلول الظلام. هناك كتيبة محاصرة في جبل هرمون جبل الشيخ ولا يوجد لدينا اتصال مع من هناك. لقد قمنا بتدمير ستين دبابة ولقد تعطل عدد من دباباتنا. ولقد أطلق السوريون ثلاثة صواريخ من طراز فروج، ولكنها لم تسقط حيث كان من المفترض أن تسقط، وأصابت واديا صغيرا (ميكال). كما قاموا بقصف أحد الكيبوتزات وهو ما أدي لمقتل عشرة في الشمال وجرح ثلاثين.

ك: كم عدد الطائرات التي تم إسقاطها؟

إ: لا أعرف ذلك. إن موقفنا صعب علي الجبهة المصرية. لقد تمكنوا من تأمين موطئ قدم علي الجبهة الشرقية، كما أقاموا جسر وسوف يحاولون نقل قوات عبره خلال الليل. كما أطلقوا صاروخ أرض - جو تجاه تل أبيب ولقد تمكنت إحدي طائرتنا من إسقاطه بينما هو في الجو. وتمكنا من إسقاط نحو خمسة عشر طائرة هليكوبتر تابعة لهم وفقدنا ثلاث طائرات مقاتلة. وبلغ إجمالي عدد القتلي خمسين والجرحي١٤٠.

ك: هذه هي المعلومات التي أرغب فيها. هل لديك أي معلومات عن خطط هجومية؟

إ: وزير دفاعنا يقول إن الأمر سوف يستغرق عدة أيام ولكننا سوف نستعيد مواقعنا. لدي ثقة أننا سنستعيد مواقعنا.

ك: هل تعتقد أننا لا يجب علينا الإسراع - ما هي وجهة نظرك؟

إ: هذه هي وجهة نظري.

ك: ألا نتسرع؟

إ: هناك درجات مختلفة من المساندة حتي مع بدء النقاش (في مجلس الأمن)

ك: إنني أفكر إذا ما كنت سأطلب عقد اجتماع الليلة أو غدا

إ: أقترح غدا

كيسنجر - دوبرنين الساعة ٦,٢٠ مساء

ك: لم أطلع علي نص رسالتك بعد. قدم لي تفسيرك. ما رأيك؟

د: انطباعي هو أنه لا يوجد لدينا معلومات من العرب. غدا سوف يكون مناسبا. هم يرون أنها ستكون جلسة نقف فيها متعارضين. هم لا يحبذون الفكرة.

ك: ماذا تقول؟

د: إن أيا من الأطراف لم يطلب عقد اجتماع لمجلس الأمن، فلماذا نقدم نحن علي ذلك؟ كما أن عقد الاجتماع سيجبر كلا منا علي ترديد مواقفه القديمة.

ك: إن لدينا حالة هجوم عسكري. والموقف صعب ويتعلق بالمفاوضات. إن الأمر سيختلف عندما يكون للاتحاد السوفيتي موقف في المفاوضات المبدئية، أو أن تتبنوا موقفا بعد أن تكون العمليات العدائية قد بدأت بالفعل. وخلال ثلاثة أيام سوف تتوسلون من أجل عقد اجتماع لمجلس الأمن.

د: أنا أفهم. موقفنا في موسكو هو أنهم لا يريدون التدخل فورا. إنهم سوف يحاولون استعادة الأرض...

ك: ماذا تقولون لهم (العرب) فيما بينكم؟

د: نحن لا نحبذ هذه الفكرة.

ك: ولكن إذا كنتم علي دراية بالأمر، لماذا لم تقوموا بالتشاور معنا؟

د: ليست هذه هي القضية

ك: لقد أخبرنا جروميكو بما ننوي القيام به. لقد أخبرنا....

د: القضية هي مدي درجة تدخلنا من عدمه. الموقف قد يتطلب بعض النقاش من ناحيتنا...

ك: إذا كان هناك قرار من ناحيتكم بإجلاء رعاياكم

د: لا توجد لدي هذه المعلومات..

ك: هناك نتيجتان.

د: كل ما أقوله هو أننا لا نحبذ هذه الفكرة

ك: هناك ثلاث نقاط: أولا، الرأي العام وثانيا الكونجرس وأخيرا العلاقة الخاصة التي كنا نعتقد أنها متواجدة بيننا. إذا قلتم لنا مع بدء النقاش يوم الاثنين٨ أكتوبر أنه يجب علينا الانتظار، فإننا سنكون في موقف صعب. سوف يكون هناك جدل كبير في الجمعية العامة وسوف يصبح من الصعب حل القضية. إننا نمنع الإسرائيليين من القيام بالقصف، ولا أعرف إذا ما كان بإمكاننا الاستمرار في ذلك.

د: هذا واضح بالنسبة لي

ك: لقد طلب الزيات الكلمة يوم الاثنين (أمام الجمعية العامة)

د: كل ما يمكنني أن أقوله لك هو أنني سأتحدث مع موسكو

ك: سوف أتحدث مع الرئيس نيكسون وأخبرك بما سوف نقوم به. وسأتصل بك مجددا.

كيسنجر ـ السفير سكالي الساعة ٦,٤٠ مساء

سكالي: مجلس الأمن في حالة انعقاد الآن. هل سيبقي موقفنا كما هو؟

ك: لقد سمعت أنهم لن يعقدوا اجتماعا رسميا ولكنهم سيجرون مناقشات غير رسمية. موقفنا لم يتغير: المطالبة بوقف إطلاق النار والعودة إلي خطوط ما قبل اندلاع القتال. ويجب عليك لفت الانتباه إلي النقاط التالية: إذا دعونا فقط لوقف النار، فإننا في هذه الحالة سنكون قد استخدمنا الأمم المتحدة لإقرار العدوان، أي أنه بإمكانك الاستيلاء علي أراضي ثم المطالبة بوقف إطلاق النار، وهذا من شأنه خلق سابقة خطيرة. إذا تغير الموقف العسكري وبدأت إسرائيل في هزيمة العرب، فإننا سوف نطالب أيضا بالعودة إلي الموقف إلي ما قبل بدء العمليات العسكرية. هذا هو موقفنا وسوف نتمسك به خلال الأزمة. وكما أوضح ديفيد بوبر (مساعد وزير الخارجية لشئون المنظمات الدولية) فإننا لم نتمسك بهذا الموقف في ١٩٦٧ ولكننا سوف نقوم بذلك في ١٩٧٣ (في ١٩٦٧ كان هناك وقف لإطلاق النيران)

س: قضية أن هذا هو موقفنا في ١٩٧٣ هي النقطة الرئيسية

ك: نعم هذه هي النقطة الرئيسية، ولكن أعتقد أنه يجب أن نبقي هادئين وألا نناقش هذا الأمر كثيرا في الوقت الحالي. وسوف أخبرك إذا ما كنا سوف نطالب باجتماع لمجلس الأمن الليلة عندما يكون لدي مزيد من المعلومات. وبعد ذلك قمت علي الفور بالاتصال بدوبرنين لمراجعة الموقف والإشارة إلي ما يمثله من تهديد للعلاقات الأمريكية ـ السوفيتية. وكانت الاستراتيجية تقوم علي إقناع السوفيت بضبط النفس وذلك لخلق الظروف التي ستسمح في النهاية بالتقليل من النفوذ السوفيتي عن طريق خلق الشكوك لدي الجانب العربي في مدي اتساق الموقف السوفيتي.

كيسنجر ـ دوبرنين الساعة ٧,٢٠ مساء

ك: فيما يلي ما سوف نقوم به. بالإشارة إلي الرسالة التي قمت بتوصيلها لنا، فإننا لن نقوم بالذهاب إلي مجلس الأمن الليلة علي الرغم من أن نيتنا الأصلية كانت طلب عقد اجتماع في السادسة مساء. وسوف ننتظر منكم قرارا لتحديد كيفية المضي قدما حتي التاسعة غدا.

د: التاسعة صباحا؟

ك: نعم وذلك لكي نعطيك فرصة للذهاب إلي الكنيسة. وفي نفس الوقت أرجو منك أن تأتيني برد أكثر دقة من موسكو.

د: حول ماذا؟

ك: ما هي حقيقة نواياكم؟ إن انطباعي هو أنكم لا تريدون الدخول في حالة خلاف علني.

د: سوف أضع الأمر في صورة ودية. الحقيقة أننا في موقف صعب من الناحية العلنية.

ك: أود لو قمت بإعطائي إشارة إلي ما تقوم به في السر. لقد تعاملنا أنا وأنت سابقا مع مثل هذه الأمور بشكل شخصي ونحن مهتمون بالنتائج. نحن نريد وقفا لإطلاق النار والعودة إلي خطوط ما قبل اندلاع القتال. وأكرر أنه بحلول يوم الثلاثاء ٩ أكتوبر فإن هذا ما سوف تطالبوننا به. إننا لا نطلب منكم جميلا. إننا نحاول منع تدهور العلاقة بيننا وهو موقف سيترتب عليه نتائج خطيرة في هذا البلد وفي الكونجرس. إذا قلتم لنا أنكم تعملون مع المصريين والسوريين وأنه بحلول يوم الاثنين ٨ أكتوبر سوف ينتهي هذا الأمر فلن يكون هناك حاجة لمزيد من النقاش. إذا قلتم لنا أنه بحلول صباح الاثنين سوف يكون هناك وقف لإطلاق النار وعودة لما قبل اندلاع أعمال العنف. نحن لا نريد خلافا علنيا. قولوا لنا شيئا نفهمه. وسوف يبقي الأمر فيما بيننا مثل الكثير من الأمور التي احتفظنا بها. لا أطلب منكم الخروج بموقف علني مشترك. أنا أطلب منكم تحرك عملي بحلول صباح الغد علي أن يؤدي ذلك للنتيجة التي نريدها. وأن أؤمن أنك ستبلغ جروميكو وبريجنيف أنه بحلول يوم الثلاثاء علي أقصي تقدير فإن الموقف سيكون مختلفا تماما. صحيح؟ أليس كذلك؟

د: أنا أفهم.

١٠

السفير السوفيتى: العرب سيتهموننا بالتواطؤ مع أمريكا.. ومن الصعب أن نطلب منهم التوقف عن تحرير أراضيهم التي تحتلها إسرائيل

واشنطن: خالد داوود

الأهرام السبت ١١ أكتوبر ٢٠٠٣م - ١٥ شعبان ١٤٢٤هـ

في هذه الحلقة العاشرة يستكمل كيسنجر المحادثة الهاتفية التي أجراها مع السفير السوفيتي اناتولي دوبرينين حول إمكان اتخاذ موقف أمريكي سوفيتي مشترك في الامم المتحدة بشأن الموقف في الشرق الاوسط بعد عبور القوات المصرية قناة السويس الي سيناء واندفاع القوات السورية الي هضبة الجولان المحتلة، مما فاجأ الاسرائيليين وأربك صفوفهم.

كيسنجر: إن قراءتنا للموقف هي أن الهجوم العربي قد تم احتواؤه بالكامل وأنه يجري الآن دفعهم للخلف. وهذا الأمر سوف يتواصل مع استكمال حشد القوات الإسرائيلية وهو ما سوف يتم بحلول صباح يوم الاثنين علي أقصي تقدير وبعد ذلك سوف نري ما رأيناه من قبل. هذه هي قراءتنا العسكرية للموقف. نعتقد أن الأمر سوف يتم الانتهاء منه بحلول الغد. لقد أثبت العرب وجهة نظرهم وقاموا بالهجوم عبر القناة. ويمكنهم الآن الانسحاب بإرادتهم والعودة إلي الموقف الذي كان قائما. وفي هذه الحالة سيمكننا أن نضمن سويا نقاشا جيدا في مجلس الأمن.

دوبرينين: أنا لا أفهم وجهة نظرك من الناحية السياسية. ماذا تريد منا بينما موقفنا معروف منذ ١٩٦٧ وهو ضرورة العودة إلي حدود ما قبل ١٩٦٧.

ك: أعرف موقفكم.

د: أنني لا أناقش الأمر معك. ولكن سيكون من الصعب للغاية أن نطلب من العرب ذلك. أنا أفضل الانتظار حتي أعرف وجهة نظر موسكو ولكن فهمي لموقفنا هو أنه سيكون من الصعب أن نطلب من العرب التوقف عن محاولة استعادة اراضيهم التي تحتلها إسرائيل. هذا هو ما يقولوه لنا وأن نطلب منهم الامتناع عن تحرير أرضهم، فسوف يكون هذا مطلب سخيف للغاية.

ك: أنا مدرك للموقف. ولا أقول أنه سيكون سهلا. إن موقفنا مختلف. حتي الآن لم تقع غارات علي القاهرة ودمشق، ولكنني لن أراهن علي شئ بحلول الغد.

د: أفهم

ك: هل يمكن للمكتب السياسي أن يضع تصورا كاملا للتحرك نتفق عليه فيما بيننا؟

د: ما هو نوع التحرك الذي تتصوره بجانب مجلس الأمن؟

ك: عودة إلي خطوط ما قبل اندلاع القتال وعودة إلي وقف إطلاق النار. لقد أخبرت المصريين بالفعل أننا سنبذل مجهودا في أعقاب الانتخابات الإسرائيلية. ولقد أخبرت جروميكو أنني سأتحدث معه في يناير. ولكننا لن نقوم بأي من ذلك في حالة استمرار الضغوط...

د: أنا أفهم

ك: لدينا إطار يمكننا من خلاله تصور كيفية تحقيق تقدم. لقد أثبت العرب وجهة نظرهم.

د: هنري، كيف يمكنهم ذلك؟

ك: أنت تعرف أنهم سوف يخسرون. إن الأمر لا يتعلق بمطالبتنا....

د: أعرف. وجهة النظر العسكرية. لا يمكنني المجادلة معك فأنت تعرف الموقف بصورة أفضل. أنا أحاول فهم الموقف أفضل من الناحية السياسية.

ك: أنهم لم يحققوا شيئا حتي الآن (من ناحية السيطرة علي أراضي)

د: إذا كان هذا هو الموقف، فإننا نطالبهم بالرجوع إلي ماذا؟

ك: لدينا خياران: يمكننا أن ندع هذه الحرب تستمر حتي اللحظة التي يتمكن فيها الإسرائيليون من دفع العرب للتراجع من كل الأراضي ولكن قبل أن يبدأوا في التوجه نحو دمشق. إذا كنا محظوظين وتمكنا من اختيار اللحظة المناسبة تماما، فإنه سيمكننا المطالبة بوقف إطلاق النار حينذاك. الاحتمال القائم هو أن العرب لن يمكنهم الصمود لأكثر من أربع وعشرين ساعة ثم سوف يبدأون في التراجع إلي عواصمهم بعد ذلك وينتظروا حلول الشتاء.

د: إنني أفهم حقيقة الموقف. ولكن أن نذهب نحن إلي العرب ونقول لهم: انظروا، لا نعرف كم ما تمكنتم من الحصول عليه حتي الآن، ميل أو اثنان ولكن عليكم التراجع. سوف يقولون لنا: هل تطلبون أن نعيد أراضي هي ملك لنا؟

ك: ألا يمكنكم القول أنكم كنتم تعتقدون أنه سيتم بذل جهود من خلال التفاوض؟ لقد اثبتوا وجهة نظرهم ورؤيتهم لضرورة الإسراع في تحريك الأمر وهذه نقطة نفسية جيدة من أجل أن يقوموا ببادرة كريمة، بدلا من انتظار النتيجة النهائية للعمليات العسكرية. وبحلول مساء الاثنين ٨ أكتوبر سوف يكون قد تم طردهم من هناك في جميع الأحوال.

د: أنا أفهم

ك: هذه استراتيجية جديدة ـ استخدام التهديد بتعرضهم للهزيمة.

د: أنا أعرف هناك الكثير من الأمور التي يمكن قولها. السؤال هو من الناحية العملية.

كيف يمكننا مطالبتهم بإعادة أرض قلنا لهم أنها (ملك لهم)...

ك: أنا أفهم موقفكم الصعب

د: سوف يتهموننا بالتواطؤ مع الولايات المتحدة وإسرائيل.

ك: من سوف يوجه هذا الاتهام أولا؟

د: القاهرة. من الرجل الذي التقيت به (الزيات) سوف يقول أن الروس متواطئون مع الأمريكيين.

ك: إذا تمكنا من التوصل إلي تسوية للأمر الآن، فإن هذا سوف يعطي دفعة قوية لكل ما كنا نقوم به في مجال تحسين علاقتنا وسياسة التهدئة. ولكن إذا اتجهت الأمور في اتجاه معاكس، وبدأنا يوم الاثنين٨ أكتوبر في الخلاف علنا في مجلس الأمن وتبادل الاتهامات فإن الأمر سيتحول إلي كارثة.

د: أؤكد لك أننا لن نهاجم الولايات المتحدة. ولكني لست متأكدا مما سوف يقوم به الإسرائيليون

ك: أناتول، مع كل الاحترام، فإننا سوف نواجه هذه المشكلة خلال الثمانية والأربعين ساعة القادمة. بافتراض أننا لم نقم بشيء وكذلك أنتم. بحلول الثلاثاء أو الأربعاء علي أقصي تقدير، فإن العرب سوف تتم هزيمتهم ما لم تكن تقديراتنا خاطئة. عند هذه النقطة، ما الذي سوف نقوم به؟

د: هل تحدثت مع المصريين مرة أخري؟

ك: لا. هل تعتقد أنه يجب علي القيام بذلك؟

د: نعم أعتقد أنه يجب عليك القيام بذلك. أخبرهم بتقديرك للموقف.

ك: سوف أقوم بالاتصال بهم الليلة ثم أقوم بالاتصال بك بعد حديثي معهم

د: أعتقد أن ذلك سيكون أفضل كثيرا. بالنسبة لنا، سيبدو الأمر وكأننا نتخلي عنهم.

ك: سوف نترك الأمور عند هذه النقطة. لن نذهب لمجلس الأمن الليلة لكي نعطي أنفسنا فرصة للتفكير. كلانا يجب أن يفكر في الأمر. وأرجو أن تأتيني برد فعل موسكو بحلول التاسعة من صباح الغد. وإذا وردت لي أي أفكار جديدة، سوف أقوم بالاتصال بك.

د: ليس الليلة، فأنا أذهب للنوم مبكرا

ك: ما يجب عليك فهمه أنه إذا تحول الأمر إلي معركة دعائية يوم الاثنين في مجلس الأمن، فإن خط الحماية الوحيد بالنسبة لنا هو أن نتبني موقفا متشددا وأن نعلم حقائق الحياة لأولئك الذين يحبون إلقاء خطب عصماء وسوف نري ما هو الأهم: الواقع أم الخطب. سوف أكون قاسيا للغاية. هذه هي استراتيجيتنا. نريد احتواء الموقف قبل ذلك، علي الأقل من خلال تفاهم..

كيسنجر - هيج الساعة ٧,٣٠ مساء

ك: لقد أخبرت الروس أنه لن تمضي ثلاثة أيام إلا ويقوم الإسرائيليون بإلقاء المصريين خارجا وحينذاك سيأتون لنا.

هيج: بالتأكيد

ك: كما أخبرت الروس أن جلسة الجمعية العامة التي ستبدأ الاثنين ما لم نبدأ في مجلس الأمن - وهذه هي توصيتي ما لم تشعرون بقوة بضرورة القيام بعكس ذلك. لقد قلت لدوبرنين أنه ما لم يسمع مني عكس ذلك، فإن أمامه حتي غد لكي يتجنب هذا المأزق.

هيج: نعم

ك: إذا لم يحدث ذلك، فإنه سيتوجب علينا التوجه إلي المجلس. وإذا لم نتوجه الي المجلس فسوف نتعرض لنقد شديد في الجمعية العامة يوم الاثنين

هيج: أعتقد أنهم فهموا الموقف. جيدا

ك: لقد قلت لدوبرنين أنه إذا ذهبت القضية إلي الجمعية العامة وجري انتقاد الولايات المتحدة هناك، فإنني أريدهم أن يعرفوا أن موقفنا سيكون أن الكلمات كلمات والأفعال أفعال، وأن من يقومون بالأفعال سوف يتم السماح لهم بالتصرف بحرية لمدة يومين. أرجو أن تتأكد أن الرئيس علي دراية بالموقف.

هيج: سأقوم بذلك. إنه مهتم بالقيام بشيء غدا صباحا.

ك: بحلول العاشرة صباحا سيكون بإمكانك الإعلان أنه طلب إحالة الأمر إلي مجلس الأمن

هيج: لا أستطيع أن أفهم ماذا يعتقد الروس أنه بإمكانهم أن يكسبوه.

ك: الحقيقة هي أنه يبدو أن المصريين قد تمكنوا من عبور القناة بأعداد أكبر مما تخيل الإسرائيليون أنه ممكن.

هيج: حقا؟

ك: الإسرائيليون يقولون أنه هناك جسر حقيقي عبر القناة. وهناك ستين قتيل و ١١٠ جريح. لا بد أن تضرب هذا الرقم في مائة لكي تحصل علي الرقم المساوي لحدوث خسائر في صفوف القوات الأمريكية، وذلك في حالة فقداننا لستة آلاف قتيل و١٥ ألف جريح في يوم واحد. الأمر ليس مزحة. الإسرائيليون يقولون أنهم أسقطوا ستة طائرات هليكوبتر تحمل جنود. (التناقض بين المعلومات الواردة هنا وتلك المذكورة في مكالمة الساعة السادسة سببها توافر معلومات استخباراتية جديدة).

هيج: طائرات الهليكوبتر تحمل ما بين عشرة إلي خمسة عشرة جندي

ك: حسنا. سوف نتقدم علي هذا الأساس

هيج: إلا إذا رغبت في القيام بتغيير

ك: أنا مرتاح لهذا الموقف

هيج: أفهم من ذلك أنك تفضل القيام بذلك غدا

ك: نعم

هيج: سوف يكون لديك المزيد من الأخبار غدا. من الناحية السياسية من الأفضل منح الروس عددا إضافيا من الساعات ثم التراجع بعد ذلك للخلف.

ك: لا بد أن نتابع الموقف بدقة. إذا تبنوا موقفا متشددا فإننا سنعرف ما نواجهه. هناك أمران: الأول أنه إذا أن بدا أن الروس يراوغون فإنه لن تكون هناك حدود لما يمكن لنا القيام به. أما إذا تبنوا موقفا متهادنا، فإنه سيكون من الصعب علينا اتخاذ موقف متصلب.

هيج: هذه هي وجهة نظري

ك: نحن في موقف جيد

هيج: هذه هي وجهة نظري تماما. لا اعتقد أنه يمكننا أن نتبني موقفا رخوا

ك: ما دمنا أننا ندير الأمر بهذه الطريقة

هيج: سوف يحاولون أن يتبنوا موقفا متهادنا ولكننا يجب أن نسمي الأمور بأسمائها

ك: هذا صحيح أيضا. هناك حدود من الناحية الزمنية أيضا. لقد أعطيتهم حتي التاسعة من صباح الغد. أعتقد أنه سيكون من الخطأ أن نذهب في وقت مبكر عن ذلك، فنحن لا يوجد معنا ما يكفي من الأصوات حتي الآن في مجلس الأمن

هيج: تماما. لقد أخبرت الرئيس (نيكسون) ذلك

ك: هل كان يفضل الذهاب (إلي مجلس الأمن) الليلة؟

هيج: كان هذا موقفه بشكل مبدئي. ولقد أخبرته أن البريطانيين تراجعوا عن المطالبة بالعودة إلي خطوط ما قبل اندلاع القتال ورأيك أننا لا يجب أن نتخذ موقفا معارضا للآخرين قبل أن يفكروا في الأمر. إذا تحدثت مع دوبرنين مرة أخري، أخبره بأن هذا هو ما سوف نقوم به.

ك: لقد أخبرته ذلك بالفعل.

.....

كيسنجر - هيج الساعة الثامنة مساء.

ك: البريطانيون سوف يساندون قرار يدعو فقط لوقف إطلاق النار وليس العودة إلي خطوط ما قبل بدء العمليات العسكرية. هذا سوف يجعلنا نواجه مشكلة. التحرك القادم سوف يكون فرض عقوبات علي إسرائيل لرفضها وقف إطلاق النار. بحلول يوم الثلاثاء أو الأربعاء إسرائيل قد تكون داخل الأراضي العربية وفي هذه الحالة سوف يوافقون علي وقف إطلاق النار. النقطة الثالثة هي أن طرفا سيكون بإمكانه الاستيلاء علي أراضي ثم القبول بوقف إطلاق النار. النقطة الأولي هي هل نذهب إلي مجلس الأمن الليلة والثانية هي ما نوع القرار الذي سنطالب به.

هيج: شعوري هو أن نتوجه اليوم

ك: بإمكاننا أن نعطي السوفيت حتي التاسعة من صباح الغد. وإذا فوجئوا بهذا الأمر فهذا معناه أنهم مشوشون. أما إذا لم يفاجئوا فهم يحاولون شراء الوقت

هيج: أنا لا أعرف كيف تسير المعارك

ك: هم (العرب) في حالة هجوم. الإسرائيليون في حالة رهبة كبيرة

هيج: هم ليسوا محاصرين

ك: ولكن لا توجد أية هجمات بالصواريخ علي الجبهة الأخري

هيج: أنا لا أريد هجمات بالصواريخ. أعتقد أن المصريين يريدون منهم أن يأتوا هناك في مواجهة صواريخهم ولكن الإسرائيليين لم يقوموا بالرد. أعتقد أنه بإمكاننا الانتظار حتي الصباح.

ك: سوف نذهب (إلي مجلس الأمن) بحلول التاسعة صباحا

هيج: هذا هو ما أعتقده

....

كيسنجر - السفير تابلي بينيت نائب ممثل الولايات المتحدة لدي الأمم المتحدة ٨,٤٥ مساء

ك: هل كنت مع سكالي في....

بينيت: نعم يا سيدي

ك: وماذا حدث؟

ب: لقد نجحنا في منع صدور أي بيان الليلة

ك: هل هناك أي طرف يريد إصدار بيان؟

ب: نعم. الرئيس الاسترالي (لمجلس الأمن) كان لديه بيان معد وكان يقول أنه بدءا من الغد فإننا سنقوم بالتشاور لعقد اجتماعات... البيان أمامي الآن. يمكنني قراءته إذا أردت ذلك

ك: نعم

ب: "أعلن رئيس مجلس الأمن في السادس من أكتوبر أنه تناقش بشكل عاجل مع أعضاء المجلس حول القتال الذي أندلع في الشرق الأوسط في هذا اليوم. فقرة. علي أساس المعلومات المتوافرة حتي الآن، فإن أعضاء مجلس الأمن قد أعربوا عن قلقهم الكبير من تطور الموقف واستيائهم من استئناف العمليات العدائية في خرق لوقف إطلاق النار. فقرة. ولقد تم تفويض الرئيس من قبل أعضاء المجلس كخطوة أولي بأن يطلب من الأمين العام أن يطالب كل الأطراف بالوقف الفوري لكافة العمليات العسكرية وأن يطلع المجلس علي ردود أفعالهم. فقرة. ولقد أوصي أعضاء المجلس بهذه الخطوات المؤقتة من دون الانتقاص من حقوق ومطالب الأطراف المعنية". ولقد أوضح جون سكالي أن

هذا البيان سيكون غير مقبول منا من دون الإشارة إلي الانسحاب في نفس الوقت وأن يكون ذلك مرتبطا بوقف إطلاق النار من وجهة نظرنا.

ك: جيد للغاية

ب: ولقد تمكنا بعد النقاش مع البريطانيين والفرنسيين والنمساويين والاستراليين علي الموافقة علي عدم صدور أي بيان وقال جون سكالي أنه يأمل أن يكون لديه توجيهات بحلول العاشرة من صباح الغد.

١١

سألت الزيات: كيف يمكننى وقف القتال الآن؟ فأجابنى سأستقل الطائرة غدًا للقاء السادات

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الأحد ١٢ أكتوبر ٢٠٠٣م - ١٦ شعبان ١٤٢٤هـ

في هذه الحلقة الحادية عشرة من اعترافات كيسنجر يورد وزير خارجية الولايات المتحدة الاسبق نصوص مكالمات هاتفية مع مندوب بلاده في الأمم المتحدة ثم مع وزير خارجية مصر الأسبق محمد حسن الزيات وأخيرا مع السفير البريطاني الذي كان يري أن أسوأ شيء هو عقد المداولات حول الأزمة في الجمعية العامة بدلا من مجلس الأمن

بينيت: أتخذ الصينيون موقفا بأنهم لن يوافقوا علي أي بيان طالما لم يطالب المصريون أو السوريون بتحرك من مجلس الأمن

ك: وهل سيوافقون علي عقد اجتماع لمجلس الامن غدا؟

ب: أعتقد أنهم سيعارضونه، ولكن من حق كل عضو الدعوة لاجتماع

ك: ولكن هل هذا معناه أنهم سيستخدمون الفيتو في مواجهة أي تحرك؟

ب: قد تكون هذه هي النتيجة

كيسنجر ـ الزيات ٨,٤٨ مساءا

ك: أردت أن أعاود النقاش معك في نهاية يوم لا شك أنه كان متعبا. ودعني أطلعك علي تقييمنا للموقف بصراحة كما اعتدنا دائما. أولا: اعتقد أن نقاشنا مضي بشكل جيد أمس حول بدء عملية السلام في يناير وفي بناء ثقة مشتركة بيننا وما زلت أتطلع للقاءك في هنا في نوفمبر لمواصلة نقاشنا. الآن نحن في موقف صعب. وإذا لم يتوقف القتال خلال وقت مناسب فإن الأمور قد تخرج عن نطاق السيطرة. الآن تقييمنا للموقف هو أنه إذا استمر القتال، فإن الإسرائيليين ستكون لهم اليد العليا في الغالب. من الممكن أن تختلف مع هذا ولكن هذا هو تقييمنا ولذلك فإننا نقترح أننا نفضل وقف لإطلاق النار بجانب العودة إلي خطوط ما قبل اندلاع القتال.

الزيات: هذا أمر غريب للغاية.

ك: إنني أتفهم موقفك ولقد تحدثنا في هذا الأمر يوم الجمعة٥ أكتوبر، ولكن هذا الأمر قد يصب في النهاية في مصلحة العرب إذا تطور الأمر كما ينبغي. أردت منك فقط أن تعرف وعلي مستوي شخصي أنه إذا أخذت الحرب اتجاها معاكسا، فإننا لن نرحب بقيام إسرائيل بالحصول علي مزيد من المكاسب من ناحية الأرض. ونود لو ينتهي هذا الأمر بطريقة لا تجعل من الصعب مواصلة ما اعتقدت أنه بداية جيدة لاحتمال عقد نقاش. لا يوجد لدي مقترحات محددة، ولقد حاولنا ممارسة ضبط النفس اليوم علي أمل حدوث تطور ما.

الزيات: بالطبع إن قضية العودة إلي ما كنا عليه بعد مقتل نحو خمسة آلاف مصري هو أمر خارج النقاش في القاهرة. إذا قلت هذا في القاهرة، فإنه سيعتبر ضربا من الجنون.

ك: كم عدد القتلي من المصريين؟

: لا أعرف كم عدد القتلي، ولكنه قد يكون بالآلاف.

ك: بالطبع. إن انطباعنا هو أنكم أنتم الذين بدأتم هذه المرة، ولكن قد نكون مخطئين.

ز: حتي لو كان هذا هو الموقف، كيف يمكنك أن تنصح أحد بعد القيام بذلك (ومقتل خمسة آلاف) أن يعود إلي حيث كان؟ هذا الأمر غير معقول بالمرة. وأرجو أن تتذكر أنك كنت تتحدث عما يمكننا أن نقدمه لهم منذ وقف إطلاق النار. لقد كانت الأمور تسير بشكل جيد بالنسبة لهم منذ وقف إطلاق النار وتمكنوا من مواصلة احتلالهم لمدة ستة سنوات. أعتقد أنه سيكون من الأفضل لهم أن يدركوا أن ذلك قد أدي إلي الحرب، ولذلك يجب أن نعثر علي حل للأمر

ك: أتفق معك تماما في هذا الأمر

ز: لقد كانوا سعداء للغاية ولم يكونوا يرغبون في القيام بشيء بسبب وقف إطلاق النار. ووقف إطلاق النار كان يكلفنا الكثير كل يوم كما قلت لك سابقا عندما تحدثنا سويا. لا أعرف من بدأ هذا أو كيف بدأ ولكننا سنحاول التقدم بأفضل طريقة بعد ما حققناه الآن.

ك: وما هو الذي تحقق؟

ز: لا أعرف. ولكن العودة إلي ما كنا عليه، بالطبع لا يمكن لأحد أن يقترح ذلك للحكومة وتحديدا أنا. ولكنني لا أعرف ما هي المواقف القادمة. إنني لم أذهب إلي المجلس لأنني لم أعرف ماذا أفعل هناك. المجلس قد يكون معي ولكن هناك فيتو واحد (أمريكي).

ك: ما هي وجهة نظرك؟

ز: لا أعرف. هل لديك أية اقتراحات؟ لقد قمت بدراسة الموقف لفترة طويلة وتعرف الآخرين بينما نحن لا توجد لنا أي علاقة بهم.

ك: نظريتنا هي أن الجانب الآخر سوف يقوم بشن هجوم قوي خلال يوم أو اثنان. وحينذاك سيكون لدينا مشكلة كبيرة يجب علينا أن نتعامل معها، ونود احتواء القتال لأقصي درجة ممكنة وذلك لكي نعطي فرصة للدبلوماسية. ما أعنيه هو أنكم بتوضيح موقفكم بكل تأكيد، وهو ما سبق أن عبرت عنه لي بطريقة واضحة وحقيقة أنكم لا يمكنكم قبول الوضع القائم.

ز: إن الموقف مستحيل بالنسبة لنا. لقد قلنا مرارا: هذه أراضي مصرية. لقد كان الأمن مضمونا لإسرائيل عن طريق مياه القناة، ولذلك كيف كان يمكنهم التخلي عن الأمن؟

ك: لا. أعتقد أنها كانت عملية مؤثرة من نواحي عديدة.

ز: لا يوجد أمن هناك. الأمن ممكن فقط مع قبول التعايش

ك: لا يوجد لدي للأسف خطة محددة، ولكنني أعتقد أنك عبرت عن وجهة نظر جيدة. أحداث اليوم عبرت عن وجهة نظر قوية والقضية الآن هي كيف نتحرك من هنا نحو تحقيق نتائج إيجابية بدلا من توسيع الحرب، وهو ما من شأنه أن يؤدي إلي نتائج عكس ما تحقق.

ز: سوف أقوم بأي شيء. أنا غير مهتم كثيرا بالحرب أو بهذه الأمور برمتها

ك: أنظر لقد أقنعتني أمس بالفعل بنواياك الجادة والحسنة

ز: إن كيفية الوصول للسلام هي أهم قضية في أي مكان في العالم

ك: اتفق معك تماما

ز: السؤال الآن هو ما الذي يمكنني اقتراحه؟

الاقتراح بالعودة إلي خطوط الأمس. لا يمكنني حتي أن أهمس بذلك.

ك: بافتراض أن ذلك قد يحدث خلال يوم أو اثنين.

ز: نعم. إذن اعتقد أنه ما لم يأت مساعدة من أي مكان (من أمريكا لإسرائيل)، فإنه سيمكننا الدفاع عن ما لدينا بأفضل ما لدينا من قدرات. ولكن هناك تلك النقطة الخاصة بالمبالغة بالاهتمام بالأمن وأنه لا توجد حماية حقيقية. يمكننا أن نقول ذلك الآن ثم نبدأ في القيام بشيء ما، ربما.

ك: هذا هو ما أفهمه ووفقا لوجهة النظر هذه وإذا أظهرنا القيادة المناسبة، فقد يظهر شيئا إيجابيا من هذا الموقف برمته. هذا إذا تم ذلك بطريقة فعالة وعملية. ما أريد أن أقوله لك أنني منفتح للنقاش وأننا لا نرغب في خلق مشاكل.

ز: أتمني ذلك لأن هذا لن يكون جيدا لأي طرف.

ك: ولكن هل تري ضرورة طرح هذا الأمر علي الجمعية العامة؟

ز: أنا لن أذهب إلي الجمعية العامة. هناك خطأ حول هذا الأمر. ما أردت القيام به هو تسليم الخطاب الذي قمت بتسليمه اليوم إلي الجمعية العامة. ويوم الاثنين سوف أقوم بتسليم هذه المذكرة مجددا وهذا هو كل ما في الأمر. نحن لا نريد مداولات في الجمعية العامة.

ك: لا تريد مداولات؟

ز: لا

ك: إذن هناك سوء فهم. اعتقدت أنك تريد ذلك.

ز: لا أنا لا أريد ذلك حتي شهر نوفمبر وذلك لكي أعطيك فرصة. ما سوف أقوم به هو قراءه الخطاب الذي سلمته لرئيس الجمعية العامة اليوم كبيان عما حدث ثم سوف أجلس للاستماع لبقية المتحدثين كما يرغبون. ولكن بسبب عدم وجود اجتماع اليوم، فلقد أخرت أي طلب لعقد مداولات. أعرف أن التقارير في الراديو تقول شيئا آخر، ولكنني لم أطالب بعقد مداولات ولم أثر الأمر من الأساس إذا كان هذا من شأنه المساعدة. اسألهم ما الذين سيقومون به علي الأرض. هذا أكثر أهمية.

ك: الآن بافتراض أننا قلنا أننا سنمنح هذه الفرصة. كيف يمكننا وقف القتال الآن؟

ز: أنا لا أعرف بالفعل. أنت بعيد عن الموقف ويمكنك أن تفكر بطريقة أكثر هدوءًا ويمكنك أن تقدم لي اقتراحات. سوف أستقل الطائرة غدا للقاء الرئيس السادات ثم أعود إلي هنا مجددا. وسوف أقوم بأي شئ لأنني مؤمن بالفعل أن كل الحروب سوف تؤدي إلي نوع من السلام في النهاية، والسلام هو ما نريده. وأعتقد أن هناك تفاهم حول هذا الأمر ولقد كررت لي ذلك مرارا.

ك: لقد شرحت لي ذلك يوم الجمعة

ز: نعم ولقد قلنا ذلك من قبل. ربما لا يمكنك أن تقول ذلك علنا ولكنها حقيقة. ولذا إذا حصلنا علي أي دعم أو تشجيع من أمريكا فإنه يمكننا تقديم شيء في المقابل أو شيء من هذا القبيل. وأنا لا أتحدث باسمي. عموما يمكنك التفكير في هذا الأمر حتي غدا وسوف نقوم بالاتصال بك ثانية لنري ما يمكن القيام به.

ك: دعني أفكر في الأمر الليلة وسوف أتصل بك غدا

وكانت القضية الأساسية بالنسبة للأمم المتحدة هي عدم تمرير قرار محدد وكذلك منع عزل الولايات المتحدة أو زيادة اشتعال الموقف في المنطقة العربية أو نشوء تحالف بين أوربا والاتحاد السوفيتي مع العالم العربي.

وتحديدا ١ ـ كنا نعارض وقف إطلاق النار علي ما هو عليه الحال لأن ذلك من شأنه خلق سابقة يتم فيها استخدام الأمم المتحدة لإضفاء شرعية علي مكاسب يتم تحقيقها من خلال هجوم عسكري.

١٢

أداء العرب كان أفضل مما توقع أي طرف

الإسرائيليون في ذهول ويلحون في طلب الأسلحة

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الاثنين ١٣ أكتوبر ٢٠٠٣م ـ ١٧ شعبان ١٤٢٤هـ

كنا نبحث عن أساس لسياسة أمريكية ولتحرك من قبل الأمم المتحدة في الوقت الذي تنبأت فيه كافة أجهزة المخابرات بحتمية تحقيق نصر إسرائيلي، وكنا نسعي لمنع الاتحاد السوفيتي من قيادة حملة ايديولوجية وجيوسياسية ضد الولايات المتحدة وإسرائيل، كما كنا نسعي للسيطرة علي عملية المسيرة السلمية الدبلوماسية بعد انتهاء العمليات العسكرية، ولذلك بقينا علي اتصال لصيق مع وزير الخارجية المصرية ومع السادات، ولم ينقطع هذا الخط نهائيا حتي في أسوأ مراحل النزاع.

ولمنع أي إشارات متضاربة قد تأتي لموسكو من القاهرة، فلقد أحطت دوبرنين علما بمحادثاتي مع الزيات. وساعد ذلك أيضا في توجيه تحذير مفاده أننا نعمل علي تطوير اتصالاتنا الخاصة مع من كان حليفا سوفيتيا علي الرغم من أنه لم تكن لدينا علاقات دبلوماسية معه.

كيسنجر ـ دوبرنين الساعة ٩,١٠ مساء

ك: تحدثت مع حليفكم الزيات

د: وماذا كان رد فعله؟

ك: قال إنه لا يصر شخصيا علي عقد مداولات في الجمعية العامة وأننا إذا قلنا له ألا يطلب فإنه لن يقوم بذلك.

د: إذا طلبنا منه؟

ك: إذا طلبنا منه. ولقد قلت له إنني سأتصل به غدا.

د: ولماذا الانتظار إذن؟

ك: قلت له إنني ضد عقد مداولات في الجمعية العامة. ولكنه يريد شيئا آخر. لقد أطلعته علي تقييمنا أنه سيتم دفعهم للخلف علي الأقل لخطوط ما قبل اندلاع القتال. ولكنه قال إنه لا يستطيع اقتراح الانسحاب للقاهرة وإلا سيتم فصله. ولكنه قال إنني إذا تقدمت له بأي اقتراحات أخري، فإنه سيكون علي استعداد للاستماع.

د: هذا هو ما كنت أحاول أن أقوله لك من قبل وهو ألا تكتفي باقتراح الانسحاب وأن تقدم لهم شيئا.

ك: هل يمكنك التفكير في صيغة ما حتي الصباح؟

د: ما هي نوع الاقتراحات التي يمكننا التقدم بها؟

ك: أنا لا أعرف شخصيا. وإذا كانت لدي فكرة، فسأطلعك عليها.

كيسنجر ـ السفير البريطاني لورد كرومر

ك: تفكيرنا هو أننا لن نستطيع تجنب الدعوة لعقد اجتماع لمجلس الأمن في وقت ما غدا.

كر: سيكون هذا جيدا.

ك: ولكننا نشعر أن مجرد المطالبة بوقف إطلاق النار سيكون وجهة نظر قصيرة المدي في ظل الظروف الحالية. وسوف أخبرك لماذا. تقديرنا هو أنه خلال٧٢ ساعة سوف يقوم الاسرائيليون بهجوم في عمق سوريا. قد لا يقومون بتجاوز قناة السويس ولكنهم سيقومون بمسح ما هو موجود هناك. وفي هذه الحالة سوف يكون من الصعب الحصول علي قرار يطالبهم بالعودة لمواقعهم.

كر: أعتقد أن..

ك: وبجانب المباديء العامة التي ذكرتها سابقا، فإننا الآن مصممون علي أنه إذا تجاوز الإسرائيليون خطوط وقف إطلاق النار الحالية، فإننا سوف نقوم بدفعهم للخلف.

كر: هذه هي النقطة التي كنت أحاول قولها. إذا قاموا بذلك فسيكون لدينا موقف جديد.

ك: نعم ولكن إذا لم نتخذ موقفا مناسبا الآن.. ودعني أقول لك إن إيبان ليس متعجلا لعقد اجتماع لمجلس الأمن الآن.

كر: أنا متأكد أنه لا يرغب في ذلك.

ك: وفي حالة انعقاد اجتماع فإنه يرغب في قرار يطالب بالعودة إلي خطوط ما قبل اندلاع القتال.

كر: نعم أعتقد أن ذلك سيكون صعبا.

ك: الآن هذا هو ما سوف نقوم به. سوف نتوجه إلي مجلس الأمن غدا وأن أخبركم بهذا الأمر لكي تفكروا في الموضوع. ولكننا لن نصر علي حدوث تصويت غدا.

كر: لا.

ك: ما سوف نقوم به هو تقديم مشروع القرار الخاص بنا. وبعد ذلك لن نمانع علي المضي بخطي محسوبة.

كر: أعتقد أن هذا هو السلوك المناسب.

ك: ولكن ما نحتاجه هو أن يتم طرح الأمر علي مجلس الأمن وذلك لضمان أنه في حالة إذا تطور الأمر في الجمعية العامة فإننا يمكننا القول إن الأمر مطروح علي مجلس الأمن وبالتالي لا نشارك في مداولات الجمعية العامة.

كر: عقد مداولات في الجمعية العامة هو أسوأ ما يمكن أن يحدث.

ك: تماما ولكن ما نحتاجه هو أن يكون لدينا موقف واضح. عدا ذلك فسوف نضطر للحديث أمام الجمعية العامة.

كر: نعم أنا متفق معك وأري ما تعنيه تماما.

السابع من أكتوبر

بدأ اليوم بنقاش مع هيج الذي كان بصحبة نيكسون في كي بسكين والذي كان يتحدث معي نيابة عنه نظرا لانشغاله بقضية استقالة نائب الرئيس سبيرو أجنو. وبدأت قضية إمداد إسرائيل بالأسلحة تصبح أكثر إلحاحا. وأوصيت بالاستمرار في تسليم المعدات التي سبق لنا الوعد بتسليمها وكانت في الطريق إلي إسرائيل.

وبعد عودتي من نيويورك إلي واشنطن، كانت معظم الاتصالات مع بقية الإدارات تتم بشكل عام في مقر مجلس الأمن القومي أو علي مستوي مجموعة إدارة العمل. أما مجلس الأمن الدولي وهو الجهة المختصة بالتعامل مع أي خرق للسلام، فلقد بدا معطلا بسبب الاعتراضات من كافة الأطراف. فالسوفيت كان يسعون إلي التعطيل، أما المصريون، واعتمادا علي أي سفير لهم كان من الممكن تصديقه، فكانوا أيضا يسعون للتعطيل أو يحضرون لوقف إطلاق النار علي ما كان الوضع عليه، أما إسرائيل فكانت ترغب في المزيد من الوقت لكي تنهي حشد قواتها بينما لم نسمع أي شيء من سوريا. وكانت الولايات المتحدة هي الوحيدة المستعدة للذهاب إلي مجلس الأمن ولكن القرار الذي كنا نفضله كان يعد بمثابة وسيلة للتعطيل وذلك لأنه لم يكن يوجد أي من أعضاء مجلس الأمن علي استعداد لمساندتنا. ولما كانت كل الأطراف تسعي لكسب الوقت وكنا نحن نريد بقاء الموضوع خارج الجمعية العامة، فلقد قررنا أن ندعو إلي اجتماع رسمي لمجلس الأمن قرب المساء علي أن يتم تأجيل المداولات حتي اليوم التالي وأن نسعي للتصويت علي قرار بحلول الثلاثاء أو الأربعاء. وبحلول ذلك الوقت، وبافتراض صدق تقديرات أجهزة مخاب

راتنا، فإن إسرائيل ستكون قد نجحت في العودة إلي خطوط ما قبل اندلاع القتال. وحينذاك ستكون كافة الأطراف علي استعداد لقبول وقف لإطلاق النار.

كيسنجر ـ هيج ٧ أكتوبر ٩,٣٥ صباحا

ك: لم نسمع حتي الآن من السوفيت. واعتقد أنه بحلول الظهر، ينبغي علي رون زيجلر (السكرتير الصحفي للرئيس) أن يقول أننا سنتوجه إلي مجلس الأمن. ولكن قبل أن يفعل ذلك، أرجو الاتصال بي مرة أخري. حتي الآن لا يوجد لدينا أي مساندة. ومن ناحية أخري، فإن أداء العرب يبدو أفضل مما توقع أي طرف أنه ممكن. لقد تحدثت للتو مع الإسرائيليين وهم بحاجة للانتظار حتي يوم الأربعاء أو الخميس، وهم لا يتطلعون كثيرا لاجتماع لمجلس الأمن. وفي الواقع فإن أحدا ـ لا الإسرائيليين ولا السوفيت ولا المصريين ولا البريطانيين يرغب في ذلك. ومن ناحية أخري، فإني اعتقد أنه بإمكاننا عقد اجتماع علي مستوي منخفض. فعدم قيام مجلس الأمن بعمل أي شيء بينما القتال مستمر أمر غير مقبول بالمرة واعتقد أنه يجب علينا المضي قدما. ويجب أن نطالب بالعودة إلي خطوط ما قبل اندلاع القتال.

هيج: نعم

ك: إذا ذهبنا إلي مجلس الأمن فيجب علينا أن نطالب بالعودة إلي خطوط ما قبل اندلاع القتال، فالإسرائيليون لن يسامحونا إذا طالبنا بوقف لإطلاق النار علي ما هو عليه الوضع الآن، كما أنهم لن يلتزموا به بأي حال من الأحوال.

هيج: سيكون الموقف صعبا لو كنا بمفردنا تماما.

ك: ومن ناحية أخري فإن مجرد المطالبة بوقف لإطلاق النار، سيجعل الأمر ويبدو وكأننا انقلبنا علي الإسرائيليين وسيكون له نتائج داخلية ودولية أيضا لا يمكن حسابها. كما سنكون قد غيرنا موقفنا مقارنة بما كان عليه الحال أمس.

هيج: هل يشعر الإسرائيليون بالفزع؟

ك: تقريبا، وهم يتطلعون للحصول علي بعض المعدات التي سبق الموافقة عليها ولكن أحد أولاد الـ....... في وزارة الدفاع قام بتعطيلها، ولم أكن علي دراية بالأمر. وأعتقد شخصيا أنه يجب علينا الإفراج عن بعضها.

هيج: أنا أيضا اعتقد ذلك.

ك: أعتقد أنه إذا انتصر العرب فسيكون من المستحيل التعامل معهم ولن يكون هناك مفاوضات. كما يتم اعتبار هذا التغير نتيجة لظروفنا الداخلية بسبب وترجيت.

هيج: أنا اتفق معك. اعتقد أنه يجب علينا الالتزام بموقفنا المبدئي، ويجب علينا تزويدهم بما التزمنا به ما لم يكن في وسعهم السيطرة علي الموقف بسرعة خلال يومين أو ثلاثة.

ك: هذا هو ما يعتقدونه. وإذا لم نتحرك اليوم، فسوف يتحرك آخرون للمطالبة بقرار يدعو فقط إلي وقف لإطلاق النار.

هيج: هل هناك أمور أخري يجب أن يعلم بها الرئيس؟

ك: لا هذه هي الأمور الرئيسية.

هيج: هذا تقرير مثير. إن الإسرائيليين يشعرون بالدهشة من حجم الثقة التي أبداها العرب.

ك: نعم هذا صحيح.

١٣

الرئيس نيكسون يحذر من التحيز علنًا لإسرائيل

وزير خارجية إسرائيل: نحن لسنا في حالة استعداد كامل

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الثلاثاء ١٤ أكتوبر ٢٠٠٣م ـ ١٨ شعبان ١٤٢٤هـ

في الحلقة الثالثة عشرة يستأنف كيسنجر محادثته الهاتفية مع ألكسندر هيج كبير موظفي البيت الأبيض، ثم محادثته الهاتفية مع وزير الخارجية الإسرائيلي أبا إيبان، ثم يصل إلى مكالمته المهمة مع الرئيس ريتشارد نيكسون حيث يحذره الرئيس من التحيز علنًا لإسرائيل لكى لا تغضب الدول العربية النفطية.

هيج: قد تصبح المفاوضات أمرًا أكثر سهولة.

ك: هذا يعتمد على كيفية إدارتنا لموقفنا. يجب علينا أن نقف بجانب الإسرائيليين الآن وذلك لكى يكون لديهم ما يخسرونه لاحقًا. لذلك أعتقد أنه يجب علينا تزويدهم بالمعدات.

هيج: عما نتحدث؟ ذخائر وقطع غيار؟

ك: دعنى أرى. لدى القائمة هنا. ما يمكننا القيام به هو تزويدهم بما تمت الموافقة عليه بالفعل.

هيج: هل سنقوم بنقل هذه المعدات جوًا؟

ك: لا يجب علينا القيام بأى شيء. هم سيقومون بإرسال طائرة وسنقوم نحن بمساندتهم على الأرض من أجل نقل ما قاموا بطلبه في السابق. وتقديرى هو أننا إذا أخذنا موقفًا متشددًا، فستكون هذه هي المرة الأخيرة التي ينصت لنا الإسرائيليون فيها. إذا قمنا بضربهم في أسنانهم فلن يكون لديهم ما يخسرونه. وإذا قمنا بمساعدتهم فقد يكونون على استعداد للمساعدة فيما يتعلق بقضية الهجرة اليهودية أو قضية الدولة الأولى بالرعاية. (كان منح السوفيت مرتبة الدولة الأولى بالرعاية متوقفًا بسبب تعديل قدمه السناتور هنرى جاكسون (ديمقراطى من واشنطن) وعضو مجلس تشارلز فانيك (ديمقراطى من أهايو) يربط ذلك الأمر بالموافقة على هجرة اليهود من الاتحاد السوفيتى).

....

كيسنجر ـ أبا إيبان الساعة ١٠,٠٠ صباحًا

إيبان: لدى أمران أود إضافتهما لما أبلغك به شاليف. سوف تحصل على تقدير للموقف العسكرى في وقت قريب للغاية. لقد قمت بإجراء بعض الاتصالات الهاتفية، والموقف في المساء لم يكن جيدًا. لقد تم إرسال المزيد من القوات.

ك: هل تتحدث عن سيناء؟

إ: أتحدث عن سيناء وكلن حتى في الشمال (سوريا) فلقد كان المزيد من الاختراق في منطقة طبرية. لقد سقطت الكتيبة التابعة لنا في طبرية. ونحن لسنا في حالة استعداد كامل بسبب ما حدث أمس.

ك: فهمت أنك تطالب باجتماع خاص لمجلس الأمن وذلك لتمنع...

ك: نعم لمنع أي طرف آخر من التقدم بقرار يدعو لمجرد وقف إطلاق النار.

إ: يمكنك المطالبة بعقد اجتماع والتقدم بقرار الليلة على أن تبدأ المداولات غدًا.

ك: هذا إذا كان ذلك ممكنًا. تقديرنا هو أننا نحتاج أرضية نقف عليها.

إ: لقد وصلنى للتو تقرير إذاعى يقول إن بريطانيا تلقت تعليمات بالدعوة لعقد اجتماع. ربما كان في إمكانك التحدث معهم لإقناعهم. ربما كان في إمكانك التحدث معهم لإقناعهم بأنه لا توجد حاجة للتعجل. ربما يكون من المجدى أن تتصل بسفيركم وتطلب منه الاتصال بهم وذلك لتجاوز الموقف.

ك: لم نعط سفيرنا أي تعليمات بعد. دعنى أتحدث مع البريطانيين للتأكد إذا ما كانوا ينوون المضي قدمًا. لا أعتقد أنهم سيفعلون ذلك دون التشاور معنا.

إ: يمكنك أن تتحدث عن نقطتين: أ- أنك ستطالب باجتماع، ب- وأن رأيك هو أن هذا هو ما يتطلبه الموقف حاليًا. هذا سيكون من شأنه استباق أي تحرك آخر وسيجعلنا نكسب المزيد من الوقت. سيصلك تقرير عسكرى وسيؤكد ما توصلنا له من نتائج في الرسالة. كما سيصل السفير (الإسرائيلي) في وقت لاحق من بعد ظهر اليوم وسيرغب في مقابلتك.

ك: سوف أقوم بلقائه فور وصوله كما سأتصل بالبريطانيين.

....

كيسنجر - الرئيس نيكسون الساعة ١٠,١٨ صباحًا

ك: فقط أردت إبلاغك أن دوبرنين قام بالاتصال بى وقال إن هناك رسالة في الطريق إليك من بريجنيف خلال ساعتين. وأعتقد أنه يجب أن نعلق الأمور (الخاصة بمجلس الأمن) حتى تصلنا هذه الرسالة. أعرف أن التأخير أمر صعب ولكن المشكلة أن الأمر قد ينتهى بأنه لا توجد لدينا أي مساندة.

نيكسون: لا يمكننا القيام بذلك.

ك: أعتقد أنه يجب علينا التحرك قبل التوجه إلى مجلس الأمن وذلك حتى لا ينتهى الأمر بعزلتنا هناك. من الأفضل أن نعرف أين تكمن أوراقنا. أعتقد أن بإمكاننا الانتظار حتى لو تعرضنا لبعض الانتقادات. إذا تمكنا من ذلك فسيكون لدينا أرضية جيدة للتحرك.

ن: سيجب علينا القيام بذلك. ولا أعتقد أنه مع بريجنيف معرفة أية شيء.

ك: أتوقع أن يقوم أحد من المساندين للجانب العربى بالتقدم بمشروع قرار يدعو لوقف إطلاق النار. وسوف نكون في موقف صعب للغاية إذا قمنا بممارسة حق الفيتو ضد هذا القرار أو رفضنا المطالبة بمجرد وقف إطلاق النار. لقد تلقينا رسالة (من الإسرائيليين) تقول إنهم سيحصلون على معداتهم بحلول الأربعاء أو الخميس كما لن يقبلوا بأى وقف لإطلاق النار قبل أن يتمكنوا من طردهم. في اعتقادى إذا لم يكن في إمكاننا تغيير موقفهم خلال الأزمة، فإننا يمكننا القيام بذلك لاحقًا أنه في ذلك الوقت سيكون لديهم ما يخسرونه.

ن: أحد الأمور التي لابد أن نفكر فيها هي أننا لا نريد أن نبدو في موقف المساندة لإسرائيل وذلك لكى لا تقوم الدول العربية النفطية الغير متورطة في الحرب بالانشقاق.

ك: حتى الآن لم يصلنا أي شيء.

ن: هل قمت بالاتصال بسكالى (سفير الولايات المتحدة في الأمم المتحدة) لاطلاعه على الموقف؟

ك: نعم.

ن: العلاقات العامة أمر مهم للغاية حتى لو لم نقوم بعمل شيء، فلتدع سكالى يتحرك حيث يمكنه القيام بالكثير دون إثارة مشاكل.

ك: لقد عقدنا اجتماعًا لأربع من الدول دائمة العضوية وآخرين من أجل...

ن: لتبقى أنت بعيدًا بمقدار خطوة حيث يمكننا استخدامك لاحقًا كقوة ضاربة.

ك: أن أوصى بأن تعلن أنك قد طالبت بعقد اجتماع لمجلس الأمن فور وصول الرسالة السوفيتية.

لقد قلت لدوبرنين أننا لسنا مصرين على اجتماع لمجلس الأمن، وأنه إذا تقدم السوفيت باقتراح لتسوية الموقف خارج مجلس الأمن، فسوف ننظر في الأمر. لقد قمت بالاتصال بوزير خارجية مصر أمس. بعض رجال النفط في بلدنا.... (نهاية التسجيل).

١٤

العرب يقاتلون بطريقة أفضل كثيرًا مما توقعنا!

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الأربعاء ١٥ أكتوبر ٢٠٠٣م - ١٩ شعبان ١٤٢٤هـ

يستكمل كيسنجر في هذه الحلقة مكالمته الهاتفية مع ألكسندر هيج كبير موظفي البيت الأبيض، وهى المكالمة التي كان قد توقف بها التسجيل في حلقة أمس، ثم مكالمات متتالية مع كل من السفير السوفيتى دوبرينين والأمين العام للأمم المتحدة كورت فالدهايم ووزير خارجية إسرائيل أبا إيبان ثم مرة أخرى مع الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون

كيسنجر - هيج الساعة ١٢,٣٥ ظهرا بتوقيت نيويورك

ك: دعني أطلعك علي موقفنا الآن. لقد أخبر المصريون الإنجليز أنهم لا يريدون اجتماعا لمجلس الأمن وأنه إذا حدث ذلك فسنكون بمفردنا. اقتراحي هو أن نؤخر إعلاننا حتي الرابعة من بعد ظهر اليوم. من غير المجدي الدعوة لتصويت وإثارة الأمور بمجملها أو التعجل ثم عدم الحصول علي شيء في النهاية. وأعتقد أنه بحلول الأربعاء أو الخميس سيكون الأمر قد انتهي وفي هذه الحالة سيكون بإمكان الأمم المتحدة المساهمة في الموقف. ونظرا لأن العرب والإسرائيليين لا يريدون اجتماعا فاعتقد أن بإمكاننا الانتظار حتي الرابعة من بعد الظهر.

هيج: أعتقد أن هذا سيكون جيدا.

ك: سنقول أننا مستعدون صباح الغد أو الليلة. قد يكون من الأفضل عقد المزيد من المناقشات غير الرسمية الليلة. لم نسمع بعد من السوفيت ولكن سيحدث ذلك قريبا.

هيج: أنا اتفق معك. نيكسون مرتاح لذلك وهو يعرف أن الحرب ستكون قصيرة وهو لا يريد الذهاب إلي هناك (مجلس الأمن) لكي لا يتعرض للانتقاد.

ك: هذا صحيح. كل ما سنحصل عليه الآن هو قرار يطالب بوقف إطلاق النار. ولكن يجب علينا الوصول إلي موقف يمكننا من التحرك لاحقا. العرب يريدون مني التدخل في هذا الأمر.

هيج: حسنا سننتظر حتي الرابعة وسأتصل بك مرة أخري بعد وصول الرسالة السوفيتية.

كيسنجر - دوبرنين ١٢,٤٠

ك: إننا نؤخر القيام بأي تحرك حتي تصلنا رسالتكم. وأود أن أقول لك كأصدقاء أنكم إذا قمتم بأي تحرك منفرد، فإننا لن نقوم بأي تحرك. إنني أحاول حماية نفسنا من أية تحركات لا تضع العوامل الحالية في عين الاعتبار.

د: أنا ما زلت في انتظار الرسالة ولا أعرف محتواها.

ك: سوف ننتظر لبعض الوقت. ولتقم بالاتصال بي بالهاتف لتبلغني بوصولها.

د: سوف أتصل بجروميكو وأخبره.

ك: حسنا، سنبقي علي اتصال

د: لا يوجد شيء محدد.

ك: نحن في انتظار رسالتكم ونقوم بتعطيل البريطانيين حتي نسمع منكم. لا نريد التحدث معهم حتي تصل الرسالة.

د: سأحدثك حتي قبل أن تتم الترجمة

كيسنجر ـ فالدهايم ١٢,٥٥

فالدهايم: صباح الخير

ك: كيف حالك؟

ف: قلق ولكن مشغول. هل من الممكن أن تطلعني علي أحوالك وقراراتك؟

ك: كنت سأقوم بالاتصال بك. إننا نقوم بتبادل الاتصالات مع السوفيت لنري ما يمكننا القيام به. إن السوفيت لا يرغبون في القيام بالكثير.

ف: هذا هو انطباعي أيضا. معظم الأعضاء لا يريدون اجتماعا لمجلس الأمن اليوم.

ك: ما يقلقني هو أننا الآن في مواجهة صراع عسكري كبير، وإذا لم يجتمع مجلس الأمن من أجل ذلك، فما فائدته إذن؟

ف: هذا هو سبب اتصالي بك. يمكننا أن نفسر ذلك لخبرائنا ولكن ماذا نقول للعامة؟

ك: نحن نتوقع اتصالا من السوفيت. وأود الاتصال بك في الرابعة بعد الظهر للنظر في إمكانية تحريك مجلس الأمن.

ف: حسنا.

ك: يمكننا أن نطالب بالاجتماع غدا صباحا.

ف: وبهذه الطريقة يمكننا تفادي طرح الأمر أمام الجمعية العامة وذلك وفقا للنظام الداخلي للجمعية الذي يمنع عقد مداولات إذا كان الأمر مطروحا أمام مجلس الأمن.

ك: لقد أخبرني الزيات أنه غير مصر علي هذا الأمر.

ف: إذا تم عقد اجتماع في مجلس الأمن فسيكون من الأسهل تفادي النقاش في الجمعية العامة خاصة إذا كان الزيات غير مصر علي الحديث

ك: إذا كان بإمكانك استخدام نفوذك لدي رئيس الجمعية العامة من اجل منع حدوث نقاش ناري.... (انقطع الاتصال ولكنه يستأنف مرة أخري)

ك: لم تتلق أي طلب من أي طرف آخر للقيام بأي شيء؟

ف: لقد تلقيت للتو تقرير يفيد بأن بريطانيا وألمانيا الغربية تطالبان بعقد اجتماع فوري لمجلس الأمن. وبالصدفة لقد كان لدي السفير البريطاني عند وصول هذا التقرير وأحاول التيقن من الأمر.

ك: سوف نبقي علي اتصال، ونحن علي استعداد للتحرك فور وصول الرسالة الأخري (السوفيتية). وسيكون من المفيد لو استخدمت نفوذك لكيلا لا يتم عقد مداولات في الجمعية العامة. سوف ندعو لاجتماع لمجلس الأمن غدا.

ف: سيكون بإمكاني استيضاح التحرك البريطاني والألماني. لا أعرف إذا كان صحيحا.

ك: سأقوم بالاتصال بك في الرابعة بحد أقصي.

كيسنجر ـ إيبان ١,١٥ ظهرا بتوقيت نيويورك

إيبان: أفضل طريقة للمضي قدما هي ما اقترحته أمس

ك: سوف نمضي قدما في الغالب في وقت لاحق من بعد ظهر اليوم

إ: لقد تلقيت تقريرا أن رئيس الوزراء البريطاني إدوارد هيث والمستشار الألماني ويلي برانت سوف يعقدون...

ك: لقد تحدثت للتو مع فالدهايم الذي أبلغني بنفس التقرير. نحن نفكر في تقديم مشروع قرار اليوم والدعوة لاجتماع غدا صباحا. يجب علي الانتظار عدة ساعات حتي يمكنني الوصول إلي الرئيس. نحن نمضي قدما بناء علي النقاش الذي جري بيننا صباح اليوم

إ: أعتقد أن الأمر العاجل هو صدور إعلان رسمي من قبل الولايات المتحدة يدعو لعقد اجتماع لمجلس الأمن. المشكلة في تقديم القرار هو أنك إذا لم تقم بالتحرك فلن تكون لك أولوية

ك: ولكننا إذا دعونا لاجتماع فستكون لنا الأولوية.

إ:نعم. لدي انطباع أن الموقف العسكري قد تحسن خلال الساعات القليلة الماضية. لقد نجحت الهجمات علي رؤوس الجسور.

ك: نعم

كيسنجر ـ وزير الدفاع جيمس شليزنجر ١,٣٠ ظهرا بتوقيت نيويورك

ك: تحدثت مع الرئيس طوال صباح اليوم حول موقفنا. لقد تلقينا طلبا عاجلا آخر من الإسرائيليين للمطالبة ببعض الذخائر وأشياء أخري علي القائمة، بما في ذلك أربعون طائرة فانتوم، وهو بالطبع أمر خارج النقاش (مرفوض). ولكن توجه الرئيس هو أنه إذا تمكن الإسرائيليون من تحسين موقفهم، فإن القيام بتزويدهم ببعض الأمور الأخري، فإن القيام بتحرك دبلوماسي....

شليزنجر: إن أكثر ما يهتمون به في هذه المرحلة هي معدات هجوم الاجناب Sidewinders يا هنري

ك: هل تعتقد أن بإمكانك التعامل مع الأمر داخل وزارة الدفاع بحيث لا يتم تسريبه؟

ش: أعتقد أن بإمكاننا القيام بذلك

ك: لقد قمنا بذلك عام ١٩٦٧.

ش: لقد أشار الإسرائيليون الي أنهم سيقومون بنقل المعدات ولن يكون من المطلوب منا القيام بعملية النقل

ك: هل يمكنك اطلاعي علي الموقف عندما تنعقد مجموعة العمل؟

ش: نعم يا سيدي

ك: ربما يكون من المجدي أن تنظر مرة أخري في قائمة المطالب التي يمكننا تقديمها لهم

ش: الـ Sidewinders أكثر ما يهمهم في هذه المرحلة وفي الواقع فإنهم في حاجة شديدة لهذا الأمر.

ك: لقد تقدموا بثلاث مناشدات منفصلة إلي الرئيس حتي الآن. هم يقولون أن خسائرهم كانت ثقيلة للغاية

ش: لقد كانت خسائرهم في سلاح الطيران كبيرة وذلك بسبب الصواريخ سام (صواريخ أرض - جو). هناك شيء غريب للغاية علي الجبهة المصرية. يبدو أن الإسرائيليين يريدون للمصريين التقدم، حيث أن المصريين لم يقوموا بتحريك قواتهم بأعداد كبيرة في المساء بينما يبدو أن الإسرائيليين يتخذون موقفا متراجعا. إن القوات التي قام المصريين بتحريكها عبر القناة تبدو صغيرة نسبيا. أما الموقف علي الجبهة السورية فيبدو أكثر سوءا. وفي كلتا الجبهتين يبدو أن الإسرائيليين يقومون هذه المرة بممارسة لعبة لكي يظهروا للعالم أنهم معرضون للخطر وذلك علي عكس صورتهم أنهم بلطجية.

كيسنجر ـ الرئيس نيكسون ٢,٠٧ بعد الظهر بتوقيت نيويورك

ك: هي تحدثت مع دوبرنين هذا الصباح. لم تصله الرسالة بعد. اعتقد أنه إذا لم تصلنا الرسالة بحلول الرابعة، يجب علينا المضي قدما ونطالب بعقد اجتماع لمجلس الأمن غدا. لقد تحدثت مع فالدهايم وإيبان والجميع والموقف بمجمله يبدو في حالة فوضي.

نيكسون: إن الدعوة لعقد اجتماع ستبدو علي الأقل أنها تحرك ما، وقد ينتهي الأمر بأن نقرر عدم القيام بشيء غدا. لا يجب علينا انتظار سماع شيء من بريجينيف. وإذا أردنا تغيير رأينا، فبإمكاننا القيام بذلك.

ك: هذا صحيح. ولكن من الصعب تفسير استمرار الحرب لمدة يومين من دون حتي انعقاد اجتماع للأمم المتحدة. أعتقد أنه يجب علي زيجلر أن يقول شيئا من هذا القبيل.

ن: هذا صحيح تماما. أي اتفاق تتوصل له مع زيجلر سيكون مرضيا بالنسبة لي. هل الحرب ما تزال مستمرة كما كانت؟

ك: في الواقع إن العرب يقاتلون بطريقة أفضل كثيرا مما كان متوقعا

ن: إن الأمر يبدو كبيرل هاربور، أليس كذلك (حينما فاجأ اليابانيون الولايات المتحدة بهجوم كبير أثناء الحرب العالمية الثانية).

ك: نعم. يمكننا الانتظار حتي الغد ثم الدعوة للعودة إلي خطوط ما قبل اندلاع القتال. وبحلول الغد سيكون الإسرائيليون قد بدءوا في استعادة السيطرة وانعكس الموقف.

١٥

رسالتان مع الرئيس السوفيتى إلى الرئيس الأمريكي لا تقولان أي شيء!

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الخميس ١٦ أكتوبر ٢٠٠٣م - ٢٠ شعبان ١٤٢٤هـ

يوالى كيسنجر في هذه الحلقة سرد المحادثة الهاتفية التي أجراها مع الرئيس الأمريكي نيكسون، ثم محادثته مع ألسكندر هيج كبير موظفي البيت الأبيض، بعدها أجرى محادثة مع السفير السوفيتى دوبرينين حيث أملاه السفير رسالتين من السوفيتى إلى الرئيس الأمريكي، إحداهما مكتوبة والثانية شفهية.. ويعلق كيسنجر على الرسالتين بأنهما لا تقولان شيئًا!...

ثم محادثة مع وزير الدفاع الأمريكي الذى يحذر من أنه لا يستطيع تقديم الإمدادات الحربية لإسرائيل دون إثارة الانتباه. ويستتبع ذلك محادثة مع السفير البريطاني ثم العودة إلى الحديث مع السفير السوفيتى.

نيكسون: هل تعتقد أن الإسرائيليين سيحاولون استعادة السيطرة؟

كيسنجر: بحلول الغد سيكونون قد قاموا بعكس المد (العربى). إذا قمنا بطرح فكرتنا اليوم، فإن العرب سيدعون أننا نحاول دفعهم للخلف. وبحلول صباح الأربعاء سيكون الإسرائيليون داخل الأراضى العربية.

ن: هل تعتقد أن لديهم المعدات اللازمة لذلك؟ الإسرائيليون مقتنعون أن بإمكانهم القيام بذلك على الرغم من....

ك: سوف ألتقى بالسفير الإسرائيلي الذى عاد للتو من إسرائيل ولقد وعد بأن يأتي لرؤيتى في السادسة والنصف مساء لكى يطلعنى على آخر تطورات الموقف.

ن: ألم تكن تتمنى لو كان إسحق رابين (سفير إسرائيل السابق في واشنطن) هناك في هذا الوقت؟

ك: آه.. يا إلهى.

ن: لن يكون على معرفة - أليس بإمكانك الحصول على رسالة من أحد، موشى ديان وزير الدفاع، أو...

ك: نحن على اتصال مع دايان ومن الأسهل الوصول له. ولهذا السبب فإن الحبل يبدو ضيقًا ولا يتلاءم مع حجم الأزمة.

ن: نعم، أنا أفهم ذلك.

....

ن: هل تعملون سويًا بشكل جيد؟

ك: نعن نعمل بشكل جيد، ولعلك قرأت الصحف؟ نحن نعمل كفريق، بدلا من أن يبدو الأمر كوزارة خارجية في مواجهة البيت الأبيض.

ن: نعم فلتمض قدمًا وتخبر زيجلر بما تريده.

ك: إذا كانت هناك أية رسالة، فسأطلعك عليها على الفور.

ن: هل تعتقد أنك ستحصل على رسالة من بريجينيف؟

ك: نعم، وسأطلعك على الموقف إذا طرأ أي شيء؟

....

كيسنجر ـ هيج ٣,١٠ بعد الظهر بتوقيت نيويورك

ك: لقد بدأت أعرف أن أولاد الـ "......" في موسكو يتلاعبون بنا. أعتقد أنه يجب أن نمضى قدمًا بحلول الخامسة.

هيج: نعم، يمكننا القيام بذلك في الخامسة. لن نغادر قبل السابعة والنصف، ويمكنهم القيام بذلك.

ك: يجب على القيام ببعض المكالمات الهاتفية. وليكن زيجلر على استعداد.

هيج: لقد طلبت منه أن يتصل بروبرت ماكلوسكى (مسئول العلاقات العامة في وزارة الخارجية).

ك: لا، ليقم بالاتصال بى. لابد أن يتحدث معى بشأن الصياغة. ماكلوسكى لا يعرف شيئًا عن المحتوى.

هيج: لقد طلبت منه أن يعد بيانًا بسيطًا. ولكنى سأطلب منه الاتصال بك.

ك: تصلنا طلبات متكررة من إسرائيل للحصول على معدات ضرب الأجناب Sidewinders ولكن وزارة الدفاع تتأخر في الاستجابة.

هيج: لتقل لهم إن الرئيس طلب القيام بذلك.

ك: الفكرة كانت توصيل المعدات إلى قاعدة جوية لتأتى طائرة تابعة لخطوط العال (الإسرائيلية) لنقلها.. هذه أموال في البنك الآن ومهما حدث في المفاوضات، فإنه إذا تمكن العرب من التقدم، فسيصبح من الصعب التعامل معهم. وبهذه الطريقة، إذا لم نقم بمساعدة الإسرائيليين فإنه لن يمكنهم التقدم وسينتهى الأمر بعدم حصولنا على شيء.

....

كيسنجر ـ دوبرنين ٣,٢٥ بعد الظهر بتوقيت نيويورك

د: لقد وصلنى النص. هناك رسالة مكتوبة وجزء شفهى.

ك: ما مضمون الرسالة؟

د: سوف أقوم بقراءتها لك. هو خطاب من رئيس لرئيس (بريجنيف لنيكسون). وهو يذكر بأن الأمر (قضية الشرق الأوسط) قد تمت مناقشته بين الوزراء وأننا كنا دائمًا في جانب القيام بشئ ولكن لم يتم ذلك. ونحن نأسف كثيرًا إذا كان يسبب لك ضيقًا. وبعد ذلك يمضى الخطاب كالتالى: سيكون من الممكن أن نقول المزيد ولكن الأمر الرئيسى الآن هو اتخاذ إجراءات فعالة عاجلة للتخلص من سبب الصراع خاصة أن الموقف في الشرق الأوسط سيبقى مصدرًا للخطر. ولذا سيكون من المهم للغاية إذا صدر بيان عن الإسرائيليين يعرب عن استعدادهم للتفاوض، وذلك مع التأكيد في نفس الوقت على أهمية الحفاظ على أمن إسرائيل والدول الأخرى في المنطقة وهو ما سيخدم مصالح الشعب الإسرائيلي نفسه. ومن الضرورى ضمان أمن بقية الدول في المنطقة من خلال عدم الاستيلاء على الأرض بالقوة. وكما تعرف يا سيادة الرئيس (نيكسون) فإننا كنا دائمًا ندعو إلى ضبط النفس. وأهمية هذا الضمان (إبداء إسرائيل استعدادها للتفاوض) سوف يمثل نقطة تحول في الموقف الخطير في الشرق الأوسط وقد يمثل بداية لمسيرة تسوية على أساس قرارات الأمم المتحدة والقرار ٢٤٢ ونأمل مع خطورة الموقف الحالي في الشرق الأوسط أن تستخدموا نفوذكم لكى تمضى إسرائيل في هذا الاتجاه. ومن المسلم به أننا على استعداد لمواصلة مناقشاتنا السرية التي بدأناها معكم حول مشكلة الشرق الأوسط بأكملها وذلك على نفس الأسس التي تحدثنا عنها في اجتماعنا معكم سيادة الرئيس. وأود هنا التأكيد تحديدًا أننا ننطلق من فرضية أن الأنشطة الحالية في الشرق الأوسط يجب ألا تعوق كل ما قمنا بإنجازه في العلاقات السوفيتية ـ الأمريكية. ولا نسمح حتى بالتفكير في عكس ذلك.

وبعد ذلك يأتي الجزء الشفهى. ويقول إنه فيما يتعلق بنصيحتنا للعرب وللقيادة العربية فإننى أود القول إن ذلك غير متوافر الآن وسف يأتي في اتصالات لاحقة.

ك: أن تقرر بأن هذا احتمال غير عملى في الموقف الحالي. أنت تعرف كما أعرف أنا أن الرسالة لا تقول شيئًا.

د: لقد قررنا القيام بهذا التحرك دون أية مشاورات مبدئية مع الحكومتين المصرية والسورية. لم نطلب موافقتهم.

ك: يبدو لى يا أناتولى أننا سنكون في مواجهة موقف صعب هذا الأسبوع. هذا واضح بالنسبة لى.

د: آمل ألا تكون هناك أزمة.

ك: أنت تعرف أننا على استعداد تام لأن نطلب من إسرائيل القيام بتحركات دبلوماسية سريعة بعد انتهاء هذه الأزمة.

د: هل رأيت البيان الذى أصدره الزيات؟

ك: هو بدوره لا يعنى شيئًا.

د: لقد رأيته على وكالات الأنباء.

ك: حسنًا يا أناتولى، هل يمكنك طبع هذه الرسالة (من بريجينيف) على الآلة الكاتبة وإرسالها إلى الجنرال سكوكروفت؟

د: وترجمتها أيضًا؟

ك: نعم، ثم إرسالها للجنرال سكوكروفت

....

كيسنجر - وزير الدفاع شليزنجر ٣,٤٥ بعد الظهر بتوقيت نيويورك

ك: لقد تحدثنا مجددًا مع الرئيس حول قضية الإمدادات ولقد قرر المضي قدمًا.

ش: لا أستطيع ضمان القيام بذلك دون إثارة الانتباه.

ك: لقد قمنا بذلك في ١٩٦٧. ونود أن يأتوا هم لنقلها.

ش: هل أنت على استعداد لاستخدام طائرات أمريكية.

ك: لا. سوف يأتون هم للحصول عليها.

ش: أنا لدى خطة. سوف أقوم بإبلاغها لك عندما نلتقى في الاجتماع.

ك: نحن نود أن يأتوا هم للحصول على المعدات.

ش: أود الحديث معك حول هذا الأمر عندما نصل للاجتماع.

ك: لقد قمت بتأجيل الاجتماع إلى السادسة. ووصلنى عمليًا رفض من الجانب السوفيتى. الطريقة الوحيدة للحصول على قرار (من مجلس الأمن) الآن هو أن تتمكن إسرائيل من العودة إلى خطوط وقف إطلاق النار (قبل ٦ أكتوبر) بمساعدتنا ثم البدء في المفاوضات بعد ذلك. إذا قمنا بإجبارهم على التراجع لخطوط وقف إطلاق النار، فسوف نسجل نقاطًا مع العرب وننقذهم من الإسرائيليين. هل يمكننا عقد اجتماع منفصل؟ أنا وأنت وبرنت سكوكروفت؟

ش: بالطبع لدينا بعض البدائل لتقديمها لك.

....

١٦

رسالة من حافظ إسماعيل لكيسنجر نيابة عن السادات في أول أيام القتال تقترح إطار المفاوضات

واشنطن: خالد داوود

الأهرام السبت ١٨ كتوبر ٢٠٠٣م ـ ٢٢ شعبان ١٤٢٤هـ

في هذه الحلقة السادسة عشرة يواصل كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية الاسبق، سرد محادثاته الهاتفية مع أطراف الازمة، حيث يورد اولا مكالمته مع اللورد كرومر السفير البريطاني في واشنطن، ثم مع السفير السوفيتي اناتولي دوبرينين ثم مع المندوب الامريكي في الأمم المتحدة، وتعقبها محادثتان مع وزيري خارجية مصر واسرائيل علي التوالي، ثم محادثة مهمة مع الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون.

كيسنجر ـ اللورد كرومر ٤,٢٥ بعد الظهر بتوقيت نيويورك

ك: لقد كنت أتحدث مع الرئيس وسوف ندعو لاجتماع لمجلس الأمن

كرومر: اليوم؟

ك: لا. سوف نقترح عقده غدا ولكن لن نصر علي الحصول علي قرار بسرعة. وسوف نميل نحو الحصول علي قرار وفقا للخطوط التي شرحتها لك أمس. أعتقد أنه بحلول يوم الثلاثاء سوف يبدأ الوضع في العودة إلي ما كان عليه.

كر: غالبا

ك: سنكون سعداء للتخلي عن الجزء الذي نختلف حوله (الإصرار علي العودة إلي خطوط ما قبل٦ أكتوبر) ولكننا سنحتفظ به إذا تحول الموقف العملي في غير صالح العرب. وربما لن نعارضه بقوة في إطار محاولة الإبقاء علي الموقف غامضا.

كر: نعم

ك: إذا استطعت الوصول إلي صيغة يمكننا تقديمها، وإذا ساعدنا رجلكم (في مجلس الأمن) علي إبقاء النقاش مستمرا، فإننا في اليوم التالي قد نقوم بالاقتراب من موقفكم والمطالبة بوقف إطلاق النار وفقا لما هو عليه الوضع علي الأرض، أو أن تتحركوا أنتم نحو موقفنا ضد العرب. بحلول الخميس سيكون هناك موقف جديد تماما.

كر: صحيح

ك: وكل هذه التفاصيل بالطبع لرئيس الوزراء أو لوزير الخارجية فقط

كر: نعم. سيجب علي التحدث إلي السير دونالد ميتلاند (سفير بريطانيا لدي الأمم المتحدة). ما يشجعنا هو أن هذا الموقف سيكون أكثر صحة من الناحية الأخلاقية والعالم العربي سوف يشعر بغضب شديد لو حدث عكس ذلك.

ك: أنا أفهم مواقفكم جيدا. المشكلة أن العرب سوف يتعرضون لانتقادات

كر: نعم

ك: إذا كان هذا هو الموقف، فإن المشكلة ستكون في تعاون ممثلنا لكي لا ينتهي الأمر بسرعة مما يعطينا فرصة أكبر

كر: هل تعتقد أن بقية أعضاء مجلس الأمن سيتفقون معنا؟

ك: كيف يمكنهم الرفض؟ ستكون سابقة خطيرة أن تتواصل حرب علي مدي ثمانية وأربعين ساعة ولا يقوم مجلس الأمن بتناولها

كر: أنا متفق معك. هل عبر الروس عن وجهة نظرهم

ك: لقد وعدوا بتركيز انتقاداتهم علي إسرائيل وليس علينا

كر: ألن يحاولون تأجيج المداولات؟

ك: لن أعترض إذا قاموا بذلك. هذا الأمر لا يزعجنا الآن. أليس هذا هو الموقف الذي فهمته منك أمس؟

كر: نعم

ك: البدء في نقاش والبحث عن إطار. قضية وقف العرب لن تكون مشكلتنا يوم الأربعاء

كر: أتفق معك بالكامل.

ك: لو انتظرنا حتي انتصار إسرائيل، ثم بدأنا في التحرك فسنكون في مشكلة

كر: أنا متفق معك. سأقوم بالاتصال بلندن.....

كيسنجر ـ دوبرنين ٤,٤٠ بعد الظهر بتوقيت نيويورك

ك: أناتولي. أريدك أن تعلم أن الرئيس قد قرر ما سيقوم به. سوف نعلن في الخامسة أننا نطالب بعقد اجتماع لمجلس الأمن

د: متي سوف تعلنون؟

ك: خلال نحو ٤٥ دقيقة ولا يجب الإعلان عن ذلك من خلال وكالة تاس قبل هذا التوقيت. لم نقرر بعد إذا ما كنا سوف نقترح تقديم قرار أو ماذا سيحدث. قد يكون الأمر مجرد نقاش. ولكننا لا نري كيف يمكننا تجاهل عقد جلسة. أعتقد أنه من المفيد أن نحافظ علي المبدأ الذي اتفقنا عليه أمس وأن نبقي هادئين نحو بعضنا البعض. وإذا التزم سفيركم بنفس الموقف، فإننا سنمر بهذا اليوم بسلام. سوف أدعك تعرف في الصباح ـ نحن لن نتقدم بمشروع قرار الليلة ـ وحتي لو تقدمنا به غدا فسوف نناقش الأمر. سوف أدعك تعرف قبل ساعتين من قيامنا بذلك.

د: حسنا

ك: الرئيس سوف يعود (إلي واشنطن) الليلة وسوف يكون لدي فرصة للحديث معه.

كيسنجر ـ السفير سكالي ٤,٤٥ بعد الظهر

ك: كيف حالك؟ أين أنت الآن؟

سكالي: أنا بخير ومتواجد في مكتبي

ك: موقفنا الآن هو أن الرئيس سوف يعلن أننا نطالب بعقد اجتماع لمجلس الأمن. سوف نطالب بعقد الاجتماع غدا صباحا. لقد قمت بشرح استراتيجتنا لديفيد بوبر (مساعد مساعد وزير الخارجية لشئون المنظمات الدولية) وسوف

يقوم بالاتصال بك. ولكن النقطة الرئيسية هي العمل علي التعطيل لأطول فترة ممكنة وذلك لكي يبقي الموقف غامضا. لقد أطلعت البريطانيين علي موقفنا وهم قد أقسموا أنهم سيقومون بالتعاون معنا لإبقاء الأمر مفتوحا. وإذا تم استعادة الموقف علي ما كان عليه، فإن موقفنا سيبقي مفتوحا للنقاش. ولا يجب عليك أن تشير إلي أننا سنقوم بتقديم مشروع قرار. فقط أطلب عقد اجتماع.

س: حسنا

ك: لتدعهم يخمنون. غرضنا الأول هو هزيمة الجمعية العامة. بوبر سوف يقوم بالاتصال بك ليطلعك علي التفاصيل.

س: حسنا

ك: الأمر الأساسي هو ألا نقوم بأي شيء بسرعة.

س: جيد للغاية يا هنري

كيسنجر - الزيات ٤,٥٥ بعد الظهر

ك: لقد تحولت إلي نجم تلفزيوني. لا يمكنني الرد علي لذلك. وإذا تم السماح لي بالحديث في الراديو المصري فلن يفهمني أحد

الزيات: بالطبع.. بالطبع ولكنك إذا أتيت إلي بلدي...

ك: آمل أن أستطيع القدوم

ز: هل وصلك الخطاب (الذي أرسله لي حافظ إسماعيل مستشار الرئيس السادات لشئون الأمن القومي؟)

ك: هل كان شخصيا أم به محتوي؟

ز: أعتقد أنه مهم. أنه يتحدث عن مواصلة البحث عن السلام

ك: هذا أمر بناء للغاية وأنا سعيد لذلك. يمكنك أن تكون علي يقين أننا سنرد بطريقة إيجابية. أود أن أطلعك علي ما نخطط القيام به ردا علي الطريقة التي تعاملت بها مع الموقف. حسب ما فهمت، فإنك سوف تدلي ببيان ولكنك لن تطلب عقد مداولات وذلك تماشيا مع روح الحوار الذي جري بيننا.

ز: بالطبع لقد وعدتك بذلك

ك: سوف نطلب خلال الساعة القادمة عقد اجتماع لمجلس الأمن غدا. ولم نتخذ قرارانا بعد إذا ما كنا سنتقدم بمشروع قرار ولكنه من غير الممكن ألا يتم عقد مداولات في الأمم المتحدة. موقفنا سيبقي كما هو من ناحية إبقاء الأمر علي مستوي منخفض وكذلك الحفاظ علي العلاقات البناءة بيننا. سوف نقوم من ناحيتنا بإدارة المداولات من دون انتقاد أي دولة. وإذا قررنا تقديم مشروع قرار فسوف أطلعك علي الأمر.

ز: ذلك سيكون محرجا للغاية

ك: أنا أفهم ذلك وسوف نلقي نظرة جديدة علي الأمر. ولكنني أؤكد لك أنه مهما حدث من الناحية التكتيكية في الأسبوع المقبل، فإن استراتيجيتنا ستبقي تلك التي ناقشتها معك والحفاظ علي الجو (البناء) من ناحيتنا

ز: هل حصلت علي الخطاب؟

ك: عندما أحصل علي الخطاب سوف أقوم بالاتصال بك بعد الاطلاع علي...

يلي ذلك حواران مع ويليام فولبرايت (ديمقراطي) رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ وجورج جورج إيكن عضو اللجنة عن الحزب الجمهوري يطلعهم فيها علي آخر التطورات الخاصة بالأمم المتحدة. ويقول كيسنجر خلال حواره مع إيكن أنه يبدو أن السوفيت يعملون علي إضاعة الوقت ولم يقرروا حتي الآن ما سوف يقومون به. ويؤكد العضوان مساندتهما لكيسنجر وما يسعي للقيام به.

كيسنجر - إبا إيبان ٥,٠٨ بعد الظهر

ك: لقد قررنا المضي قدما وفقا للخطوط التي اتفقنا عليها. ولذلك لا يجب عليك القيام بأي شيء. وسوف يعلن المتحدث باسم الرئيس أننا سنطلب عقد اجتماع لمجلس الأمن. وفي الخامسة والنصف سنطلب من رئيس المجلس عقد اجتماع غدا. ولن نكشف اليوم إذا ما كنا سوف نقوم بتقديم مشروع قرار أو ماذا سوف يكون محتواه. ولكن لمعلوماتك الخاصة، فإننا سوف نتقدم بمشروع قرار وفقا للخطوط التي اتفقنا عليها. ما فهمته أنك ستتحدث أمام المجلس

إيبان: سوف يكون علي التحدث مبكرا للغاية

ك: سوف نعتمد علي بلاغتك في المجلس ولكننا لن نمانع التضحية بذلك مقابل الإطالة.

إ: أتفق معك علي ذلك. كل ما سأقوله أننا نريد وقف كامل لإطلاق النار

ك: ليس من الضروري أن تتقدم بأية اقتراح طالما أنك ستناقش الأمر بتفصيل كبير

إ: سأقول أن مصر وسوريا قاموا بالهجوم علينا بينما لم نقم بمهاجمتهم. وأؤكد لك أننا نراقب موقف دول أوربا الغربية وأعتقد أنكم تقومون بذلك أيضا.

كيسنجر - الزيات ٦,٢٠ مساء

زيات: أنا آسف لإزعاجك بهذا الأمر

ك: مطلقا

ز: ولكن يوجد أمام مقر بعثتنا مظاهرات وقاموا بتكسير كافة النوافذ. والأمر لا يتعلق بحياتنا فقط ولكن لدينا الآن وزراء خارجية من دول أخري وسيتعرضون...

ك: هذا الأمر غير مقبول مطلقا. اعتذر لك نيابة عن الحكومة الأمريكية

ز: الأمر لا يتعلق بالاعتذار ولكن...

ك: الأمر خاضع لسلطة شرطة نيويورك وسوف نتخذ خطوات فورية

ز: أنا أعرف ولكننا غير مهتمين إذا كان الأمر خاضعا لسلطة شرطة نيويورك أو شرطة سان فرانسيسكو...

ك: أؤكد لك أننا سنتخذ خطوات فورية

ز: أشكرك للغاية

ك: سنتحرك فورا

ويتلقي كيسنجر اتصالا من عمدة مدينة نيويورك جون ليندساي في السابعة وعشر دقائق الذي يطلعه بأن هناك نحو ستة آلاف متظاهر ولكن الموقف تحت السيطرة بعد أن تم إلقاء القبض علي عدد من اليهود من أعضاء منظمة الدفاع اليهودية وكذلك عرب وأنه سيتخذ الإجراءات الاحتياطية اللازمة خلال الأيام القادمة.

وفي الثامنة والربع يتصل كيسنجر بزعيم الأغلبية الديمقراطية في مجلس الشيوخ مايك مانسفيلد ليطلعه بدوره علي نتائج الاتصالات التي قام بها مع البريطانيين والإسرائيليين والعرب وقرار الإدارة نقل الموضوع إلي مجلس الأمن بعد أن باتت الظروف مؤهلة لعقد مداولات. وردا علي سؤال من مانسفيلد حول موقف الروس رد كيسنجر قائلا: "انطباعي بصراحة أنهم فوجئوا بما قام به العرب هذه المرة. هذه معلومات سرية ولكنه أخبرونا أنهم قاموا بسحب خبرائهم من الدول العربية علي عكس رغبتهم قبل بدء القتال. ويبدو أنهم كانوا علي معرفة بالأمر قبل يومين من العمليات العسكرية. ولكن لا يوجد روس متورطون في العمليات القتالية". ويشدد مانسفيلد بدوره علي ضرورة المطالبة بعودة الوضع إلي ما كان عليه قبل اندلاع القتال وأن تقييمه هو أن الإسرائيليين يحققون تقدما.

كيسنجر - الرئيس نيكسون ١٠,٣٠ مساء

نيكسون: أهلا هنري. ما آخر تطورات الموقف؟

ك: لقد تم ترتيب الأمور بشكل جيد يا سيادة الرئيس. ومجلس الأمن سوف ينعقد غدا في الثالثة والنصف بعد الظهر

ن: بناء علي طلبك؟

ك: نعم بناء علي طلبنا

ن: ما أعنيه هو هل سيشترك معنا أحد في هذا الأمر؟

ك: في الدعوة للاجتماع؟ لا، ولكننا لا نحتاج لأحد لكي يشترك معنا. إن موقفنا جيد. أعتقد يا سيادة الرئيس أنه لا يجب علينا تقديم مشروع قرار سوف يتم رفضه ولكن يجب علينا تطوير فلسفتنا نحو تحديد كيفية إنهاء هذا الأمر

ن: هل ستذهب إلي هناك أم سكالي هو الذي سيتولي الأمر؟

ك: سكالي يمكنه القيام بالأمر

ن: إذا كانت الأمم المتحدة ستفشل، فلتدعها تفشل من دوننا

ك: بحلول يوم الخميس سيطلب الجميع منا التقدم بقرار. ولقد أخبرت الروس أننا لن نتقدم بقرار وأننا سنواصل المشاورات

ن: هل وصلت رسالة من بريجينيف؟

ك: نعم. لقد سمعنا منه

ن: وماذا قال؟

ك: لقد كانت رسالة ودية ولكنه لم يقل أي شيء. ولكن أحد الأمور التي ذكرها هي أن الروس قاموا بسحب خبرائهم علي عكس رغبة الحكومات العربية ولقد قمنا بالتأكد من ذلك من مصادرنا. كما قاموا بسحب أسطولهم من البحر المتوسط

ن: أين أسطولنا؟

ك: في الواقع، إن أساطيلنا (الأمريكية والروسية) باتت قريبة للغاية من بعضها البعض. فأسطولنا قد توجه نحو الشرق بينما توجه أسطولهم نحو الغرب. الموقف العسكري واضح. الجميع يريد تسوية. كما قمنا بالترتيب مع

الإسرائيليين إنهم إذا تجاوزوا خطوط ما قبل اندلاع القتال، فإنك سوف تناشدهم أن يعودوا إلي مواقعهم، وإنهم يجب عليهم القيام بذلك. لقد تأكدت من ذلك من السيدة مائير وهي موافقة.

ن: نعم. فيما يتعلق بالتقرير الذي كنت أقرأه وأنا في الطائرة في طريقي إلي هنا، وفي الغالب تجاوزه الزمن الآن، ولكن هؤلاء السوريون الكلاب أصابوني بالدهشة. إن أداءهم أفضل بكثير مما كنت أتوقع.

ك: إن الإسرائيليين لم يستخدموا قوات الاحتياط بعد. إن أداءهم رائع أيضا. لقد اتخذوا مواقع جيدة وتمكنوا من الاختراق من نقطتين عند ذلك الجبل. لا بد أنك رأيت ذلك التقرير عندما كنت هناك.

ن: نعم أتذكر ذلك

ك: إن أداءهم جيد حتي الآن. وقوات الاحتياط لن تكون جاهزة حتي الغد. كما أرسل لي حافظ إسماعيل (مستشار السادات الأمني) رسالة تقترح إطار للمفاوضات. وهو ليس مناسبا بعد ويشبه موقف فيتنام الشمالية قبل أربعة شهور من تحقيق اختراق. ولقد وصلتني نفس الرسالة عن طريق شاه إيران. ولكن الاقتراح غير مكتمل والوقت لم يحن بعد للقيام بذلك. يجب علينا اولا وقف الحرب وبعد ذلك تأتي الدبلوماسية.

ن: ما يجب القيام به الآن هو وقف الحرب. هذا سوف يكون إنجازا كبيرا. أحد أكبر الإنجازات. الناس في هذا البلد سوف يتخذون موقفا متشددا.

(....) تم حذف هذا الجزء بناء علي طلب مجلس الأمن القومي الحالي برئاسة كوندليزا رايس.

١٧

في أول أيام الحرب اتخذ السادات خطوة غير معتادة بالاتصال بنا:

"نحن لا ننوى تعميق الاشتباكات أو توسيع المواجهة"

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الأحد ١٩ أكتوبر ٢٠٠٣م ـ ٢٣ شعبان ١٤٢٤هـ

يستأنف كيسنجر في هذه الحلقة سرد بقية المحادثة الهاتفية التي أجراها مع الرئيس نيكسون، ثم يعطي انطباعه عن الموقف حيث يقول: ان السادات لم يكن ينوي مواصلة عمليات الهجوم لتحرير المزيد من أراضي سيناء المحتلة، وسرعان ما ستظهر فجوة بين ما تحقق لمصر عسكريا من ناحية، وبين الاغراض السياسية للسادات من ناحية أخري، وأن هذا الوضع سيؤدي عاجلا أو آجلا إلي مفاوضات سياسية. ويلخص كيسنجر الاستراتيجية الأمريكية كما قدمها في اجتماع لمجموعة عمل: مصر لا تريد مواجهة مع أمريكا في الأمم المتحدة، والاتحاد السوفيتي أيضا لا يريد مواجهة. وبالتالي فإن الموقف الأمريكي ينبغي أن يكون: وقف إطلاق النار والعودة إلي خطوط بدء القتال، برغم ما في ذلك من إغضاب للعرب وللسوفيت.

ثم يعود كيسنجر فيقول إنه بدأ يشك في دقة تقارير المخابرات التي توقعت انتصارا إسرائيليا مبكرا، وذلك من خلال محادثة سريعة مع كل من وزير الدفاع شليزنجر ومدير وكالة المخابرات المركزية ويليام كولبي ونائب وزير الخارجية كين راش.

ثم ينتقل كيسنجر إلي المحادثات الهاتفية التي أجراها في اليوم الثالث للحرب وهو يوم ٨ أكتوبر.

كيسنجر: ما زال الموقف مبكرا. في الغالب يشتم المرء رائحة عندما يقترب الطرفان من الموقف. ربما يوم الأربعاء أو الخميس. ولقد قمت بالاتصال بالكثير من اعضاء مجلس الشيوخ نيابة عنك بعد قرارك التوجه إلي الأمم المتحدة.

نيكسون: سوف أكون موجودا في الصباح. هل ستكون في البيت الأبيض غدا؟

ك: سوف أكون موجودا بين الثامنة والثامنة والنصف صباحا

ن: حسنا لماذا لا تأتي لتلتقي بي لنتحدث؟ ولتعلن عن ذلك.....

وكانت الإشارة إلي خطاب مستشار الأمن القومي المصري حافظ إسماعيل الذي أرسله نيابة عن السادات ـ والذي أشار له الزيات أيضا في وقت سابق من اليوم ـ أحد الأسباب وراء اعتقادنا أننا في موقف يسمح لنا بالسيطرة علي إيقاع العملية الدبلوماسية. ففي أول أيام الحرب، أتخذ السادات خطوة غير معتادة بالاتصال بنا. وفي رسالة موجهة لي عبر القنوات الاستخباراتية، أخبرنا إسماعيل بشروط مصر من أجل إنهاء الحرب. ولم تكن هذه الشروط مقبولة حيث طالبت بانسحاب إسرائيل إلي حدود ١٩٦٧ ولكنه كان من الواضح أن هذا هو الموقف المبدئي. وكان الاتصال بنا يمثل مخاطرة في حد ذاتها. ولم يكن في استطاعة السادات المخاطرة باستبعاد سوريا وربما الاتحاد السوفيتي ـ والذي كانت مساندته ضرورية من أجل الاستمرار في الحرب ـ من خلال التعجيل بتقديم تنازلات كان من شأنها دفع سوريا إلي التخلي عن المعركة المشتركة أو أن يقوم الاتحاد السوفيتي بتخفيض إمداداته.

ولكن ما كان مهما هو حقيقة وصول الرسالة وليس محتواها. فالسادات كان يدعو الولايات المتحدة لتتولي مسئولية عملية السلام، وذلك علي الرغم من أن موقفنا في الأمم المتحدة كان يقوم علي قيامه بالتخلي عن الأراضي التي تمكن جيشه للتو من الاستيلاء عليها. وتضمنت الرسالة تعهدا أظهر أن السادات كان يعرف جيدا حدود ما يمكنه الحصول عليه. وقالت الرسالة: "نحن لا ننوي تعميق الاشتباكات أو توسيع المواجهة". وإذا كان لهذه الجملة أي معني، فهو أن مصر لم تكن تنوي مواصلة عمليات الهجوم للاستيلاء علي المزيد من الأراضي بجانب ما تمكنت من الحصول عليه حتي الآن، أو استخدام الولايات المتحدة كأداة للجلد كما فعل ناصر في عام ١٩٦٧ ولكننا إذا كنا فهمنا السادات بشكل صائب، فإنه سرعان ما ستظهر فجوة بين ما تحقق لمصر من الناحية العسكرية من جهة وأغراضها السياسية من جهة أخري. وهذا سوف يؤدي إن عاجلا أو آجلا إلي مفاوضات سياسية.

وفي نهاية اليوم، قمت بتلخيص استراتيجيتنا في اجتماع مجموعة العمل:

"ن مصر لا تريد مواجهة معنا في الأمم المتحدة والسوفيت كذلك لا يريدون مواجهة معنا. نقطة. وسيكون موقفنا بشكل عام هو المطالبة بالعودة إلي خطوط وقف إطلاق النار. وسوف يصرخ العرب بأنه يجري حرمانهم من أرضهم، ولكنهم بحلول يوم الخميس (الحادي عشر من أكتوبر) سيكونون جاثمين علي ركبهم يتسولون منا وقفا لإطلاق النار. ونحن نحاول تجاوز هذا الأمر مع تحقيق أقل قدر من الضرر لعلاقتنا بالعرب وبالسوفيت. وإذا تمكنا أيضا من وضع بعض المال في البنك بالنسبة للإسرائيليين (ممارسة الضغط علي الإسرائيليين) لكي نقوم بالسحب منه في مفاوضات لاحقة، فسيكون ذلك أمرا جيدا.

ومع تقدم اليوم فلقد تأكد أن استراتيجتنا كانت صحيحة

(ولكن الحوار التالي عكس بداية شكوكي في دقة تقاريرنا الاستخبارية التي توقعت نصرا إسرائيلي مبكرا.):

ك: يبدو أن هناك حالة من النشوة

مدير وكالة المخابرات الأمريكية (سي.أي.أيه) ويليام كولبي: إن السوريين يعتقدون أن أداءهم جيد. ولكنهم لا يفكرون في المدي الطويل. وقد تكون نية مصر مجرد تحقيق تحرك محدود عبر القناة.

ك: لماذا لا يقومون بتعزيز انتصارهم؟ كل سفير أجنبي التقي السادات اليوم تم إخباره أن مصر لا تريد وقفا لإطلاق النار حتي يتمكنوا من الوصول إلي الحدود الإسرائيلية.

وزير الدفاع شليزنجر: أنت تفكر بشكل منطقي. ولا يمكنك تطبيق نفس ذلك المنطق عليهم

نائب وزير الخارجية كين راش: من الصعب التفكير أن السادات سوف يعبر القناة ثم يبقي هناك.

ك: تقييمي هو أنه سيقوم بعبور القناة والتوقف هناك. لا أعتقد أنه سيقوم بالاختراق أكثر من ذلك.

أفاد تقييم مشترك لوكالة المخابرات المركزية (سي. أي. أيه) ووكالة المخابرات التابعة لوزارة الدفاع (دي. أي. أيه) أن إسرائيل ستكون قادرة علي عكس التيار في مرتفعات الجولان بحلول يوم الثلاثاء: "بينما سيتطلب التحول نحو شن هجوم مضاد ضد السوريين يوما أو اثنان آخران" وذلك في الغالب لاستكمال تدمير الجيش السوري. أما في الجبهة المصرية، فلقد توقع التقييم أن تتضح نتيجة القتال بحلول يوم الأربعاء علي أقصي تقدير. وهذا التقييم المحايد نسبيا تم

تضخيمه بطريقة لم تدع مجالا للشك في النتيجة: "من المتوقع أن يتواصل قتال ثقيل لعدة أيام قادمة بينما يواصل الإسرائيليون العمل علي صد الجيش المصري."

وفي مثل هذه الظروف، فإن تأخير القيام بتحرك دبلوماسي كان يلائم احتياجاتنا. فمع مرور كل ساعة، كان الفارق الذي يفصلنا عن بقية أعضاء مجلس الأمن - وإذا ما كان يجب المطالبة بوقف إطلاق النار علي ما هو عليه الحال أو العودة إلي الوضع قبل اندلاع عمليات القتال كما كنا نطالب - ستتجاوزه الأحداث. وفور تمكن الجيش الإسرائيلي من الوصول إلي خطوط ما قبل اندلاع القتال، فإننا سنقبل بالمطالبة بمجرد وقف إطلاق النار. أما إذا تعدت إسرائيل هذه الخطوط، فيمكننا الاعتماد علي وجود غالبية من الأصوات في مجلس الأمن ستتبني موقفنا الأصلي وهو العودة إلي خطوط ما قبل اندلاع القتال، وسنمضي نحن مع هذا التوجه. وكانت مصلحتنا - أو بدا الأمر كذلك - أن نحافظ علي الموقف هادئا قدر الإمكان وذلك كي لا يثير الانتصار الإسرائيلي المتوقع الدول العربية الصديقة أو يشجع السوفيت علي محاولة العمل أو عكس اتجاه الأحداث من خلال توجيه تهديدات عسكرية. وكان الاتحاد السوفيتي، ولأسبابه الخاصة، يعتمد أيضا علي عامل الوقت. وبالتالي فإن النتيجة كانت تعتمد علي أي من التقديرات سيثبت أنه الأفضل.

ولتوسيع هذه الاحتمالات، أرسلت ردا إلي حافظ إسماعيل يهدف إلي إقناع السادات بممارسة ضبط النفس. وكان المضمون الأساسي للرسالة أن مصر قد أثبتت وجهة نظرها، وأنه لا يمكن كسب المزيد عن طريق الوسائل العسكرية وأن الولايات المتحدة كانت تقوم بجهد دبلوماسي:

"أود أن أكرر أن الولايات المتحدة ستفعل كل ما في وسعها من أجل مساعدة الأطراف المتصارعة علي وقف القتال. كما أن الولايات المتحدة، وأنا شخصيا، سوف نشارك بنشاط في مساعدة الأطراف علي التوصل إلي حل عادل للمشاكل التي عانت منها منطقة الشرق الأوسط لوقت طويل".

أما بقية اليوم فلقد قضيته في إطلاع قادة الكونجرس علي تطورات الموقف، ومواصلة الاتصالات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي لمنعه من قيادة حملة ضدنا في الأمم المتحدة وفي العالم العربي، والإبقاء علي الفرص مفتوحة لكي تقود الولايات المتحدة عملية السلام في الشرق الأوسط.

.....

ويجري كيسنجر أولي مكالماته في ذلك اليوم في الساعة ٩,٤٦ صباحا مع توماس مورجان رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس النواب حيث يطلعه علي الاتصالات التي قام بها منذ اندلاع القتال مع كافة الأطراف المعنية والموقف في الأمم المتحدة وكيف انتهي الأمر بان الولايات المتحدة ستطالب بمفردها بعقد اجتماع لمجلس الأمن ولكنها لن تتقدم بمشروع قرار ما لم تكن علي ثقة بأنها لديها التأييد الكافي لتمريره.

....

كيسنجر - دوبرنين الساعة ٩,٥٤ صباحا

دوبرنين: لقد تلقيت للتو رسالة شفوية وأعتقد أنها عاجلة إلي حد ما. إنها رسالة شفوية من الرئيس بريجنيف إلي الرئيس نيكسون ولكنه طلب مني اطلاعك شخصيًا علي محتواها. الرسالة قصيرة وسوف أقرأها لك: "لقد اتصلنا بقادة الدول العربية حول قضية وقف إطلاق النار. ونأمل في الحصول علي رد قريبا. نعتقد أنه يجب علينا أن نعمل من خلال التعاون معكم، يقودنا في ذلك اهتمامنا العام بالحفاظ علي السلام وتطوير العلاقات السوفيتية - الأمريكية. ونأمل أن يتصرف الرئيس نيكسون بنفس الطريقة".

ك: يمكنني إجابتك علي هذه الرسالة علي الفور وذلك لأنني انتهيت للتو من لقاء مع الرئيس. هذا يعكس نفس الروح التي لدينا ونحل نتطلع للتعاون من أجل تحقيق السلام. كما أنني كنت أنوي الاتصال بك لأخبرك أننا لا نقوم بتقديم قرار إلي مجلس الأمن بعد ظهر اليوم.

د: لن تقوموا بذلك؟

ك: كلا. سنكتفي بعقد نقاش عام. ولكننا سنكون ممتنين لو لم تقوموا بمواجهتنا بقرار من دون مناقشة الأمر معنا كما نفعل نحن الآن.

د: لا أعرف. لقد تلقيت برقية موجهة لسفيرنا في الأمم المتحدة بها توجيهات ولكن لم أطلع عليها بعد.

ك: هل بإمكانك أن تطلعني علي ما تنوون القيام به؟

د: سأبلغهم علي الفور بأنكم لن تتقدموا بقرار اليوم

ك: لا توجد لدينا نية للتقدم بقرار اليوم ما لم يحدث تغير درامي في الموقف. وجهة نظرنا هي أنكم طالما لن توافقوا علي مقترحنا، كما أننا لن نوافق علي اقتراحكم، فمن الأفضل أن نعقد نقاشا عاما.

د: أعتقد ذلك. ربما يصلني رد في وقت لاحق وسوف أتصل بك. ولكنني شخصيا أتفق معك أنه من الأفضل عقد مناقشة عامة.

ك: لماذا لا تطلع موسكو علي ذلك؟

د: سأقوم بهذا علي الفور

ك: كما أننا سنتبني أيضا لهجة معتدلة ولكن...

د: أفهم ذلك، في ظل الظروف الحالية

ك: سوف نتبع خطكم في عدم مهاجمتكم.

د: أنا أفهم ذلك.

....

وفي العاشرة والثلث يجري كيسنجر مكالمة مع جون ستينيس رئيس لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ عن الحزب الديمقراطي يطلعه أيضا علي تطورات الموقف في مجلس الأمن والتعاون الجاري مع السوفيت والرسالة التي تلقاها من موسكو والتي تؤكد عدم رغبتهم في خروج الموقف عن نطاق السيطرة. ويضيف كيسنجر أنه علي الرغم من أنه قد لا تبدو هناك تحركات علنية "فلقد تمكنا من احتواء الأزمة ونعتقد أنه خلال يومين سنكون قد تمكنا من استعادة الهدوء". كما أخطره بموقف واشنطن المؤيد للعودة لخطوط ما قبل اندلاع القتال حتي لو تمكنت إسرائيل في وقت لاحق من الاستيلاء علي أراض عربية جديدة.

.....

كيسنجر ـ لورد كرومر الساعة ١١ صباحا

ك: أود أن أطلعك علي آخر تحركاتنا وما نقوم به. قررنا عدم التقدم بقرار بعد ظهر اليوم. سوف نعبر عن هدفنا العام المطالب بالعودة لخطوط ما قبل اندلاع القتال في ٦ أكتوبر ولكن ليس في صيغة قرار بل في صيغة بيان يعبر عن فلسفتنا. وبهذه الطريقة نتجنب التصويت أو التعبير عن أراء متعارضة. شعوري هو أنه بحلول الغد سيكون الأمر برمته محل نقاش.

كرومر: بهذه السرعة؟

١٨

السفير الإسرائيلي يعترف بأن قتلى إسرائيل بالمئات

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الاثنين ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٣م ـ ٢٤ شعبان ١٤٢٤هـ

يستأنف كيسنجر في هذه الحلقة سرد المحادثة التي أجراها مع السفير البريطاني، ثم ينتقل إلي محادثة مع زعيمي الاغلبية والأقلية في مجلس الشيوخ الأمريكي، تليها محادثة مع الرئيس نيكسون ثم مع السناتور جاكوب جافيتز الموالي لإسرائيل ثم مع السفير الإسرائيلي وكل هذه المحادثات الهاتفية تجري في جو محموم بالرغبة في كسب الوقت لصالح إسرائيل، حيث كان الرهان هو أن الإسرائيليين سـيتمكنون من التغلب ـ خلال يومين فقط ـ علي انطلاقة الجيوش العربية.

كيسنجر (مستأنفا حديثه مع السفير البريطاني لورد كرومر): توصيتي لك هي ألا تطالب فورا بوقف لإطلاق النار لأنك بذلك قد تكون تمنح تصديقا لاستيلاء إسرائيل علي أراضي. وأعتقد أنه بحلول مساء غد، فإن موقفنا الذي دعونا له يوم السبت سيبدو أفضل بالنسبة لك

كرومر: أنا اعتقدت أيضا لفترة طويلة أن هذا قد يكون الموقف.

ك: سوف يكون مشروع قرارنا بناء وصياغته غامضة وأرجو أن تتمكن أنت أيضا من أن تقنع الملاعين ممن يقومون بالصياغة في لندن بالقيام بنفس الشيء.

كر: أشكرك علي اطلاعي علي الموقف وبالمناسبة لقد وصلني تقرير من وكالة الأسوشيتد برس يقول أن فولبرايت والسفير البريطاني مترددين بشأن ما يجري أنا لست مترددا بالمرة نحن موقفنا مشترك مما يجري.

ك: لم أر ذلك التقرير، ولكني أعتقد أن فولبرايت سيمضي قدما أعتقد أنني وأنت في موقف جيد.

كر: نعم.

ك: نحن لا نمانع أن تكون هناك درجة من الخلاف بيننا والتي ستمسح لنا بالتحرك نحو موقف آخر فلندع الأمور تسير اليوم بناء علي ما اتفقنا عليه وسنري غدا ما سينتهي إليه الموقف.

كر: هل قررت القيام بشيء فيما يتعلق بمناشدة لبنان لك أن تتدخل نيابة عنهم في الاتصال بالإسرائيليين؟

ك: أنت لست علي دراية بهذا الأمر.

كر: أعتقد أنهم تقدموا بالمناشدة رسميا لكم هذا هو ما أخبرنا به رئيس لبنان أنه يقوم به

ك: إذا كان هذا الموقف، فإن هذه الرسالة لم تصلنا بعد، أو أن المساعدين لي لا يقومون باطلاعي علي ما يحدث في الدول التي يقل تعداد سكانها عن عشرة ملايين وإذا كان اللبنانيون قد تقدموا بهذه المناشدة، فسوف نتدخل نيابة عنهم.

كيسنجر ـ مايك مانسفيلد زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ الساعة ١١,٢٥ صباحا.

بدأ الحوار باطلاع السيناتور مانسفيلد علي الموقف في مجلس الأمن وتبرير كيسنجر لتأخير التقدم بقرار حتي يحصل علي دعم كاف كما أكد علي موقف واشنطن المطالب بالعودة إلي خطوط ما قبل٦ أكتوبر وكيف أن العرب أعربوا عن عدم رضائهم عن ذلك الموقف كما يطلعه مانسفيلد علي الجهود المبذولة في مجلس الشيوخ لإصدار قرار يعربون فيه عن تأييدهم لجهود كيسنجر ولكنه طالبه بالإعلان عن موقفه أولا لكي يكون من الممكن صدور ذلك القرار ويرد كسينجر قائلا: "نحن لا نمانع صدور قرار يدعو إلي العودة إلي مواقع يوم الجمعة(٥ أكتوبر) وذلك لأننا نعتقد أن ذلك سيتحقق في جميع الأحوال بحلول الغد وبعد ذلك سيكون الإسرائيليون في طريقهم للتقدم نحو الدولة العربية" ولكنه يطلب منه ألا يطلع الآخرين علي أنه طلب منه تبني تلك الصياغة وأن يقنع زعيم الأقلية في مجلس الشيوخ هيو سكوت من الحزب الجمهوري بالاتصال به.

كيسنجر ـ السيناتور هيو سكوت زعيم الأقلية في مجلس الشيوخ الساعة ١١,٣٥ صباحا.

رغم أن سكوت هو الذي قام بالاتصال فلقد بدأ الحوار كالتالي:

كيسنجر: "إنك تقرأ ما في ذهني لقد كنت علي وشك الاتصال بك!"

ومن ناحيته يؤكد سكوت دعمه لموقف كيسنجر وأنه سيسعي للحصول علي قرار من المجلس بهذا المعني رغم وصول العديد من مشاريع القرارات المتعارضة والساخنة من الأعضاء علي أساس انتماءاتهم الحزبية ويكرر كيسنجر مطالبته بأن يتضمن أي قرار تأييد لموقف الإدارة المطالب بوقف لإطلاق النار والعودة إلي خطوط الخامس من أكتوبر.

كيسنجر ـ الرئيس نيكسون الساعة ١١,٥٠ صباحا.

نيكسون: فيما يتعلق بسكوت ومانسفيلد، هل سيقولون أننا نساند القرار الذي يسعون لإصداره؟

ك: إنهم يقولون إن هذا يجب أن يكون هدفنا

ن: هل سيقولون إن الإدارة تساند ذلك الهدف (وقف إطلاق النار والعودة إلي مواقع ما قبل اندلاع القتال)؟

ك: هم سيقولون أننا يجب علينا أن نفضل ذلك الهدف لقد قلت لهم أن ذلك لن يتعارض مع ما نحاول القيام به ولكنني لم أقل لهم أن يقوموا بذلك (هنا كيسنجر يكذب علي الرئيس شخصيا حيث إنه بالفعل طالب السيناتور مانسفيلد زعيم الأغلبية بإصدار قرار بهذا المعني ـ الأهرام).

ن: نعم هل تعتقد أنه سيكون من المجدي أن أحاول الضغط عليهم ومطالبتهم بألا يبالغوا في موقفهم؟

ك: لا يا سيادة الرئيس هذه لن تكون مبالغة

ن: من ناحيتهم.

ك: لا لا هذا لا يمثل مبالغة من ناحيتهم سيكون سكالي (سفير الولايات المتحدة في الأمم المتحدة) قد تحدث أمام المجلس قبل أن يتمكنوا من تمرير هذا القرار وما سيعبرون عنه هو موقفنا في الأساس هم يساندونك.

ن: إذا اضطررت للاتصال بهم، فبإمكاني القول أننا نقدر هذا الدعم.

ك: أعتقد أنهم سيقدرون ذلك وهذه ستكون لفتة طيبة.

ن: حسنا حسنا.

كسينجر ـ السناتور جاكوب جافيتز الجمهوري عن ولاية نيويورك الساعة ١٢,٥٥ ظهرا

جاكوب: هل تحدث معك هيو سكوت بشأن القرار؟

ك: نعم.

ج: هل تمكنت من الاتفاق علي شيء معه؟

ك: لقد تحدثت معه ومع دينيتز (سفير إسرائيل لدي الولايات المتحدة) للتأكد من أن مثل هذا القرار لن يضايقهم سوف نرحب بقرار وفقا للخط التالي. تعبير عن الموافقة وتوصية تساند العودة إلي خطوط وقف إطلاق النار قبل اندلاع الأعمال العدائية

ك: لدينا قرار هنا يساند كافة جهودنا الدبلوماسية، كما ينص أيضا علي حقها (إسرائيل) في التوصل إلي حدود يمكن الدفاع عنها هل يضايقك ذلك؟

ك: لا.

ج: لدينا جزءان تأييد الطريق التي يتم بها تناول الأزمة ومساندة العودة إلي خطوط وقف إطلاق النار المتفق عليها.

ك: لم أكن لاستخدم خطوط وقف إطلاق النار هذا قد يخلق بعض التشويش كالمطالبة بالعودة لحدود٦٧ المطالبة بالعودة إلي خطوط ما قبل اندلاع العمليات العدائية

وفي نفس الوقت كنت أتلقي تقارير دورية من السفير الإسرائيلي والذي كان نادرا ما يفوت فرصة لتذكيري أنه بالإضافة إلي الجيوش في الميدان، فإنه كان يحتفظ بفيالق في الكونجرس

كيسنجر ـ السفير الإسرائيلي سيمحا دينيتز الساعة ١,١٤ بعد الظهر.

دينيتز: سأعطيك آخر تطورات الموقف وهناك أيضا رسالة خاصة من رئيسة الوزراء الموقف علي الجبهة يبدو أفضل بكثير لقد تحولنا من مرحلة الاحتواء إلي الهجوم في كل من سيناء ومرتفعات الجولان ويعتقد العسكريون لدينا أن هناك فرصة جيدة لدفع السوريين والمصريين إلي خطوط وقف إطلاق النار.

ك: لقد رأيت تقريرا يشير إلي أنكم عبرتم القناة

د: رأيت هذا التقرير أيضا وتحدثت إلي مكتب رئيسة الوزراء قبل ساعة ولم أستطيع الحصول علي تأكيد. أنا أنتظر الحصول علي التأكيد وسوف أطلعك علي الرسالة فور وصولها الآن وعودة إلي مراجعة الموقف العسكري: إن أهم شيء بالنسبة لنا هو أن نكسب الوقت وذلك لكي ننهي عملنا أنا ما زلت في انتظار توجيهات من رئيسة الوزراء، ولكننا لن نرفض فقط قرارا يطالب بوقف إطلاق النار علي ما هو عليه الحال الآن ولكن كذلك العودة إلي ما كان عليه الوضع في السابق وذلك لأن هذا غير واقعي لأننا لا نضمن أنهم سيقومون بسحب قواتهم أود أيضا أن أقول لك إنه قد لحقت بنا خسائر فادحة للغاية في الأرواح والمعدات بسبب صواريخ سام ـ ٦ التي كانت فعالة للغاية في مواجهة طائراتنا لا يوجد لدي رقم إضافي عن الخمس وثلاثين طائرة الذي أطلعتك عليه أمس الخسائر البشرية تفوق المائة وربما مئات لا يوجد لدينا تأكيدات.

ك: مئات؟

د: نعم مئات. من الممكن للغاية أن نقوم باتخاذ مواقع عسكرية علي الجانب الآخر من القناة وأنا أقول ذلك من دون تأكيد الرسالة السابقة من رئيسة الوزراء هي أنه من الممكن أن نتخذ مواقع عسكرية علي الجانب الآخر من القناة وكذلك في خطوط وقف إطلاق النار السابقة في مرتفعات الجولان وذلك للقيام بأعمال الملاحقة الساخنة ولحماية أنفسنا من وقوع هجمات جديدة لكي يكون في أيدينا أوراق سياسية للعب بها كما تحدثنا أمس لا يوجد لدي تأكيد بوقوع

أي من هذه التحركات وذلك لأن القتال ما يزال مستمر - وفقا لمعلوماتي - علي جانبنا من خط وقف إطلاق النار والآن لدي رسالة خاصة من رئيسة الوزراء لك، والتي سوف أقوم بقراءتها وعندما نتقابل لاحقا، فإنني سوف أسلمها إلي بيتر رودمان (أحد كبار مساعدي كيسنجر) "إن رئيسة الوزراء تود أن تنقل لها تقديرها العميق ليس فقط لمساعدتك ولكن أيضا لنصائحك الحكيمة وهي تقول في البرقية أنك تفهم تماما الفكر الذي يدور في رؤوسنا وكأنك تجلس معنا هنا وأهداف القتال الذي نقوم به واضحة تماما بالنسبة لك وهدفنا هو أن الضربات الموجعة التي سنلحقها بالغزاة سوف تحرمهم من أية شهية للقيام بأية هجمات في المستقبل ولقد نجم عن مجهوداتنا العسكرية غير العادية ثمن كبير، خاصة في الطائرات. ونحن نواجه فجوة هائلة في الكميات لقد تمت إصابة طائراتنا كما أنه تم استهلاكها. ورئيسة الوزراء تناشدك أي يكون هناك بدء فوري في تسليم بعض طائرات الفانتوم الجديدة علي الأقل" نهاية الرسالة.

ك: سأقوم بأفضل ما في وسعي ولتقل لها - لمعلوماتها الخاصة - أنني تحدثت مع الرئيس هذا الصباح وكذلك مع الجنرال هيج حول استبدال الطائرات التي فقدتموها، وهو الأمر الذي لقي بعض المعارضة أمس كما تعرف، وأنه وافق من حيث المبدأ.

د: نعم كيف نتحرك الآن؟ هل انتظر حتي أسمع منك؟

ك: من الأفضل أن تنتظر حتي تسمع مني. قد يغير ذلك من حساباتكم الخاصة

د: هذا مهم للغاية سوف أبعث رسالة علي الفور

ك: أنا لا أريد خداعك سوف نتمسك بموقفنا الخاص بخطوط وقف إطلاق النار - لقد ناقشنا ذلك أمس - ولكن من دون أي يؤثر ذلك علي العمليات العسكرية الجارية حاليا هذا هو الموقف الذي سنعبر عنه في مجلس الأمن. لن نقدم قرارا، مجرد حديث فلسفي.

د: بالطبع

ك: هناك أمر آخر لقد وصلتنا رسالة أكثر مهادنة بكثير من السوفيت هذا الصباح وهم يطالبوننا بأن نناشد ضبط النفس، ولكن جوابنا كان أن هذا هو ما نقوم به بالفعل وفي أي حال، لقد حذرناهم من القيام بأي تحرك، وسوف ألقي خطابا هذا المساء في أحد المؤتمرات وسوف أكرر بوضوح من خلال نقطتين أن سياسة التهدئة لا يمكن أن تتحمل القيام بأية تصرفات غير مسئولة وفي أحد المرات سأشير تحديدا إلي الشرق الأوسط كما سأشير أيضا في خطابي إلي موقفنا الخاص بمنح السوفيت صفة الدولة الأولي بالرعاية وأتمني من الله ألا تقوم كل جماعة يهودية بمهاجمتي هذا الأسبوع بسبب هذا الموقف.

د: أستطيع التحدث باسمهم إلي درجة ما ولا أعتقد أن ذلك سيحدث هذا الأسبوع في جميع الأحوال.

ك: لا أعتقد أن ذلك سيكون موقفا حكيما ولكن هذه ليست مشكلتي الأساسية السؤال الأخير لدي يا سيادة السفير يتعلق بأن اللبنانيين طلبوا مني أن أناشدكم بألا تقوموا بانتهاك سيادتهم.

د: أنا علي يقين من أنه لا يوجد لدينا أي خطط لانتهاك سيادتهم.

ك: إذا لم يكن لديكم مثل هذه الخطط، هل يمكنك توصيل هذه الرسالة لي وذلك لكي أوصلها بدوري لهم وللبريطانيين إن ذلك سيساعد في خلق الجو الذي نسعي له جميعا.

د: سوف اؤكد ذلك لك سوف نبقي البريطانيين خارج الموضوع.

ك: أرجو منك تأكيد هذا الأمر، وإذا تم ذلك بسرعة فإن ذلك سيكون جيدا.

د: لدي أمر إضافي لك لقد تلقيت العديد من المكالمات هذا الصباح من أعضاء مجلس الشيوخ من كافة الاتجاهات وكلهم عبروا عن تعاطفهم ورغبتهم في تقديم المساعدة ولقد أكدت لهم جميعا أن الحكومة الأمريكية تدعو للسلام

والاستقرار وأن رؤيتنا موحدة ولا توجد مشاكل بيننا بعضهم أراد تقديم مشروع قرار ولكن أعتقد أن ما يقومون به الآن بدلا من ذلك هو إعداد بيان وسوف يقوم سكوت بالاتصال بك خلال فترة وجيزة.

ك: لقد قام بذلك بالفعل ولقد أخبرته أنه لا يوجد لدي اعتراض علي صدور قرار وفقا لما ناقشته معه بالأمس ولكنني لا أدفع لذلك.

د: أنا أيضا لا أقوم بذلك لقد أصدر عدد من أعضاء مجلس الشيوخ بيانا بالفعل وهم كلهم يقفون في الصف أنا لم أطلب أية مبادرة من طرفهم، وكل ما أقوم به هو اطلاعهم علي الموقف والكثير يسألون إذا ما كانوا يستطيعون المساعدة من الناحية المادية وردي عليهم هو أنني علي اتصال لصيق بالحكومة وأنه لا توجد مشاكل قائمة بيننا.

ك: صحيح.

د: وفي نفس الوقت فإننا سنقدر للغاية كل ما يمكن القيام به في مجال الطائرات والمعدات الأخري.

ك: سأتصرف اليوم فيما يتعلق بالمعدات الأخري.

د: سأنتظر السماع منك وسأبلغ رئيسة الوزراء بما أطلعتني عليه.

ك: سوف أحاول الحصول علي المعدات المضادة للدبابات والمعدات الالكترونية الأخري

د: ربما يكون من المفيد أن نحدد موعدا للقائنا اليوم.

ك: ربما يكون ذلك ممكنا بعد ظهر اليوم.

كيسنجر - السيناتور سكوت الساعة ١,١٥ بعد الظهر

يقرأ السيناتور سكون لكيسنجر نص البيان المقترح صدوره عن مجلس الشيوخ:

"يأسف مجلس الشيوخ علي اندلاع الأعمال العدائية في الشرق الأوسط ونساند جهود رئيس الولايات المتحدة ووزير الخارجية في دعوتهم للمشاركين أن يصلوا إلي وقف لإطلاق النار وعودة الأطراف المعنية علي خطوط المواقع التي كانوا يحتلونها قبل اندلاع الأعمال العدائية الحالية وبالإضافة لذلك فإن مجلس الشيوخ يعبر عن أمله في ظرف أكثر استقرار يؤدي إلي السلام في المنطقة".

كيسنجر: رائع.

سكوت: لم نقل أكثر سلاما، ولكن ظرفا أكثر استقرار يؤدي إلي السلام.

ك: لا يمكن أن يكون القرار أفضل من ذلك من وجهة نظري.

س: إننا نسجل تاريخا في مجلس الشيوخ قولنا أننا نؤيد ما قمت به وكذلك ما تحاول القيام به كما أن جافيتس يريد التحدث ليقول كم أنت شخص رائع.

ك: لا يمكنني الاعتراض علي ذلك قلت له أنني أوافق علي هذا الأمر.

كيسنجر - السيناتور تيد كينيدي الساعة ١,٤٠ بعد الظهر

بعد أن يطلع كيسنجر عضو مجلس الشيوخ تيد كينيدي علي تطورات اليومين الماضيين وموقفه من ضرورة أن ينص قرار مجلس الأمن علي عودة الأطراف المتحاربة إلي خطوط٥ أكتوبر وكيف أن ذلك الموقف سيكون مقبولا لاحقا للجانب العربي بسبب تيقنه من خسارته للحرب، يجري الحوار التالي:

كينيدي: ولكن ما هي احتمالات أن تواصل (إسرائيل) تقدمها؟ ما هي الضغوط التي ستتم ممارستها علي إسرائيل لكي تبطئ (من تقدمها)؟ هل هذا واقعي؟

ك: لقد قلنا للإسرائيليين بالفعل أننا لن نساندهم لو تقدموا بعد المواقع الحالية ولكن تقديرنا هو أنه بنهاية هذا الأسبوع سينتهي هذا الأمر برمته. إن كلا الطرفين يحقق خسائر فادحة.

كينيدي: وأعتقد أن الأمر برمته يسير لصالح الإسرائيليين؟

ك: بعد ظهر اليوم، يبدو أن الإسرائيليين قد أصبحت لهم اليد العليا.

١٩

كيسنجر: تعليماتى لممثلنا في الأمم المتحدة:
لا نريد مواجهة مع المصريين ولا مع السوفيت

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الثلاثاء ٢١ كتوبر ٢٠٠٣م ـ ٢٥ شعبان ١٤٢٤هـ

في هذه الحلقة يسرد كيسنجر مكالمة هاتفية مع وزير خارجية مصر محمد حسن الزيات ثم مع وزير خارجية إسرائيل أبا ايبان ويتبعهما بمحادثة مع السفير السوفيتي ثم المبعوث الأمريكي إلي الأمم المتحدة ثم مع الأمين العام للأمم المتحدة كورت فالدهايم، وتدور كل هذه المحادثات حول كيفية الإعداد لجلسة مجلس الأمن المرتقبة.

كيسنجر ـ الزيات الساعة ١,٤٥ بعد الظهر

ك: السيد الوزير، هناك أمران. لقد قمت بتخفيف البيان ـ الذي نجري اعداده ـ بدرجة غير محسوسة تقريبا وأضفت نقطة أخري تقول أن السلام في المنطقة يتطلب احترام كافة قرارات الأمم المتحدة وأنا علي ثقة أنك تدرك أن الإسرائيليين لن يكونوا متحمسين لذلك الأمر.

الزيات: شكرا سأستمع لبيانكم.

ك: سوف تجد أنه يمثل الحد الأدني من الموقف الذي يمكن لنا أن نتبناه مع الوضع في الاعتبار ظروفنا هنا.

ز: سيتوجب علي سماعه.

ك: أود فقط أن أقول وأؤكد لك، وكما ستري من اتصالي مع حافظ إسماعيل، أننا نحاول التماسك.

ز: إنني أشعر بخيبة أمل كبيرة الآن.

ك: سيادة وزير الخارجية، يجب أن تفكر في اجتماعاتنا السابقة سوف تجد أن هذا أقل ما تم القيام به.

ز: لقد كنت أطلع علي مجلة "لايف" وقرأت لك مقالا تقول فيه أنه يجب أن نري كم من الأمن من الناحية المادية (الأرض) ضروري لكي...

ك: نعم، هذا صحيح.

ز: أنت الآن تساعدهم علي التمسك بذلك الشيء الزائف المتعلق بالأمن (فكرة أن التمسك بالأرض تحقق لهم المزيد من الأمن ـ الأهرام).

ك: موقفي هو ما شرحته لك يوم الجمعة، وسنحافظ علي هذا الموقف. ثانيا: إن المبادئ التي نعلنها سيتم الحفاظ عليها حتي لو كان الإسرائيليون يكسبون المزيد من الأراضي.

ز: كما قلت لك، لن نسمح بذلك.

ك: أنا أفهم. ولكن لن يوجد أحد سيفهم ذلك

ز: لن يوجد أحد يفهم ذلك؟

ك: لا يوجد لدي شك في ذلك أنا أفهمك أين يمكنني إرسال الرسالة إلي حافظ إسماعيل؟

ز: أنا هنا في أبراج ولدروف، ٣٧ إف.

ك: سوف نقوم بتوصيلها إلي هناك ولقد أوصينا مندوبنا - هل تنوون الرد (في مداولات مجلس الأمن)؟

ز: بالطبع كنت سأقوم بالرد إذا كانوا يريدون البقاء علي أرضنا.

ك: أعتقد أنك ستجد أن الأمر لن يكون كذلك سوف تجد إشارات كافية إلي القرارات الأخري وهو ما يعني أنه سيقول العكس تماما لقد قمت بأفضل ما لدي، وسوف تجد أننا نواجه ضغطا هائلا من الكونجرس هنا، ولكننا نقوم بأفضل ما لدينا لا بد أن نبقي علي اتصال لأننا نريد التحرك في الاتجاه الذي تناقشنا فيه أنا وأنت لقد قرأت بيانك اليوم، وهو بناء للغاية.

ز: شكرا.

ك: لقد تصرفت طوال الموقف بسلوك رجل دولة.

ز: آمل ذلك.

ك: سنقوم بما في وسعنا.

ز: حسنا.

ك: يحب أن نتحدث سويا كل يوم بينما يستمر هذا الموقف.

كيسنجر - أبا إيبان الساعة ٢,٤٠ بعد الظهر

ك: السيد وزير الخارجية، لقد أخبرني الأمين العام (للأمم المتحدة) أنه حصل علي موافقة من المصريين بعدم التحدث في مجلس الأمن إذا لم تقم أنت بذلك.

إيبان: لقد قمت بمنح موافقتي.

ك: أعتقد أن الأمر سيمضي جيدا.

إ: سيمضي جيدا في إطار ما نحاول تحقيقه

ك: هذا ما سيحدث في مجلس الأمن ما لم يحدث شيء غير متوقع سوف يوضح سكالي موقفنا ثم يتم تعليق الجلسة.

إ: لقد تحدثت مع رئيس الوزراء الاسترالي وهو علي استعداد للتعاون أيضا.

ك: الموضوع الوحيد الذي سيتم طرحه علي مجلس الأمن هو ما نقوم بصياغته بشكل عام. أن المصريين والسوريين بدأوا الأمر ولكننا لسنا هنا لتقييم الطرف الذي يتم توجيه اللوم له مبدأنا هو أن الحكومات يجب أن تصل إلي وقف لإطلاق النار والكثير من الكلمات التي تنتهي بالقول "أن القوات يجب أن تعود إلي مواقعها الأصلية" وأعتقد أنه سيكون من المجدي لو لم تطالب أنت أيضا بهذا الموقف لفترة، وذلك لكي لا يبدو الأمر وكأن هناك تواطؤا أمريكيا.

إ: أعتقد ذلك لقد عبرنا عن موقفنا ولا أعتقد أنه يجب علينا أن نقول أي شيء لأي أحد أو للصحافة اليوم.

ك: سوف يتم تمرير قرار من قبل الكونجرس اليوم.

إ: لقد سمعت بذلك من السفير.

ك: وهو يطالب بنفس الموقف.

إ: نعم.

ك: ولا أعتقد أن هناك أي حاجة لكي تعبر عن هذا الموقف ثانية لا نريد أن يكون الأمر سهلا للمصريين لكي يقولوا أن هناك تواطؤا.

إ: أود أن أعرف متي يكون الصمت مجديا.

ك: هل أنت مستعد لخطاب طوله ست ساعات أو للصمت؟

إ: نعم ونصائحك دائما تعتمد علي مواقف من طرفي نقيض.

ك: أنا أميل لاتخاذ مواقف متشددة أنت علي صواب.

إ: ما لم أسمع منك شيئا آخر، فإنني لن أتحدث سأكون هناك لمجرد الحضور ولكنني لن أطلب الكلمة.

كيسنجر ـ السفير دوبرنين الساعة الثالثة بعد الظهر

ك: أود أن أقول لك أننا ملتزمون بما قلته لك هذا الصباح سوف نلقي ببيان نقول فيه أننا لا نريد أن نلقي باللوم علي أي طرف كما سنتحدث عن المبادئ اللازمة للتوصل إلي تسوية بطريقة عامة للغاية ـ وهي تتضمن الأفكار التي سلمتها لك، ولكن سيتم التعبير عنها بشكل مبهم وذلك لمجرد وجودها هناك لكي يتم استخدامها لاحقا وإذا تمكن ممثلكم من ضبط النفس، فإنني أعتقد أن الجلسة ستكون هادئة لقد فهمنا كذلك أن المندوب المصري لن يتحدث وطالبنا الإسرائيليين بألا يتحدثوا ما لم يتحدث المصري ولقد فهمت أن المصري قال أنه لن يتحدث وإذا تمكنا من تهدئة هذين الاثنين، فمن الممكن أن يكون أمامنا جلسة قصيرة.

د: ألن تتقدموا بقرار؟

ك: لا سوف نقدم بيانا فلسفيا قمت بترجمته للتو من الألمانية (مزحة تشير إلي أصول كيسنجر الألمانية).

د: حسنا.

ك: إنني أعتمد عليك لضمان أنكم لن تتقدموا بقرار.

د: وفقا لكل معلوماتي، لا يوجد قرار.

ك: كما فهمت فإن ياكوف ماليك (السفير السوفيتي لدي الأمم المتحدة) ليس عضوا في اللجنة المركزية ولا يمكنه تجاوزك (مزحة).

د: بالتأكيد.

ك: بكل جدية، أود أن أعرف التعليمات الصادرة لك وذلك لتجنب أي مواجهة مع ماليك. لقد تمت صياغة بياننا بطريقة من المفترض ألا تثير أي رد فعل حتي من العرب لدينا فقط جملة واحدة تشير إلي العودة إلي المواقع السابقة إنه ليس اقتراح ولكنه سيوفر جوا مناسبا. وفي تقييمنا، فإنه بحلول مساء الغد فإن أصدقاءك (العرب) سوف يقدرون هذا المقترح بشدة (بافتراض هزيمة الجيوش العربية ـ الأهرام).

د: بحلول مساء الغد؟

ك: أو الأربعاء.

د: هل تقصد وقف إطلاق النار؟

ك: لا أعرف إذا ما كانوا سيريدون وقفا لإطلاق النار ولكن الموقف العسكري سيتغير بحيث لن يكونوا محتلين (العرب) لأي أراض إسرائيلية بحلول مساء الغد وفي هذه الحالة، لن يكون هناك فرق وبإمكاننا التخلي عن هذا المطلب (العودة إلي مواقع٥ أكتوبر) إننا لن نتقدم بقرار بعد هذا الخطاب، لن نقوم بشيء أؤكد لك أننا لن نقوم بشيء آخر اليوم لا نخطط الآن لتقديم قرار.

د: هذه هي القضية.

ك: وفقا لما فهمته من رسالة بريجينيف اليوم، فإننا يجب أن نواصل التنسيق بشأن هذا الأمر وجوابنا هو نعم لن نقوم بأي شيء قبل أن نسمع منكم.

د: هل كانت لديك فرصة للحديث مع الزيات؟

ك: لقد تحدثت معه مرتين.

د: اليوم؟

ك: نعم.

د: هل سيقوم بالانتصار في الحرب؟

ك: انطباعي أن تقييمهم هو أنهم يعتقدون أنهم قد ينتصرون.

د: هو يفكر بطريقة ما في العلن وطريقة أخري في السر من الصعب معرفة الموقف.

ك: هو لم يقدم اقتراحا محددا ولكنه لم يكن حادا ولكنه لم يكن لديه مقترح محدد إنها نظرية جديدة في الحرب لا اعرف إن كانوا قد تعلموها في الكليات الحربية لديكم أنا مقتنع أنك إذا بدأت حربا، يجب أن تعرف إلي أين تتجه.

د: حسنا لتبقي علي اتصال.

كيسنجر ـ السفير سكالي الساعة ٣,١٥ بعد الظهر

ك: لديك بيان الآن. إنه لن يهز العالم. معلوماتنا هنا أنه لن تكون هناك فرصة لأن يتحدث أحد غيرك، ولكن في جميع الأحوال، إذا تحدث المصريون، وشعرت أنك مضطر للرد، فلتكن رفيقا للغاية بهم. أنا غير مصر علي قيامك بالرد ولكن لتكن رفيقا للغاية ولتشر إلي استمرار التمسك بروح الحوار معهم حول السلام. نحن لا نريد مواجهة مع المصريين. كما أن فهمي هو أن السوفيت قد تلقوا تعليمات بأن يبتعدوا عنا.

س: تناولت الغداء الآن مع سفير السودان واضطر المندوب السوفيتي الدائم، ماليك، إلي المغادرة مبكرا لأنه كان يعد نفسه لإلقاء خطاب.

ك: متي قام بذلك؟

س: قبل نحو أربعين دقيقة عندما غادر الغداء.

ك: لكي يقوم بكتابة خطابه؟

س: نعم. ولقد كان هذا هو ما فهمته أيضا من رئيس مجلس الأمن.

ك: سيكون المطلوب منك الحكم علي الموقف. نحن لا نريد مواجهة مع السوفيت بعد ظهر اليوم. ولكنه إذا تبني نهجا هجوميا، فسيجب علينا الرد بالمثل. وإذا تم ذلك بالفعل، فما أفهمه هو أنه سيقصر هجومه علي الإسرائيليين. ولكننا

سنقول في بياننا أننا تعمدنا عدم توجيه اللوم لأي طرف وأننا نأسف لأنه ركز علي الماضي بهذه الطريقة الخاطئة ونطالبه بأن يركز علي المستقبل. حسنا؟

س: نعم. نعرف أن المصريين والسوريين طلبوا المشاركة، ولكن من دون وجود إشارات أنهم ينوون التحدث اليوم.

ك: معلوماتي من الإسرائيليين أنه إذا لم يتحدث المصريون، حتي لو قام السوريون بذلك، فإن إيبان قد لا يتحدث. إيبان سيكتفي بما قاله هذا الصباح.

س: أمامي الآن البيان وسألتزم تماما بالتعليمات.

ك: إنك تقوم بعمل رائع. اعتقد أن الأمور ستصبح أكثر حيوية غدا. أعتقد أن العرب لم يفهموا بعد ما هي المخاطرات العسكرية القائمة.

س: ولكن الجو العام حسب فهمي هو أنهم يربحون وأن لهم اليد العليا.

ك: لا بد أن هذا نتيجة لغياب الاتصالات. هذه ليست معلوماتنا.

س: كان هذا هو الشعور الذي خرجت به من الغداء.

ك: بحلول الثلاثاء أو الأربعاء سيكون الموقف قد تغير.

.....

كيسنجر ـ الأمين العام للأمم المتحدة فالدهايم ٤,٥٥ بعد الظهر

فالدهايم: لقد تحدثت مع السفير مجيد (عصمت عبد المجيد ممثل مصر لدي الأمم المتحدة). وهناك تطوران أود لفت نظرك لهما بهذه المناسبة. فيما يتعلق بالموقف العسكري، لقد تلقيت مكالمة من مجيد يقول لي أنه قد تم مهاجمة بورسعيد بالطائرات وهو متضايق للغاية بسب هذا العمل. ولقد تلقي توجيهات من حكومته باطلاعي علي هذا الأمر وكذلك الجمعية العامة ومجلس الأمن.

٢٠

كيسنجر يقول للرئيس الأمريكي:

"إذا أمكننا تهدئة الموقف فسيكون ذلك معجزة"

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الأربعاء ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٣م - ٢٦ شعبان ١٤٢٤هـ

يستأنف كيسنجر سرد محادثته التليفونية مع كورت فالدهايم الأمين العام للأمم المتحدة، حيث تناولت المحادثة موضوع سحب المراقبين الدوليين من قناة السويس، ثم يجري محادثة مع السفير الإسرائيلي يطلب فيها ألا يتقدم وزير خارجية إسرائيل بأي مقترحات، وبعدها محادثة مع السفير السوفيتي يتعهد فيها كل من الجانبين بألا يتقدم بأي مشروع قرار في مجلس الأمن إلا بعد إخطار الجانب الآخر، ثم يصل إلي المحادثة المهمة مع الرئيس نيكسون التي تلخص حصيلة الاتصالات والوضع العام في أنه إذا أمكن للولايات المتحدة تهدئة الموقف فسيكون ذلك معجزة!

كيسنجر: وما هو المنطق الذي يستند إليه المصريون؟

فالدهايم: أعتقد أنهم لم يفهموا أن الحرب معناها الحرب. وإنه إذا كانت لديك حرب فمن الصعب تجنب الخسائر المدنية.

ك: القضية إذن تتعلق بأهداف مدنية.

ف: نعم السكان المدنيون في بورسعيد.

ك: هم يعترضون علي قصف المدنيين.

ف: هذا صحيح.

ك: ولديهم كل الحق في ذلك.

ف: لا أعرف إذا ما كانوا سيطلبون من السفير التحدث: كل ما قاله هو لفت انتباهي إلي أن الطائرات الحربية الإسرائيلية قامت بمهاجمتهم وكذلك لفت انتباه رئيس مجلس الأمن. الزيات سيدلي ببيان حول هذا الأمر بعد ظهر اليوم (أمام الجمعية العامة). ولقد سألته إذا كان سيدلي ببيانه أمام مجلس الأمن، ولكنه قال لا، إنهم لن يتحدثوا أمام مجلس الأمن. ولكنهم سيتحدثون كما هي الخطة.

ك: لم يسبق لي أن رأيت دبلوماسية بمثل هذه الطريقة. هل لديك أي فكرة عما يعتقدون أنهم يقومون به؟ كل معلوماتنا تفيد بأنه ستتم هزيمتهم في المعركة، لم أعرف مطلقا لماذا يصر طرف يعرف أنه سيخسر الحرب علي إضاعة الوقت؟ سوف نتمسك بموقفنا بغض النظر عن الطرف المنتصر.

ف: من أجل معلوماتك، لقد أخبرني السفير (عصمت عبد المجيد) وأكد علي ذلك أن قواتهم في موقف جيد وذلك فيما يتعلق باثنين من رؤوس الكباري علي طول قناة السويس. وقال إن الموقف العسكري ليس سيئا بالنسبة لهم. لقد وصلتني معلومات مختلفة، ولكن أعتقد أنه لهذا السبب يعتقدون (المصريون) أن مداولات مجلس الأمن لا تخدمهم.

ك: أعتقد أنه بحلول الغد، ستنشط المداولات.

ف: تمام. رأيي أن الموقف سيكون مختلفا وأنهم سيكونون سعداء بـ.....

ك: هذه وجهة نظري أيضا.

ف: المعلومات الأخري التي أردت إبلاغك بها هي أنني وصلني تقرير مساء أمس من المراقبين التابعين لنا يقول ان القيادة العليا للمصريين طلبت سحب كل المراقبين علي طول قناة السويس. وهذا الطلب لا بد أن تتقدم به حكومتك أو مجلس الأمن. لقد تم إرسال هؤلاء المراقبين إلي قناة السويس بناء علي اجتماع في مجلس الأمن في ١٠ يوليو ١٩٦٧ في أعقاب حرب الأيام الستة.

ك: هذا صحيح تماما.

ف: لقد انتظرت خلال الليل وصول هذا التقرير ولكني لم أحصل عليه. ولقد قمت بالاتصال به (كبير المراقبين) صباح اليوم وسألته ولكنه قال انه لم يكن علي دراية بالأمر وانه سيقوم بالاتصال بالقاهرة للتحري عن الموضوع. وبعد ذلك بفترة قصيرة اتصل بي وجاء لرؤيتي. وقال إنه تلقي تعليمات بأن يطلب سحب المراقبين للحفاظ علي سلامتهم وانهم أصبحوا (المصريون) الآن خلف خطوطنا وبالتالي لم يعد هناك مبرر لوجود المراقبين. كما شكرني علي الخدمات الجيدة التي قدموها في الماضي وأنه لم تعد هناك حاجة لهم وطلب سحبهم. ولقد أرسلت خطابا في العاشرة من صباح اليوم إلي رئيس مجلس الأمن أطلعه علي هذا الطلب كما أخبرت ماكنتير. وفي نفس الوقت، وهو أمر مهم أيضا، فلقد وصلنا تقرير بأن القوات المصرية قد قامت باصطحاب بعض المراقبين، ربما اثنين أو ثلاثة، إلي القاهرة. والبقية علي ما يبدو ما زالت هناك. ونحن الآن ننتظر تقريرا نهائيا. هذا هو الموقف الآن ويبدو غريبا بعض الشيء.

ك: لا يوجد ما يمكنك القيام به.

كيسنجر ـ دينيتز الساعة ٥,٠٥ بعد الظهر

دينيتز: لقد وصلنا تقرير كامل عن معركة اليوم لكي أقوم بتوصيله لك. سأقوم بذلك لاحقا. ولكن ردا علي سؤالك المحدد، فإنني أود أن أخبرك أن قواتنا البرية لا تقوم، وأكرر لا تقوم، حاليا بأي نشاط علي الجانب الغربي للقناة.

ك: جيد. لا أعرف لماذا أقول لك جيد ولكن هذا الأمر يعود لكم.

ك: ولكن أود لفت انتباهك إلي ما قاله رئيس الأركان ردا علي ذلك السؤال: لقد قال ليس بعد. والبرقية التي بحوزتي تقول إننا لم نبدأ عمليات بعد. افترض أننا مشغولون الآن بمواجهة بقايا القوات المصرية المتواجدة علي جانبنا من القناة.

ك: هل بإمكاني أن أتقدم باقتراح؟ سيكون من الأفضل ألا يتقدم وزير خارجيتكم في نيويورك بأية مقترحات.

د: أود أن أؤكد علي هذه النقطة. لقد قال لي أنك تحدثت معه.

ك: سيضعنا ذلك في موقف أننا تحالفنا معكم، وهو أمر لا نعترض عليه، ولكن مصلحتنا المشتركة تقتضي تجنب الاتهامات بالتواطؤ.

د: سأقول لإيبان إننا نساند الرأي القائل بأن أحدا لن يتحدث. لو تحدث السوريون وشعر بأنه يجب عليه أن يقول شيئا فسوف يتحدث عما حدث هذا الصباح.

ك: المهم ألا يتقدم بمقترحات محددة. سوف تجد بياننا هادئا للغاية ولكن غرضنا الأساسي هو أن نمنع الروس من الرد. وكل ما قمنا به حتي الآن هو لتفادي ذلك، كان هذا أفضل.

د: ما سنقوم به هو أن نكون محافظين للغاية.

ك: نعم.

د: سأتصل بك لاحقا لأطلعك علي تطورات المعارك.

ك: اتصل بسكوكروفت وقل له أنك تحدثت معي. وناقش معه مسألة نقل بعض الذخائر والمعدات الالكترونية.

د: سوف أتصل به الآن.

كيسنجر ـ دوبرنين الساعة ٥,٤٠ بعد الظهر

د: لن نقوم بأي شي في مجلس الأمن ولن نتقدم بمشروع قرار. ممثلنا في مجلس الأمن لديه تعليمات ألا يدخل في أية مواجهات مع الممثل الأمريكي. وفي نفس الوقت فإننا نواصل مناقشاتنا العاجلة مع الجانب العربي. وفيما له صلة بهذا الأمر، فإننا نرغب، ونأمل أن تقوموا بكل ما في وسعكم من أجل عدم إجبار مجلس الأمن علي القبول بأية قرارات....

ك: يمكنك الاعتماد علي ذلك.

د: علي الأقل حتي يمكننا الانتهاء من مشاوراتنا مع حلفائنا.

ك: هل لي أن أتقدم باقتراح لك؟ إن أصدقاءك العرب ينشرون في نيويورك أنني تقدمت لهم بموعد زمني نهائي.

د: في نيويورك؟

ك: نعم. اعتقدت أنه كان لدينا اتفاق حول هذه النقطة تحديدا.

د: هم يحاولون تأخير اجتماع مجلس الأمن.

ك: لم يبدأوا الجلسة بعد.

د: حقا؟

ك: لقد تم تأخيره. إن توصيتي الخاصة هي أننا غير مهتمين سواء عقد الاجتماع أو لم يعقد. ولكن ليتم عقد الاجتماع علي أن ننتهي منه سريعا ويتم تعليقه. وأعدك أننا لن نتقدم بقرار.

د: يمكنني إعطاء توجيهات بهذا المعني.

ك: لنري ما سوف يحدث. بإمكانك أن تعد موسكو بشكل مباشر أنه لن يكون هناك قرار في المستقبل القريب. سوف نتقدم فقط ببيان هادئ.

د: أنا أفهم.

ك: دعنا نتفق علي أن أيا منا لن يتقدم بقرار من دون إخطار الطرف الآخر أولا.

د: هذه هي بالتحديد التوجيهات التي تلقيتها من موسكو.

ك: أعدك أننا لن نقوم بذلك من دون أن نعطيك وقتا للتشاور مع موسكو. وأنت يجب أن تقوم بنفس الشيء معنا.

....

كيسنجر ـ الرئيس نيكسون الساعة ٧,٠٨ مساء

نيكسون: أهلا هنري. ما هي آخر الأخبار؟ لدي المعلومات الخاصة بالموقف العسكري.

ك: حسنا، علي الجبهة الدبلوماسية، تلقينا رسالة أخري من بريجينيف تطلب منا عدم التقدم بقرار وتعدنا أنه لن يتقدم بقرار من دون التشاور معنا. كما أنه يخبرنا أنه يبذل مجهودا هائلا مع العرب.

ن: نعم.

ك: أولا، إذا أتضح أن ذلك صحيح... أولا نحن لسنا في عجلة للتقدم بأي شيء.

ن: لا.

ك: إننا نسجل سابقة. نحن الوحيدون الذين ندفع لتحقيق شيء ما.

ن: نعم، نعم.

ك: ووجهة نظري أن الأمر برمته سينتهي يوم الخميس١١ أكتوبر.

ن: نعم بالتأكيد.

ك: إذا تمكنا من تهدئة الموقف يا سيادة الرئيس، وانتهي الأمر من دون انفجار، سواء من قبل السوفيت أو العرب، فإن هذا سوف يكون معجزة وانتصارا.

ن: صحيح. إن الشيء الوحيد الذي يجب أن يقلقنا، وهو ما أعرفه أنا وأنت مع المضي في هذا الطريق، أن الإسرائيليين بعد أن ينتهوا من إلحاق هزيمة منكرة بالمصريين والسوريين، وهو ما سيقومون به، سوف يكون من المستحيل التعامل معهم أكثر مما مضي. وأنا وأنت يجب أن نقرر في رؤوسنا أنه يجب التوصل إلي تسوية دبلوماسية هناك.

ك: أنا اتفق معك.

ن: يحب القيام بذلك. يجب علينا أن نخبرهم الآن ولكن يجب علينا القيام بذلك. وجهة نظري أنهم قد يشعرون بالقوة نتيجة لذلك وسيقولون: حسنا. ولماذا يجب علينا القبول بتسوية؟ هل تفهمني؟ لا يجب علينا، يجب علينا تحت أي ظرف من الظروف ألا نسمح لهم بسبب النصر الذي سيحققونه ـ وهم سوف ينتصرون، الحمد لله، يجب عليهم ذلك ـ أن يبقي ذلك الأمر معلقا فوق رؤوسنا لمدة أربع سنوات أخري مما سيجعلنا في موقف معارض مع العالم العربي. لن نقوم بذلك مجددا.

ك: أنا متفق معك تماما يا سيادة الرئيس. ولكن ما سوف نقوم به هذا الأسبوع هو أننا سنضع أنفسنا في موقف...

ن: يسمح لنا بالقيام بشيء لاحقا. هذا صحيح.

ك: أن نقوم بشيء.

ن: وأن نقوم بشيء مع الروس أيضا.

ك: تماما.

ن: إنني لا أتخذ موقفا متشددا مع الإسرائيليين. لحسن الحظ، الإسرائيليون سيتمكنون من هزيمة هؤلاء الناس بشكل كبير وآمل أن يكون بإمكاننا أن نتقدم بمقترح معقول. أنا وأنت نعرف أنهم لا يمكنهم العودة إلي حدود ١٩٦٧ ولكن من ناحية أخري، يجب علينا ألا نقول ذلك لأنه بعد أن ينتصر الإسرائيليون في هذه الحرب، كما انتصروا عام ١٩٦٧. لا يمكننا القبول بالوضع القائم. لا يمكن القيام بذلك.

ك: لا يمكنني أن اتفق معك أكثر من ذلك. أعتقد أن ما نقوم به هذا الأسبوع سوف يساعدنا الشهر القادم.

ن: ربما. آمل ذلك. ولكن في نفس الوقت، فإن الشيء الآخر الذي قد يكون بريجينيف يفكر فيه هو: إن زبائنه سوف يلقون هزيمة منكرة. أنت تعرف أن هذا هو السبب الوحيد الذي دفع (رئيس الوزراء السوفيتي الكسي) كوسيجين إلي القدوم هنا للقاء (الرئيس ليندون) جونسون في أعقاب حرب ١٩٦٧.

ك: نعم، ولكنهم في عام ١٩٦٧ كانوا يقومون بتحريك أسطولهم والتهديد بالحرب وانتقادنا في مجلس الأمن. كما قاموا بقطع علاقتهم مع إسرائيل وتهديد منشآتنا النفطية. ولكن حتي الآن فإن أحدا لم يصدر صوتا ضدنا.

ن: هذا رائع.

ك: وهذا يمثل نصرا رئيسيا لسياستنا، ويمكننا استخدامه في المعركة الخاصة (بمنح السوفيت وضع) الدولة الأولي بالرعاية (والتي ربطها تشريع تقدم به عضوا مجلس الشيوخ جاكسون وفانيك بإزالة القيود المفروضة علي هجرة اليهود).

ن: الحمد لله، نعم. إن الكونجرس الآن في موقف جيد ولدينا أيضا...

ك: لقد أجريت حوارا جيدا مع السناتور ستينيس (رئيس لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ جون ستينيس).

ن: كم كان جيدا هل يعتقد أننا نقوم بالتحرك الصائب؟

ك: نعم، لقد قام بتسجيل هذا اليوم علي اجندته. إنه يقول إنه يوم رائع.

ن: لماذا؟

ك: لأنه يعتقد أننا نسيطر علي الموقف ونتعامل معه بشكل جيد.

ن: حسنا. جيد، جيد، جيد. هذا جيد. وأنت متأكد من أن الإسرائيليين يمضون قدما الآن، أليس كذلك؟

ك: إنهم سيقومون بذلك غدا صباحا. إنهم في موقع الآن يمكنهم من....

ن: إنهم سوف يقومون بعزل المصريين. هؤلاء المصريون الأغبياء المساكين، لقد قاموا بعبور القناة ولكن سيتم نسف الجسور بعد ذلك. إنهم سوف يقومون بعزلهم، علي الأقل ٣٠ إلي ٤٠ ألفا منهم. كما سيقومون بتدمير كل مواقع صواريخ سام. أما السوريون فإنهم الآن يقومون في الغالب بالتراجع بسرعة.

ك: فيما يتعلق بالسوريين، سيتحول الأمر إلي اصطياد للديوك بحلول يوم الأربعاء ١٠ أكتوبر.

ن: نعم، نعم. سوف يستسلمون.

ك: إما الاستسلام أو أنهم سيلقون هزيمة مذلة ومرعبة.

ن: أرجو أن يحدث بدرجة لا تسمح للإسرائيليين بأن يقولوا لنا بعد ذلك: لن نقبل بتسوية إلا علي أساس كل ما حصلنا عليه. لا يمكنهم القيام بذلك يا هنري. لا يمكنهم القيام بذلك ثانية. لقد فعلوا ذلك بنا لمدة أربع سنوات ولكن ليس للمزيد من ذلك.

ك: أول شيء يجب أن نقوم به هو أن نجعلهم يعودون إلي خطوطهم ما قبل وقف إطلاق النار. (٥ أكتوبر).

ن: أنا موافق.

ك: وهو ما وعدونا به. ولكن لا يوجد أحد آخر يعرف أننا سنتمكن من ذلك. والخطوة التالية ستكون البدء في الهجوم الدبلوماسي.

ن: صحيح.

ك: فور عقد الانتخابات الإسرائيلية والتي ستتم بعد أسبوعين من الآن.

ن: هذا صحيح. يجب عليك الانتظار بعد ذلك. الأول من نوفمبر.

ك: صحيح.

ن: جيد. فلتخبرني إذا حدث أي جديد.

....

كيسنجر - جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأدني وجنوب آسيا الساعة ٧,٢٠ مساء.

ك: جو، هل انطلق اجتماع مجلس الأمن؟

سيسكو: نعم لقد بدأ. لقد تحدث سكالي ومضي كالتالي. الزيات يتحدث الآن ولم أستطع متابعة ما يجري وهو لا يزال مستمرا

ك: أوه. الزيات يقوم بالرد؟

س: لا أعرف إذا كان هذا ردا. ما سوف يقوم به - بمقدار المعلومات القليلة التي حصلت عليها - هو مراجعة تاريخ الجهود المبذولة للتوصل إلي سلام، وهو تقريبا نفس الخط الذي اتبعه في الجمعية العامة. وهو الآن يتحدث.

ك: حسنا. هذا جيد. وهل تعتقد أنهم سيقومون بتعليق الجلسة بعد ذلك؟

س: أعتقد ذلك. الأمر سيستغرق أطول مما كان متوقعا. ولكن هناك تطورا آخر الآن. ما الذي حدث منذ أن قرأنا أنا وأنت هذه الرسالة القصيرة من (الملك) حسين (.... كلام محذوف من قبل مجلس الأمن القومي). وما قمت به من أجلك....

ك: أنظر، يجب علي الآن العمل علي إعداد خطابي. هل يمكنك إعطائي ملخصا في دقيقة؟

س: بالتأكيد. ملخص في ثلاثين ثانية. الرسالة التي ستصلك ستكون أكبر من الرسالة الأولي التي تحدثنا عنها لأن هناك سؤالين يجب الإجابة عنهما والرسالة تسعي للإجابة عنهما. ولذلك...

ك: ما هي الأسئلة؟

س: أولا، هو يشعر بأن الوقت جيد لكي تضرب والحديد ساخن ويري أنه إذا لم تكن تستطيع البدء في مسيرة المفاوضات، بينما أقوم أنا بإثارة الصخب المناسب في الرد من دون أن أقوم...

ك: فلتقل إنني تقدمت بذلك للمصريين بالفعل.

س: حسنا، سوف أضيف ذلك. كما قمت بتذكيره أنك بدأت استكشاف الموقف في نيويورك وآمل أن يكون وزير خارجيته قد أبلغه بذلك.

ك: نعم.

س: ولكن لتنظر مجددا في الرسالة عندما تعود الليلة هو ما أحاول أن أقوله لك. سوف أضعها في البيت الأبيض من أجلك.

ك: حسنا.

س: أشكرك للغاية، وأتمني أن يمضي خطابك بشكل جيد.

ك: انتظر لحظة. لقد رد الإسرائيليون فيما يتعلق بلبنان. ويمكنك تمرير الرسالة. لقد تعهدوا بالمحافظة علي سيادة واستقلال لبنان.

س: ضمان السيادة والاستقلال.

ك: الشيء الوحيد الذي طلبوه هو ضمان ألا تقوم لبنان بأي عمل ضد إسرائيل. وهم قد فوضونا بتوصيل هذه الرسالة إلي اللبنانيين.

س: حسنا. سوف أقوم بإرسالها.

٢١

التاسع من أكتوبر: يوم التحول الكبير

واشنطن: خالد داوود

الأهرام السبت ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٣م - ٢٩ شعبان ١٤٢٤هـ

الآلهة تشعر بالإهانة من أولئك الذين يدعون قدرتهم بالتنبؤ التام بمسيرة الأحداث وكيفية إدارتها. كانت استراتيجيتنا مبنية علي افتراض النصر الإسرائيلي الساحق والسريع وهو افتراض ساندته دائما مصادر أجهزة المخابرات والاتصالات مع الإسرائيليين. ولذلك لم نكن متعجلين في التحرك الدبلوماسي واعتقدنا أن كسب الوقت من شأنه تحسين موقفنا التفاوضي. هذا الافتراض فجرته مكالمة هاتفية من سيمحا دينيتز السفير الإسرائيلي في واشنطن في الثانية إلا ربعا من صباح الثلاثاء التاسع من أكتوبر.

كيسنجر - دينيتز (مكالمة في المنزل) ١,٤٥ صباحا

دينيتز: أرجو ألا أكون قد أيقظتك

ك: لا توجد مشكلة

د: السبب وراء قيامي بإزعاجك هو أن لدينا تقييم للموقف حتي منتصف الليل. يجلس معي هنا الملحق العسكري والذي كان قائد (كلمات غير واضحة). الموقف في الواقع يضعنا في عدة مواقف صعبة ولكي أكون مختصرا فالمسألة تتعلق بقدرتنا في الحصول علي القطع التي نريدها وكذلك الطائرات. وأظن أنه لو يكن من الممكن الآن فإنني أريد أن آتي مع الملحق العسكري في وقت مبكر للغاية من صباح الغد ومعنا المادة اللازمة لكي نتمكن من الحصول علي الصورة كاملة ثم نقوم سويا بإرسال برقية إلي رئيسة الوزراء حول الموقف الذي نواجهه.

ك: لنلتق في الثامنة صباحا في البيت الأبيض.

د: حسنا. سأكون هناك.

ك: هل الموقف صعب

د: هو صعب من ناحية الخيارات التي نواجهها. ببساطة أمامنا الآن خمس فرق من المشاة وهو ما يعني تقريبا خمسين ألفا من المصريين و٧٠٠ دبابة. ورغم أنه قد تم تدمير الجسور من خلفهم فالخيار أمامهم هو المضي قدما والقناة من خلفهم. القضية التي تواجهنا هي كيفية التعامل مع الموقف وهذا يعتمد علي ما سوف يكون بإمكاننا الحصول عليه من طائرات وأسلحة أخري.

ك: الصواريخ المضادة للدبابات أسهل علي المدي القصير

د: أقترح الانتظار حتي الصباح. وقد رأيت أنه سيكون مجديا حضور الكسندر هيج كبير موظفي البيت الابيض الاجتماع لأنني سأصطحب الجنرال جور الملحق العسكري الاسرائيلي معي.

ك: سأري ما يمكنني عمله في الصباح.

....

في الثامنة والثلث صباحا وصل دينيتز بصحبة الملحق العسكري الإسرائيلي التابع للقوات المسلحة موردخاي جور، بينما حضر سكوكروفت معي. وشرح دينيتز وجور بأسي أن الخسائر الإسرائيلية كانت ضخمة وغير متوقعة بالمرة. فلقد تم تدمير تسعة وأربعين طائرة بينها ١٤ طائرة فانتوم. وكان هذا الرقم مرتفعا ولكنه ليس مدهشا تماما حيث أن كلا من مصر وسوريا كانا يمتلكان كمية كبيرة من الصواريخ أرض - جو السوفيتية. الصدمة الحقيقية كانت في خسارة خمسمائة دبابة منها أربعمائة علي الجبهة المصرية فقط. ورجاني دينيتز أن تبقي هذه الأرقام سرية وألا يعرفها أحد سوي الرئيس. لأنه إذا تمت معرفة هذه الأرقام فقد تتدخل بعض الدول العربية التي بقيت بعيدة وتنضم لتوجيه الضربة القاضية. وفجأة اتضحت أمامي الكثير من الألغاز. وقلت في تعجب "لهذا السبب كان المصريون يتصرفون بكل هذا الغرور". "كيف حدث ذلك؟!وشرح جور أن الإسرائيليين فقدوا عددا كبيرا من الدبابات وهي في طريقها للمعركة وذلك لاضطرارها السير بسرعة كبيرة في الصحراء بعد أن كان قد تم تخزينها بطرق غير مناسبة. وذكر دينيتز بطريقة غير لائقة بتنبئه قبل ليلتين أن يتم تحقيق النصر بحلول يوم الأربعاء. واقر بأنه "من الواضح أن شيئًا خطأ قد حدث".

وما أطلعني عليه دينيتز كان يتطلب عملية إعادة تقييم رئيسية لاستراتيجيتنا. فالجيش السوري ورغم أنه عاني من خسائر خطيرة لم ينكسر. وبالتالي فإن الإسرائيليين كانوا سيجدون صعوبة في نقل جيشهم من الجولان إلي سيناء. وكانت خسائر إسرائيل في المعدات مساوية تقريبا لما خسرته مصر. وأصبحت إسرائيل تقف علي حدود حرب استنزاف لم يكن من الممكن لها أن تنتصر فيها مع الوضع في الاعتبار الفارق في القوي البشرية. وأقترح جور أن فرص إسرائيل هي الأفضل في مواجهة سوريا. وما لم تخرج المدرعات المصرية بعيدا عن مرمي حزام الصواريخ الأرض - جو فإن شن هجوم إسرائيلي في سيناء كان سيصبح مكلفا للغاية.

وتبع ذلك نتيجتان. أن تحقيق انتصار إسرائيلي بناء علي مخزونها الحالي من السلاح ودعمه بكمية محدودة من المعدات التكنولوجية المتطورة من الولايات المتحدة لم يعد ممكنا. وأصبح من الضروري القيام بعملية إعادة تزويد كبيرة لإسرائيل بالسلاح إذا كان لهذه الحرب أن تنتهي بسرعة. كما سيجب البدء سريعا في دبلوماسية جديدة. ففي حرب قد تطول ونتائجها غير معروفة يجب علي الدبلوماسية أن تقوم بتوفير قوة الدفع وذلك لكسر الجمود العسكري.

ولكن الموضوع الأكثر إلحاحا كان إعادة الإمداد (لإسرائيل بالسلاح).

وبلغ الذعر الإسرائيلي درجة أن دينيتز وجور لم يكونا يعرفان ما هي أولويات إسرائيل علي وجه التحديد فيما عدا الطائرات. فالدبابات التي كانت إسرائيل في حاجة ماسة لها كانت بها نقص ومن الصعب نقلها بسرعة. واقترح جور إرسال البعض عن طريق السفن من أوروبا ولكن حتي ذلك كان سيستغرق عدة أسابيع. واتفقنا علي أن طائرات العال يمكنها البدء علي الفور في نقل بعض المستهلكات والمعدات الالكترونية. ولكن كان من الواضح أن أسطول إسرائيل الصغير المكون من سبع طائرات لا يمكنه نقل معدات ثقيلة. وفيما يتعلق بالمعدات الأكبر وعدت بالدعوة لاجتماع لمجموعة العمل الخاصة وأن أرد علي دينيتز قبل انتهاء اليوم.

وطالب جور بمعلومات استخباراتية. وأصدرت توجيهاتي لسكوكروفت بأن "نعطيها كل قطعة نعرفها من المعلومات الاستخباراتية". ولم أشك مطلقا في أن هزيمة إسرائيل بسلاح سوفيتي ستشكل كارثة جغرافية - سياسية للولايات المتحدة. وطالبتهم بتحقيق انتصار سريع علي جبهة واحدة قبل أن تصدق دبلوماسية الأمم المتحدة علي المكاسب في الأرض التي حققها العرب في كل مكان. ورد دينيتز "أننا نركز الآن علي تحقيق نصر سريع علي سوريا." "أما مع المصريين فإن الأمر سوف يستغرق وقتا أطول."

وفي النهاية طلب دينيتز أن يراني علي انفراد لمدة خمسة دقائق. وأخبرني أن رئيسة الوزراء مائير كانت ترغب في زيارة الولايات المتحدة شخصيا وذلك لكي تناشد الرئيس نيكسون بالتعجيل في إرسال المعونة العسكرية. ومن الممكن أن تكون الزيارة سرية. ورفضت فكرة الزيارة فورا ومن دون الرجوع إلي نيكسون. فمثل هذا الاقتراح كان سيعكس إما نوعا من الهستيريا أو محاولة ابتزاز. كما أن زيارة مائير للولايات المتحدة كانت ستبعدها عن إسرائيل لمدة ٣٦ ساعة علي الأقل. ومغادرة إسرائيل في الوقت الذي تتواصل فيه المعركة كانت ستصبح علامة فزع من شأنها تشجيع الدول العربية التي وقفت جانبا علي الانضمام. وكانت ستترك إسرائيل بلا قيادة في الوقت الذي كانت فيه بحاجة ماسة

إلي شجاعتها وضرورة اتخاذ قرارات. (وعلمت بعد الحرب أن وزير الدفاع موشي ديان كان يوصي في نفس تلك اللحظة بانسحاب إلي عمق سيناء.) ولأنه كان من الصعب الحفاظ علي سرية زيارتها كان سيتم إجبارنا علي تبني مواقع سياسية علنية من شأنها تدمير أي احتمال للقيام بوساطة في أعقاب الحرب. فالعالم العربي كان سيصبح مشتعلا ضدنا مما سيفتح المجال واسعا أمام الاتحاد السوفيتي.

وفي الساعة ٩,٤٠ من صباح الثلاثاء عقدت اجتماعا خاصا لمجموعة العمل اقتصر علي مستوي أرفع الممثلين للإدارات المختلفة ومع منع الموظفين من الحضور لزيادة التأمين. وأطلعتهم علي الحوار الذي دار مع دينيتز وجور ولكن دون الإفصاح عن الأرقام الخاصة بخسائر الدبابات. وكان الشعور السائد بين زملائي هو التشكك. وذكر ويليام كولبي مدير وكالة المخابرات المركزية أن أداء إسرائيل كان جيدا علي الجبهة السورية ومتماسكا في سيناء وأن إسرائيل كانت تحاول ببساطة الحصول علي أكبر كم من المساعدة العسكرية منا قبل تحقيق النصر كعلامة علي الدعم غير المحدود ليس بالضرورة للحرب ولكن لمرحلة ما بعد الحرب. ولما كنت قد ترأست الاجتماع بصفتي مساعدا للرئيس فلقد تحدث نائب وزير الخارجية كينيث راش نيابة عن وزارة الخارجية ولم يكن هناك وقت لإصدار أية توجيهات وساند راش وجهة نظر كولبي. ولم ير شليزنجر مشكلة في تزويد إسرائيل بمعدات عسكرية لا تتطلب فنيين أمريكيين. ولكن قلقه كان من أن تلبية مطالب إسرائيل وتغيير نتائج معركة يكسبها العرب كان من شأنه الإضرار بعلاقتنا مع العرب لفترة طويلة قادمة. وشدد شليزنجر علي التفرقة بين التزامنا الدفاع عن بقاء إسرائيل داخل حدود ما قبل ١٩٦٧ وبين مساعدة إسرائيل علي الاحتفاظ بما حققته في غزواتها في حرب عام ١٩٦٧. واتفق بقية المشاركين.

وكانت وجهة نظري أن الأحداث قد تخطت مثل هذه المحاولات لتعديل موقفنا. فلقد كان هناك اتفاق أن هزيمة إسرائيل بسلاح سوفيتي من شأنه الإخلال بالتوازن السياسي والاستراتيجي في الشرق الأوسط. وبالتالي فإن تجنب هزيمة إسرائيل كان يمثل مصلحة استراتيجية لأمريكا. وعند هذه النقطة وليس خلال الحرب يمكننا التقدم للدول العربية بنفس الطريقة التي أدرنا بها دبلوماسية ما بعد الحرب. وسيتم إعداد ستة بدائل لكي يتخذ الرئيس من خلالها قرارا وذلك بعد الانتهاء من زيارة رئيس ساحل العاج في وقت لاحق من اليوم.

وفي نفس الوقت وصلتنا تقارير بأن الدبلوماسيين السوفيت يناشدون الدول العربية التي لم يكن لها دور بالدخول في المعركة.

***

كيسنجر - دوبرنين التاسع من أكتوبر الساعة ١١,٢٩ صباحا

ك: أناتول لقد وصلتني للتو رسالة من عمان

د: ما محتوي الرسالة ماذا يحدث هناك

ك: تقول أن القائم بالأعمال السوفيتي طلب رؤية الملك حسين وتم استقباله هذا الصباح. وقال القائم إن السوفيت يساندون العرب بالكامل في صراعهم مع إسرائيل. وقال إن الاتحاد السوفيتي يعتقد أن كل الدول العربية يجب أن تدخل المعركة الآن. والملك يعتبر هذا طلبا سوفيتيا منه لأن يرسل جيشه للعمليات".

د: هذه قصة لا يمكن تصديقها. لا يوجد لدي معلومات مطلقا حول هذا الأمر. من الممكن أن أقبل أننا نناقش الموقف معهم والإعراب عن مساندتنا الكاملة للدول العربية ليس جديدا. ولكن أن تقول إننا طلبنا من الملك أن يرسل (جيشه) نعم

ك: هذا صحيح

د: سأتحقق من الأمر فورا. وتقول أن الأمر جاء بمبادرة منا

ك: نعم بناء علي مبادرة منكم

د: هذه قصة لا يمكن تصديقها

ك: إنني لم أصل إلي نتائج ولكن نطالبكم فقط بالحفاظ علي هدوء الأطراف

.....

وفي ساعات الصباح تلقينا معلومات إضافية أن موسكو وجهت نصائح بنفس المعني للرئيس الجزائري هواري بومدين.

كيسنجر ـ دينيتز ١١,٣٧ صباحا

ك: سيادة السفير يجب علينا أن نلتقي بالرئيس ولكي يكون ذلك ممكنا فإنه يجب أن يتم قبل الرابعة بعد الظهر أي بعد انتهاء زيارة رئيس ساحل العاج. وسأقوم بالاتصال بك بعد ذلك. سيكون من المهم للغاية أن توفر لي آخر المعلومات الخاصة بحقيقة الموقف العسكري.

د: سأقوم بتوفير هذه المعلومات وسأنتظر لأسمع منك بعد الاجتماع.

ك: سأتصل بك بعد الاجتماع. وفي نفس الوقت لا أعرف أن كان لديك تقييم جيد للموقف الداخلي هنا. وإذا كنت تعرف فلا أعتقد أن هذا هو الحال في القدس.

د: لقد تلقيت سيلا من المكالمات من أعضاء في مجلس الشيوخ والنواب وأفراد يسألون عما يمكن أن يقدموه من مساعدة وما حقيقة الموقف.

ك: لا يمكنني مناقشة ذلك عبر الهاتف. نحن لا نمانع أن يطالب أعضاء مجلس الشيوخ والكونجرس بالدعم ولكن من دون الخوض في التفاصيل.

....

كيسنجر ـ السناتور فرانك تشيرش (ديمقراطي ـ إيداهو) الساعة ١١,٤٨ صباحا

تشيرش: فيما يتعلق بالموقف في الشرق الأوسط وبعد أن اندلعت الحرب أعتقد أن أفضل ما يمكن أن ينجم عنها هو أن هذه القوات المصرية والسورية يتم هزيمتها بشكل كاف ولذلك لإزالة أي تهديد لفترة طويلة قادمة من الوقت. وكنت أتساءل عن الخسائر التي لحقت بإسرائيل في الجو وما يمكن القيام به للمساعدة في تعويض هذه الخسائر.

ك: لدينا مشكلتان يا فرانك. الأولي هي في المساعدة والثانية أن البدء في عملية نقل ضخمة للمعدات بينما المعركة دائرة هو أمر خطير.

ت: ولكن ماذا عن الفانتوم هل هناك من طريقة تمكننا من تسريبها وذلك لأن ما فهمته هو أن القوات المصرية والسورية تحصل علي معدات بديلة بسرعة من حلفائهم العرب.

ك: بصراحة سوف ننظر في هذا الأمر اليوم وكذلك بالنسبة لبقية المعدات. ومن الصعب مناقشة ذلك علي الهاتف.

ت: أنا أفهم. ولكن فقط أردت التعبير عن قلقي. وإذا تصرفنا بطريقة أكثر حسما فإن الانتصار سيكون أفضل في ظل الظروف الحالية.

ك: أنا متفق معك. ولا يوجد لدي مشكلة في أن تقول ما تشاء علنا ولكن دون الإشارة إلي نوع المساعدة التي يجب القيام بها.

٢٢

إسرائيل تستغيث في طلب العتاد العسكرى بعد أن سقطت لها ١١ طائرة في يوم واحد

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الأحد ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٣م - ١ رمضان ١٤٢٤هـ

يواصل كيسنجر في هذه الحلقة سرد محادثاته الهاتفية التي أجراها يوم٩ أكتوبر وهو اليوم الرابع للحرب مع أطراف الأزمة، حيث يبدأ بمحادثة مع سيمحا دينيتز سفير إسرائيل في واشنطن الذي يستأنف الاستغاثة في طلب إمدادات جديدة من السلاح بعد أن سقطت لإسرائيل١١ طائرة حربية في يوم واحد معظمها من طائرات الفانتوم، وعلي الأثر يجري كيسنجر اجتماعا مع الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون الذي يأمر بالإسراع في إرسال العتاد العسكري لإسرائيل سواء من الذخيرة أو الطائرات أو المعدات الثقيلة وأن يكون إرسال الطائرات بمعدل طائرتين يوميا علي أن يتم ذلك فورا.. مما يتيح لإسرائيل الاحتفاظ بمخزون احتياطي من الأسلحة والعتاد بما يسمح لها بالاستمرار في المعارك.

ويؤكد كيسنجر أنه حتي اليوم الرابع من الحرب لم يكن قد بدأ الحديث عن جسر جوي أمريكي إلا إذا كانت هناك حاجة للدبابات في موقف طارئ نظرا إلي أن إسرائيل كانت قد خسرت بالفعل خمسمائة دبابة، منها أربعمائة دبابة، حطمتها القوات المسلحة المصرية ويطلب كيسنجر في محادثته الثانية مع السفير الإسرائيلي أن يتعامل مباشرة مع شليزنجر وزير الدفاع الأمريكي.

كيسنجر ـ دينيتز الساعة ٣,٤٥ بعد الظهر

دينيتز: لقد شرحت لإيجلبرجر (وكيل وزارة الخارجية) الموقف العسكري حاليا...

ك: أخبرني ما هو الموقف بسرعة. أنا مستعجل

د: لا توجد تغيرات رئيسية علي الأرض. الأمر الأساسي هو أننا دمرنا مائة دبابة سورية اليوم ولم يبق سوي ثلاثين دبابة في هضبة الجولان.

ك: قمتم بتدمير مائة اليوم

د: قمنا بتدمير مائة اليوم. لم يبق سوي ثلاثين دبابة داخل منطقتنا في هضبة الجولان. هناك المزيد خارجها. خسائرنا في الطائرات ارتفعت إلي ٤٩ منذ بداية الحرب. فقدنا ١١ اليوم. الجبهة المصرية تبقي ثابتة. ولكنهم فقدوا عدة دبابات في محاولتهم العبور اليوم عبر الجسور. علي الأرض لم يحدث تغيير.

....

بعد الاجتماع مع نيكسون أبلغت قراراته إلي دينيتز في السعة٦:١٠ مساء. وأمر نيكسون بالإسراع في نقل المواد المستهلكة والطائرات التي سيتم إرسالها بمعدل طائرتين في اليوم علي أن يتم ذلك فورا. أما المعدات الثقيلة مثل الدبابات فلن تصل إلي إسرائيل إلا قبل انتهاء القتال. كما سنضمن تعويض خسائر إسرائيل من المعدات الثقيلة وبالتالي ستتحرر إسرائيل من ضرورة الاحتفاظ بمخزون احتياطي بينما المعارك دائرة. وإذا قرر الرئيس أن إسرائيل

بحاجة إلي دبابات خلال المعركة فسوف يتم شحنها بالسفن علي الفور. وتطوع دينيتز بالقول إن إسرائيل ستنقل كل ما هو ممكن بواسطة طائرات العال المطموسة المعالم. ولم يكن هناك حديث عن جسر جوي أمريكي إلا إذا كان هناك حاجة للدبابات في موقف طارئ.

أما بقية اليوم فلقد استغرقته في مكالمات هاتفية لمتابعة تنفيذ القرارات. وفي٧,٢٥ مساء أوصيت دينيتز أن يتعامل مباشرة مع شليزنجر وزير الدفاع فيما يتعلق بالإمداد. كما حذرته من أن الموقف العسكري الجديد قد يتطلب دبلوماسية جديدة.

كيسنجر - دينيتز الساعة ٧,٢٥ مساء

ك: سيادة السفير. لقد تحدثت مع شليزنجر ويمكنك أن تمضي قدما الآن. والشيء الآخر الوحيد الذي أود أن أشير له هو أن الموقف يتطور الآن بحيث بات من الصعب مقاومة اقتراح بوقف إطلاق النار علي ما هو عليه الحال الآن. ولذلك عندما تقومون بتصميم استراتيجيتكم لا بد من وضع ذلك في الاعتبار.

د: وقف إطلاق النار علي ما هو عليه الحال هل تعني العودة إلي خطوط..

ك: وقف إطلاق النار علي أية خطوط قمت بمناقشتها مع إيبان. من الممكن أن تكونوا علي استعداد للقبول بها مساء الثلاثاء.

د: الأسبوع القادم

ك: هذا يعتمد علي الموقف من الناحية التكتيكية. وسيكون موقف من الصعب علي الولايات المتحدة اتخاذه. تقييمنا هو أننا قد نكون في موقف نضطر فيه إلي ممارسة حق الفيتو ضد قرار يطالبكم بالعودة إلي حدود ١٩٦٧.

د: نعم ولكن لا أحد يأخذ ذلك علي محمل الجد

ك: ربما لا ولكن ستكون هناك غالبية من الأصوات ضدنا. قد لا يكون الأمر خطيرا ولكنه سيتم تمريره ما لم نقم بممارسة حق الفيتو...المطالبة بالعودة إلي الخط (١٩٦٧) وكذلك البقاء إلي حيث وصلوا بعد أسابيع من القتال. وسوف يكون هذا موقفا من الصعب الدفاع عنه أمام الرأي العام. ولا يوجد سبب لرؤية أي تطور له. لو كنت مصريا ولدي إحساس ما بالتوازن قد أطلب من الروس عند نقطة ما...

د: عندما تحدثت مع إيبان كان لديه انطباع أنكم ستستخدمون الفيتو ضد مثل هذا القرار

ك: كان هذا يوم الأحد. نحن اليوم الثلاثاء ولو انتظرنا حتي الخميس أو الجمعة سيكون الموقف اصعب عند هذه النقطة.

د: من الطبيعي أننا سنقوم بكل ما في وسعنا

ك: إنني أشير إلي تعليق محدد أنت قلته

د: حول أن ندع...

ك: أن ندع الموقف يتطور ببطء

د: إننا لا نود وبمبادرة منا أن يمضي الأمر ببطء. سوف نستغرق فقط الوقت اللازم

ك: لا أعتقد أنه يجب أن نناقش الأمر علي الهاتف ولكن أعتقد أنهم يجب أن يكونوا علي دراية في القدس بتغير الموقف التكتيكي. يمكننا العمل علي إطالة الموضوع ولكن هناك حد لما يمكن عمله. وبالطبع لن نقوم نحن بطرح (القرار في مجلس الأمن). لا يجب أن تقلق من هذه الناحية.

د: سوف أطلعهم علي الموقف إيبان في نيويورك وكذلك المسئولين في القدس

....

كيسنجر ـ شليزنجر الساعة ٧,٣٠ مساء

ك: لقد تحدثت مع دينيتز وفقا لما اتفقنا عليه وهو سيقوم بالاتصال بالناس التابعين لك. كما قال إنه عند نقطة ما قد يكون من المفيد أن يقترح أحد الموظفين التابعين لك عقد لقاء بينكما وأنا أحبذ ذلك بقوة.

ش: أنا أيضا أؤيد ذلك

ك: قد يكون ضروريا للنظر فيما يجب نقله من المعدات الثقيلة في حالة الطوارئ.

ش: هذا صحيح. تعرف أنه يجب علينا نقل المعدات الضرورية للدبابات إم ـ ٢٨. يجب أن نخصص فرقة لذلك.

ك: أعطيهم بعض الـ إم ـ ٤٨ (نوع جديد من الدبابات)

ش: لا يوجد لدينا الكثير منها

ك: يبدو أن لديهم ما يكفي من الطائرات. هم علي استعداد...

ش: بمثل هذا النوع من الحركة لن يمكننا الحفاظ علي سرية الموضوع. مع كل الطائرات الإسرائيلية التي ستقوم بالتحليق سيكون من المستحيل ألا يكتشف العرب ذلك.

ك: من المهم للغاية أن يبقي الأمر بعيدا عن الأنظار قدر الإمكان

ش: نعم

ك: إذا كان من الممكن اجتياز هذه الأزمة دون إثارة العرب

ش: إن الروس يتحركون

ك: نعم سوف أعمل علي إثارة الذعر في قلب دوبرنين خلال خمس دقائق.

***

ولما كان معظم الساسة موجودين في واشنطن ولم يكن الوقت عاملا ضاغطا فلقد أجريت معظم اللقاءات مباشرة وليس عبر الهاتف.

وكان يتعلق بقرار الإمداد ثلاثة أمور: أ ـ طريقة التوصيل ب ـ العلاقة مع العالم العربي و ج ـ الإطار السياسي في ضوء تغير الموقف العسكري. وفي التاسع من أكتوبر لم يتم اتخاذ قرارات فيما يتعلق بوسيلة الإمداد. وكان الافتراض أن الطائرات الإسرائيلية ستنقل المستهلكات أما البقية فيتم توصيلها بعد وقف إطلاق النار كما وعد الرئيس.

وفيما يتعلق برد الفعل العربي ظهر تغير في التوجه بين إسرائيل والولايات المتحدة. فإسرائيل كانت تفضل أن يتم نقل المعدات بأكثر الطرق علنية وتباهي. ولكن كل صانعي السياسة الأمريكيين كانوا متفقين علي أننا يجب القيام بأقصي ما في وسعنا من أجل تجنب مواجهة مع العالم العربي - وخاصة المعتدلين منهم - ولكن ليس إلي النقطة التي من شأنه إعاقة مصالح الولايات المتحدة الاستراتيجية. وسعينا إلي منح إسرائيل الثقة والوسائل اللازمة لمواجهة الأيام الحاسمة القادمة وحيث تعتمد النتيجة علي ثقة إسرائيل في نفسها وفي سلاحها. ولكننا كنا نتطلع أيضا إلي أكثر الوسائل ضمانا لبقاء عملية الامداد بعيدة عن الأنظار وكنا واعين بأهمية المحافظة علي الموقف الأمريكي في العالم العربي.

وفي هذا الإطار قمت بالرد علي رسالة أخري وصلتني من حافظ إسماعيل نيابة عن السادات والتي وصلت صباح التاسع من أكتوبر وعبرت عن التقدير "للنوايا الحسنة" للحكومة الأمريكية. وأكدت أن الولايات المتحدة "تفهم الآن بوضوح الموقف المصري فيما يتعلق بتسوية سلمية". وفي إطار هذه الروح فإن الولايات المتحدة:

"تأمل في أن تكرر استعدادها للتشاور العاجل مع الأطراف المعنية من أجل تحقيق تسوية سلمية عادلة في الشرق الأوسط. وفي إطار المصاعب من المهم أن نضع هذا البعد طويل المدي في اعتبارنا وتجنب المواجهات والنقاشات المريرة مع مواصلة سعينا لحل الأزمة الحالية."

وكانت أكثر المشاكل تعقيدا فيما يتعلق بالاستراتيجية الدبلوماسية هي تلك المتعلقة بقضية وقف إطلاق النار. فالحروب العربية السابقة في ١٩٤٨ و١٩٦٧ انتهت بوقف إطلاق النار بناء علي الوضع القائم وأيدت ذلك الولايات المتحدة. ولكن لم يتم التقدم بمثل هذا الاقتراح حتي اليوم الرابع من الحرب. وكان موقف مجلس الأمن بالأمم المتحدة من القضية مفككا للغاية. وكانت الولايات المتحدة قد اقترحت الاجتماع لمجرد أسباب رمزية ولكن لم تضغط للتوصل لقرار من أجل منح إسرائيل الوقت لاستعادة الموقف كما كان قبل اندلاع القتال. وكنا علي استعداد لممارسة حق النقض في الأيام الأولي للحرب - ضد أي قرار يدعو لوقف إطلاق النار علي ما هو عليه الحال. ولكن مع تحول الحرب إلي الاستنزاف لم يكن من الممكن التمسك بهذا الموقف إلي ما لا نهاية.

الدول العربية وفي ضوء النجاح الذي حققته في البداية - لم تطلب وقفا لإطلاق النار لكي توسع من مكاسبها. وإسرائيل لم تسع للحصول علي قرار علي أمل تحقيق نصر عسكري فيما بعد أما الاتحاد السوفيتي فأتخذ موقفا جانبيا حيث إنه غير راغب في الانفصال عن حلفائه العرب ولكنه في نفس الوقت غير مرتاح للتحذيرات التي وصلت من الولايات المتحدة عن قرب تحقيق انتصار إسرائيلي وحريص علي ألا يخاطر بعلاقته معها.

ونحن اعتبرنا هزيمة إسرائيل وهي حليف فعلي - بأسلحة سوفيتية تهديد لاستقرار الشرق الأوسط وضمان لحرب مستمرة ضد المصالح الغربية تسانده الأسلحة السوفيتية. ورأينا فرصة لبدء مسيرة سلام من خلال إقناع العرب أن السوفيت قد يكون باستطاعتهم تشجيع حرب ولكن لا يمكنهم تحقيق تقدم دبلوماسي وبالتالي من غير الممكن الاستغناء عن الدبلوماسية الأمريكية. وتحقيق تقدم دبلوماسي كان يتطلب نجاحا عسكريا إسرائيليا ولكن ليس بطريقة توحد العالم العربي ضد الولايات المتحدة. وكنا بحاجة إلي تحجيم الاتحاد السوفيتي خلال الحرب لتمكين أمريكا من الهيمنة علي دبلوماسية ما بعد الحرب وبالتالي التقليل من النفوذ السوفيتي. ولكن بعد أن تحولت الحرب إلي مرحلة الجمود بات من الصعب التمسك بالموقف الداعي إلي المماطلة. وفور أن تفهم كافة الأطراف الموقف الاستراتيجي الجديد فإن التقدم باقتراح لوقف لإطلاق النار سيكون ممكنا. ولكن إذا وافقنا عليه بينما تخسر إسرائيل الأرض علي الجبهتين فإن الحرب ستنتهي بنكسة حقيقية لحليف أمريكي. وهذا من شأنه إضعاف موقف الولايات المتحدة في دبلوماسية ما بعد الحرب وسيتم النيل من مصداقية القول بأن أمريكا من بين كل القوي العظمي هي الوحيدة القادرة علي تحقيق تقدم. فالسلاح السوفيتي سيكون قد حقق تقدما وستكون الدبلوماسية السوفيتية قد قامت بحمايته. كما أن احتمال وقوع حرب جديدة سيكون مرتفعا حيث أن إسرائيل سترغب في استعادة تفوقها بينما سيقتنع العرب أن سلاحهم قادر علي كسر كل أزمة تفاوضية. ولذلك كان من الضروري أن تحقق إسرائيل تقدما علي إحدي الجبهات قبل أن يتم البدء في دبلوماسية محاولة التوصل لوقف لإطلاق النار. وكان هذا يعني الحاجة إلي تحقيق تقدم في الشمال ضد سوريا. وطالما بقيت القوات المصرية في الحزام القائم علي طول قناة السويس في حماية بطاريات صواريخ سام - ٦ من الهجمات الجوية فإن الجبهة الجنوبية كانت ستبقي في الغالب في حالة جمود.

٢٣

وزير الدفاع الأمريكي يقترح احتلال جزء من السعودية ودولة الإمارات

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الاثنين ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٣م - ٢ رمضان ١٤٢٤هـ

العاشر من أكتوبر.. في هذا اليوم تعكس محادثات كيسنجر الهاتفية التحول الجديد في الموقف علي الأرض بعد التقدم الذي حققه الجيشان المصري والسوري بمساندة الدول العربية وقرار إدارة الرئيس نيكسون بالبدء فورا في عملية إمداد كبيرة بالأسلحة لإسرائيل التي تم النظر لاحتمال هزيمتها في ذلك الوقت في إطار الحرب الباردة القائمة مع الاتحاد السوفيتي بصفتها أهم حليف أمريكي في المنطقة. ولذلك كان القرار الأمريكي هو ضرورة مساندة إسرائيل ليس فقط لتجنب هزيمتها بشكل كامل ولكن أيضا لكي تتمكن من تحسين موقفها العسكري قبل التوصل إلي وقف لإطلاق النار في مرحلة لاحقة. ويقول كيسنجر أنه "بحلول العاشر من أكتوبر كانت موسكو قد أفاقت للفرصة السانحة أمامها. فإسرائيل لا تستطيع تحمل حرب استنزاف طويلة والتوصل لاتفاق لوقف إطلاق النار يقر الوضع علي ما هو عليه سيعزز المكاسب العربية. ولحسن الحظ لم يكن السادات مستعدا بعد لقبول مثل هذه النتيجة معتقدا أن بإمكانه الحصول علي المزيد من التنازلات مع إطالة أمد الحرب. ولذلك أتي دوبرنين برسالة من موسكو تقول أن القيادة السوفيتية لن تعارض وقفا لإطلاق النار إذا تقدم به طرف ثالث. وأقترح أن تقوم كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بالامتناع عن التصويت. ولم يكن السوفيت مستعدين لتحريك القرار لأن السادات لم يكن مستعدا بعد. ولكن دوبرنين أقترح أن الأمر قد يكون مجرد مسألة تتعلق بالمظاهر وأن السادات قد يقبل بوقف لإطلاق النار إذا تقدم به طرف آخر. "في هذا الجو قررنا تعطيل المبادرة السوفيتية لوقف إطلاق النار وذلك لمنح إسرائيل فرصة لتحقيق مكاسب ضد سوريا تستخدمها لتحقيق توازن في أي مفاوضات قادمة مقابل الخسائر التي حققتها في الجنوب (علي الجبهة المصرية)". ولكن ما زاد من الموقف تعقيدا الأزمة الداخلية التي كانت تتعرض إدارة الرئيس نيكسون بعد استقالة نائب الرئيس سبيرو أجنو بسبب فضيحة مالية. وكانت أول مكالمة أجراها كيسنجر في ذلك اليوم مع السفير دوبرنين الذي أبلغه فيها بمحتوي الرسالة القادمة من موسكو:

كيسنجر ـ دوبرنين الأربعاء ١٠ أكتوبر الساعة ٨,١٣ صباحا

دوبرنين: حسنا. في إطار روح التفاهم المشترك التي تم التوصل لها مع الرئيس قمنا خلال الأيام الماضية بعقد مشاورات مع قادة مصر وسوريا حول التوصل إلي وقف لإطلاق النار. ولقد كانت هذه المحادثات مع العرب صعبة ومطولة ولكننا الآن لدينا الفرصة للقول بأن الاتحاد السوفيتي علي استعداد ألا يعارض قرارا يطالب بوقف إطلاق النار في مجلس الأمن. ولا شك أن الرئيس يفهم أنه في إطار الظروف القائمة في مجلس الأمن فإن الاتحاد السوفيتي لن يستطيع التقدم بهذا القرار ولكن المهم أنه لن يعارضه وسيقوم ممثلنا بالامتناع عن التصويت. وكان العامل الحاسم الذي وضعناه في الاعتبار المحافظة علي الأمور الإيجابية التي تحققت في العلاقات الأمريكية ـ السوفيتية وفي الموقف الدولي بشكل عام. ولكن المهم في هذه المرحلة أن يقتصر الأمر علي مجرد المطالبة بوقف إطلاق النار وألا يتم الحديث عن أية شروط أخري تتعلق بانسحاب القوات. (أي رفض الموقف الأمريكي الداعي للعودة إلي خطوط ما قبل اندلاع القتال في٥ أكتوبر). هذا سيؤدي للفشل. ونحن نشدد علي ذلك لأننا سمعنا تلميحات تشير إلي هذا التوجه في خطاب ممثل الولايات المتحدة في اجتماع مجلس الأمن الأخير. وإذا تم التقدم بمثل هذا الاقتراح فإن ممثل الاتحاد السوفيتي سيضطر إلي التصويت ضده. ونأمل أن يتسع التعاون السوفيتي ـ الأمريكي ليشمل منطقة الشرق الأوسط

ومواصلة الجهود للتوصل إلي تسوية سياسية. كما أن الادعاءات التي تم الكشف عنها أخيرا بشأن قيامكم بإمداد إسرائيل بالأسلحة من شأنها تدمير الموقف بأكمله وزيادة سخونة الموقف.

ك: نحن بحاجة لعدة ساعات من أجل النظر في هذا الأمر وستعرفون ردنا في موعد لاحق اليوم. ولكن يمكنك إبلاغهم بأن الرسالة إيجابية.

بعد نصف ساعة يعاود كيسنجر الاتصال بدوبرنين ليبلغه بأن جدول نيكسون مشغول وأنه سيتصل به في وقت لاحق من بعد الظهر ليبلغه الرد علي رسالة موسكو. ويناشده في نفس الوقت ألا تقوم موسكو بأي تحرك قبل التشاور مع الولايات المتحدة. كما يشير له في نفس الوقت إلي تقارير وردت للولايات المتحدة تشير إلي البدء في "جسر جوي ضخم لنقل معدات سوفيتية إلي مصر وسوريا."

د: جسر جوي

ك: جسر جوي. أستطيع أن أعطيك أعداد وأنماط الطائرات. ولكني متأكد أن جريشكو (وزير الدفاع السوفيتي) يعرفها جيدا. وأنا لا أعتقد أن هذا تحرك مفيد لأنه سيجبرنا علي القيام بنفس الشيء علي الأقل.

د: حسنا سأبلغ موسكو وأرد عليك.

ك: ولكن عملية النقل كبيرة. التقارير التي لدينا تتحدث عن ٢٢ طائرة تحركت من بودابست. هذا من شأنه تسهيل مهمتكم في العثور عليهم.

د: أنا أفهم. سأرد عليك في منتصف اليوم.

وفي الساعة ١١,٤٥ تجري مكالمة ثالثة بين كيسنجر ودوبرنين

يبلغه فيها أنه بسبب الأزمة الداخلية الخاصة باستقالة نائب الرئيس قد يتأخر الرد الأمريكي لليوم التالي وأنه سيطلعه علي الموقف في نهاية اليوم. ويشدد كيسنجر في محادثته هذه علي أن الأزمة حقيقية وأن واشنطن لا تتعمد إضاعة الوقت وذلك لكي لا تسيء موسكو فهم الموقف الأمريكي. (ولكن الحقيقة بالطبع كما شرح كيسنجر سابقا أن القرار الأمريكي كان إطالة الوقت لكي تحسن إسرائيل من موقفها العسكري ـ الأهرام). ويسأل دوبرنين عن مدي احتمال تأثير هذه الأزمة الداخلية علي الموقف الحالي وهو ما ينفيه كيسنجر ويؤكد له أن الأمر لن يؤثر علي سياسة الولايات المتحدة الخارجية. كما يطالبه بأن يبقي العرض الروسي بينهما فقط وألا يتم إطلاع دول أخري عليه ويؤكد من ناحيته أن واشنطن لم تناقشه بعد مع إسرائيل "لأننا لا نريد أن يبدأ اللوبي الخاص بهم هنا في العمل". كما يؤكد كيسنجر في مكالمة رابعة الساعة ٥,٤٠ مساء علي نفس هذا المطلب ويطالب دوبرنين بإبلاغ مندوب الاتحاد السوفيتي في مجلس الأمن بعدم إثارة الاقتراح السوفيتي بوقف إطلاق النار في نيويورك ويزعم أن واشنطن من ناحيتها لم تقم بشيء في ذلك اليوم. وأخيرا في الساعة ٩,٤٥ مساء يتصل كيسنجر بالسفير السوفيتي ليبلغه بان الرد الأمريكي لن يأتي قبل اليوم التالي. ويشكو دوبرنين من تصريحات صادرة من وزارة الخارجية الأمريكية تتهم موسكو بـ "عدم المسئولية" وذلك ردا علي التقارير التي وردت عن قيامها بإمداد مصر وسوريا بالسلاح. ويرد كيسنجر بأن واشنطن لاتزال تصر علي صحة هذه التقارير وأن "قيام السكرتير العام (بريجينف) بإرسال خطاب للجزائر (يحثها فيها علي المشاركة في الحرب) لم يسعدنا.

ويضيف كيسنجر أنه في نفس اليوم علمت واشنطن بوصول عشرين طائرة سوفيتية إلي سوريا وكذلك تحريك فرقة سعودية إلي سوريا. "وأدت هذه الأحداث بورود اقتراح من شليزنجر بالتخلي عن طريقتنا الحالية في التعامل مع الموقف لصالح خطوة أكثر إقداما بكثير وهي احتلال جزء من السعودية وربما إمارات الساحل المتهادن (التسمية الاستعمارية لدولة الإمارات حاليا).

كيسنجر ـ وزير الدفاع شليزنجر ٨,٢٧ صباحا من ١١ أكتوبر

(لم يجر تسجيل أول خمس دقائق من المكالمة ولكن المحادثة تدور حول تحريك القوات السعودية)

شليزنجر: لقد أصبحت العملية مكشوفة الآن. وتحديدا تحريك القوات السعودية إلي سوريا.

ك: هل بدءوا التحرك

ش: نعم. هل تتذكر تلك الفرقة التي رفض الأردنيون السماح لها بالتحرك. لقد طلبوا الآن الحق في تحريك فرق أخري من السعودية عبر الأردن والأردن لا يمكنه مقاومة ذلك في الواقع.

ك: نعم

ش: ولذلك أعتقد أننا سنصل إلي موقف تتعرض فيه كل مصالحنا في السعودية إلي الخطر وقد يكون من المفيد إعادة النظر في الأسس التي يقوم عليها موقفنا.

ك: وما هي هذه الأسس كما تراها

ش: الأسس هي أننا قد نواجه موقف قد نضطر فيه إلي الاختيار بين مساندة إسرائيل وفقدان السعودية. وإذا كانت مصالحنا في الشرق الأوسط تتعرض للخطر فإن الاختيار هو بين الاحتلال أو رؤية هذه المصالح تنهار.

ك: احتلال من

ش: هذا أمر يبقي النظر فيه قائما. ولكنه قد يكون جزئيا.

ك: ولكن من هي الدولة التي سنقوم باحتلالها

ش: هذه أحد الأمور التي يجب علينا التحدث بشأنها.

ك: ماذا تقصد بنحن

ش: أنا (وأنت)

ك: حسنا لدي رسالة عاجلة الآن لتوصيلها للرئيس وسنلتقي لاحقا. ما هو وضع عملية الإمداد (لإسرائيل)

ش: تسير علي نحو جيد مع الوضع في الاعتبار النقص الذي نواجهه في الطائرات. وإذا استطاعوا (الإسرائيليون) التعاقد مع طائرات فسيكون بإمكانهم بالطبع الإسراع في عملية النقل.

....

كيسنجر ـ سكالي الساعة ١٢,٠٥ ظهرا

سكالي: أود اطلاعك علي أمر ما. السفير الإيراني لدي الأمم المتحدة ما يزال يحتفظ بعلاقات جيدة مع الزيات وقال له أنه يبدو لي أنكم حققتم انتصارا ويجب عليكم أن تفكروا الآن في الخطوة التالية. وكان رد الزيات "نحن منفتحون من أجل التحرك نحو السلام وسوف ندرس الأمر".

ك: هذا جيد. يجب علينا أن نجمع تفاصيل الموقف. ولكن يجب عليك إمدادي بمثل هذه المعلومات. مازلت في انتظار سماع شيء في وقت لاحق اليوم وسأبلغك به فور تأكيده.

س: رئيس مجلس الأمن لاري ماكنتير يشعر بأنه تحت الضغط لإظهار جسارة مجلس الأمن. وهو علي استعداد لعدم القيام بشيء اليوم ولكنني لا أعتقد أن بإمكاني منعه من الاستمرار غدا.

ك: هذا هو تماما ما أتطلع له. حاول تأجيل القيام بأي شيء اليوم. حاول تجميع كافة التفاصيل اليوم ولتكن علي استعداد للتحرك غدا. أنا علي اتصال بكافة الأطراف لضمان ألا يقوم أحد بسحب بندقيته (القيام بتحرك انفعالي).

س: قبل دقيقة طلب السوريون عقد اجتماع عاجل مع الروس.

ك: أعتقد أن الإسرائيليين يضربون سوريا مجددا. سأتصل بك فور أن تتوافر لدي المزيد من المعلومات.

كيسنجر ـ أبا إيبان الساعة ١٢,٣٥ ظهرا

إيبان: لقد قمت باتصالات مع رئيس مجلس الأمن وآخرين. ولكن قبل ذلك أود أن أشكرك وحكومتك بحرارة علي ردكم علي بعض الطلبات التي تقدمنا بها. لقد حركتم مشاعر الجميع في إسرائيل بهذا الأمر. ثانيا الموقف الغريب للغاية (علي الجبهة) يشير إلي أن مرحلة الانسداد قد تطول. ثالثا الموقف العربي السوفيتي المطالب بوقف لإطلاق النار والعودة إلي ما كان عليه الوضع قبل سبع سنوات (حدود ١٩٦٧) لم يتقدم به أحد و لا يوجد عليه إجماع. وأنا أعرف أنه لن يتم تمريره.

ك: سوف ننقض مثل هذا القرار.

إ: وبالطبع ستكون هناك محاولة لردع أي طرف عن التقدم بمثل هذا القرار.

ك: أنا أفهم هناك الكثير في انتظاري. وثالثا المطالبة بوقف إطلاق النار وفقا للوضع القائم أليس كذلك؟

إ: السادات أخبر السفراء الأوروبيين أنه حتي لو خسر مليون رجل فإنه لن يقبل بوقف لإطلاق النار بناء علي الوضع القائم. يجب علينا أن نعتاد علي فكرة أننا لن نحصل علي وقف لإطلاق النار ما لم يتغير السوفيت.

ك: لقد أخبرت سفيرنا (في الأمم المتحدة) أننا لن نتقدم بشيء ولكن الموقف سيكون صعبا بالنسبة لنا لو تقدم طرف آخر بشيء.

إ: أنا أتفق معك ولكننا لم نر دلائل لذلك هنا (في نيويورك)

ك: لقد أصدرت توجيهات لسكالي بعدم القيام بشيء اليوم وهو أمر علي عكس مزاجه.

إ: عندما كنت في مكتب رئيس مجلس الأمن أتصل فالدهايم وقال أنه لا بد من عقد اجتماع. والصحافة تتحدث عن غياب اجتماع. كما أن الاستراليين يشعرون بجفاء...

ك: حسنا يا سيادة وزير الخارجية. سأتصل بك في وقت لاحق من بعد ظهر اليوم عندما تصبح الصورة أكثر وضوحا.

كيسنجر ـ سكوكروفت الساعة ٤,٥٠ بعد الظهر

ك: يمكنك الاتصال بدينيتز وإبلاغه أننا قررنا بالتأكيد عدم الدعوة لأي اجتماع اليوم وأننا سمحنا بالبدء في استئجار الطائرات. نفضل استئجار الطائرات وإرسالها لإسرائيل.

سكوكروفت: ألا يوجد مؤشر علي توجه تفكيرك

ك: قل له أنه لا يوجد قرار أمريكي ـ سوفيتي مشترك. هل أبلغته بضرورة عدم القيام بشيء

س: لقد قلت له أن يستمروا في القتال بضراوة ولكنه ستكون كارثة لو قاموا بأي شئ يدفع الرئيس للقيام بتحرك مثل القيام بشيء غبي من قبيل قصف وسط المدينة في القاهرة. ولكنه قال أن رئيسة الوزراء ذكرت أنهم لن يرتاحوا حتي يعاقبوهم بقوة علي عدوانهم!

ك: اتصل بشليزنجر وأساله إذا أردنا تحسين العرض كم طائرة يستطيع الاستغناء عنها ولكن تحدث معه علي الخط الآمن.

كيسنجر ـ شليزنجر الساعة ٧,١٥ مساء.

شليزنجر: لقد أشرت إلي أنني تحدثت معك بشأن طائرتي الفانتوم قبل قيامنا بإرسالهما. لا توجد طريقة عملية أخري لإرسالها إلا بصحبة طائرة أخري لتزويدها بالوقود وهي بالجو.

ك: متي قمت بذلك؟

ش: لندع هذه الطائرات تنطلق في السادسة صباحا. لقد وصل الخبر بالفعل إلي الصحف. هناك متحدث ما أشار إلي أننا نواصل عملية الإمداد.

ك: إذا كان هذا هو الحال فلندع الطائرات ترحل.

ش: ثانيا نحن نعد لإرسال بعض المارينز إلي الشرق الأوسط علي (القطعة البحرية) نورفولك في إطار عملية نقل عادية.

ك: لا يجب القيام بذلك قبل أسبوع.

ش: الأمر يستغرق عشرة أيام للوصول إلي جبل طارق

ك: سينتهي الأمر خلال عشرة أيام.

ش: هل أنت واثق من ذلك

ك: إذا لم يحدث ذلك فسوف نحتاج لهم. هل هذا هو كل ما لديك

ش: لقد لاحظت أن هناك أربعين طائرة من سلاح الجو...

ك: أعدك بأننا لن نتحرك في هذا الاتجاه دون إخطارك. المطروح هو البديل الأول بجانب استبدال ما فقدوه من طائرات فانتوم وأنت تتولي عملية استبدال المعدات الثقيلة. هل تحدثت مع سكوكروفت

ش: لا

٢٤

في اليوم الخامس للحرب أكدت مصر إصرارها على انسحاب إسرائيل الكامل من سيناء

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الثلاثاء ٢٨ أكتوبر ٢٠٠٣م - ٣ رمضان ١٤٢٤هـ

في هذه الحلقة يركز كيسنجر علي احداث العاشر من اكتوبر وهو اليوم الخامس للحرب، ويبدأ باستكمال محادثاته مع وزير الدفاع شليزنجر، ثم الاتصال الذي اجراه معه كورت فالدهايم الامين العام للأمم المتحدة، ويتحول كيسنجر إلي محادثة مع نائبه برنت سكوكروفت لكي يشكو له من تباطؤ وزارة الدفاع في امداد إسرائيل بالسلاح ثم يعطي انطباعه بأن الإسرائيليين في حالة عصبية ويعتقدون اننا ـ الأمريكيين ـ نطعنهم في الظهر. ويرد نائب كيسنجر مؤمنا علي كلامه: إنهم بالفعل في حالة ضيق.

ويري كيسنجر أن اسطول شركة العال الإسرائيلية المكون من سبع طائرات لم يكن يكفي لنقل المعدات المطلوبة، وأن الأمر تطلب بالتالي استئجار طائرات مدنية لاستكمال نقل المعدات بالسرعة المطلوبة.

كيسنجر: لقد سألت الجنرال برنت سكوكروفت نائب كيسنجر إذا أردنا تحسين العرض للإسرائيليين ما هي الطائرات الأخري التي يمكننا تجميعها؟

شليزنجر: أنا لا أعرف.

ك: هذا علي أساس افتراض عدم وقوع اشتباكات.

ش: فقط طائرات الفانتوم:

ك: الإسرائيليون أخبروني بعد ظهر اليوم أنه بجانب الطائرات التي خسروها لديهم أربعون طائرة معطلة.

ش: نحن نقوم بتجميع قطع الغيار اللازمة لإصلاحها. ولكن ماذا عن عملية الإمداد السوفيتية.

ك: إنها أضخم بكثير من العملية التي نقوم بها. لقد اتصل بي دوبرنين وقال: يا هنري أنا أعرفك جيدا وعندما أقرأ عن عملية الإمداد الخاصة بنا فأنا أعرف أنكم أيضا تقومون بها.

ش: أنت تعرفه جيدا للغاية.

ك: هذا صحيح. وقد يساعدنا ذلك علي الخروج من هذا الموقف. أعتقد أنه سيكون في مقدورنا القيام بشيء ما هنا.

ش: حسنا. أنت تعرف ما هي المشاكل القائمة.

***

في الثامنة والنصف مساء يتصل السكرتير العام للأمم المتحدة كورت فالدهايم بكيسنجر ليبلغه بالموقف في مجلس الأمن وأن وزير الخارجية محمد حسن الزيات طلب من مجموعة عدم الانحياز عدم التقدم بمشروع قرار لأنهم يريدون مواصلة القتال وصدور أي قرار سوف يعيق ذلك. كما أن الإسرائيليين أيضا غير راغبين في صدور قرار. ويقول فالدهايم كلا الجانبين لا يريد قرارا. كلاهما لا يريد وقفا لإطلاق النار لأنهما يعتقدان أنه بإمكانهما تحقيق

مكاسب. ويرد كيسنجر بأنه سيعطيه رده في وقت لاحق بعد إجراء مشاورات مع سكالي. ويلح فالدهايم علي ضرورة التحرك لأنه يتعرض لضغط ضرورة القيام بشيء لوقف القتال والعودة إلي التفاوض بصفته الأمين العام للأمم المتحدة. كما يعرب عن قلقه بشأن التقارير الواردة عن قيام الاتحاد السوفيتي بإمداد سوريا بالسلاح وهو ما يتفق مع كيسنجر بالطبع ويعده بالرد عليه في اليوم التالي.

وفي التاسعة مساء يجري كيسنجر مكالمة أخري مع نائبه سكوكروفت يشكو فيها من تباطؤ وزارة الدفاع في عملية مد إسرائيل بالسلاح.

ك: أنظر يا برنت لا بد أن يتوقف هؤلاء الناس في وزارة الدفاع عن جرجرة أقدامهم. الإسرائيليون في حالة عصبية ويعتقدون أننا نطعنهم في الظهر. (من الواضح هنا طبعا مبالغة كيسنجر حيث إن كل المسئولين الإسرائيليين الذين تحدثوا معه أعربوا له عن امتنانهم الشديد لموقف واشنطن ـ الأهرام).

س: إنهم بالفعل في حالة ضيق.

ك: ولماذا لا يكونون كذلك.. ما هو تقييمك الشخصي

س: كنت أتمني لو كان بإمكاننا التنبؤ بما سيحدث في الساعات الثماني والاربعين القادمة. إذا دخل الأمر في مرحلة جمود فسنواجه مشكلة كبيرة. إذا تمكنوا (الإسرائيليون) من تحقيق تقدم فسيكون بإمكاننا المضي قدما ولكن إذا لم يحدث ذلك سيكون هناك ضغط كبير من أجل التوصل لوقف إطلاق النار. ولا يوجد أمامنا سوي الموافقة علي وقف إطلاق النار أو القيام بعملية إمداد ضخمة. هل أعطاك دينيتز أي فكرة عما قد يحدث (موقف إسرائيل من وقف إطلاق النار)

ك: لا. لقد طلب فرصة لكي تتمكن جولدا مائير من الرد. دوبرنين يمكنه الانتظار.

س: ما زال لديك عذر.

ك: لست بحاجة لعذر. يمكنني فقط القول إنني لم أتمكن من الحصول علي قرار بعد.

س: أعتقد أنه يمكنك تمرير الأمر الليلة.

ك: ولكن خلال ثمان وأربعين ساعة سنواجه نفس المشكلة. إذا لم يكن هناك قرار خلال ثمان وأربعين ساعة هل يمكننا الاستمرار حتي عطلة نهاية الأسبوع (يومي ١٣ و١٤ سبتمبر).

س: لا أعتقد أن بإمكاننا ذلك؟

ك: الشيء الوحيد الذي يدعم موقفنا هو أن الكل خائف من ممارستنا لحق الفيتو.

س: أنا لا أعتقد أنه يمكننا البقاء حتي عطلة نهاية الأسبوع دون التوصل لقرار بشأن وقف إطلاق النار. هل تعتقد ذلك

ك: لا.

س: من دون أن نعرف في أي اتجاه يسير الموقف وحدوث شيء حاسم يمكننا الانتظار حتي الجمعة (١٢ أكتوبر). ولكننا لا يمكننا الاستمرار في التعطيل لأن طرفا ما سيقوم بالتحرك.

ك: نعم ولن يمكننا ممارسة حق الفيتو.

س: أعتقد أن ذلك سيكون كارثة.

***

مكالمات كيسنجر في يوم الخميس ١١ اكتوبر تناولت المشاكل التي واجهت الولايات المتحدة للبدء فورا في إمداد إسرائيل بالأسلحة عبر جسر جوي وهي مشاكل نشأت بسبب الخلافات الداخلية في الإدارة وكذلك جهوده المتواصلة من أجل تأخير التوصل إلي قرار يدعو إلي وقف إطلاق النار في مجلس الأمن حتي تتمكن إسرائيل من تحقيق تقدم في جبهة واحدة علي الأقل وتحديدا الجبهة السورية. وتكشف مكالمات هذا اليوم عن مساندة كيسنجر لإسرائيل للتقدم قدر استطاعتها علي الجبهة السورية ولكنه ثار غضبا عندما أعلن وزير الدفاع الإسرائيلي أن قواته "في الطريق إلي دمشق" وطالب سفير إسرائيل بأن تواصل إسرائيل عملها ولكن بصمت. ومن ناحية أخري عمل كيسنجر علي التنسيق مع إسرائيل لضمان عدم ضرب كتيبة أردنية توجهت من الأردن إلي سوريا بسبب الضغط العربي وذلك بعد وساطة تقدم بها رئيس الوزراء البريطاني السابق إدوارد هيث.

ويقول كيسنجر إنه بحلول بعد ظهر الأربعاء العاشر من أكتوبر كان من الواضح أن أسطول شركة العال الإسرائيلية المكون من سبعة طائرات لم يكن يكف عن نقل المعدات المطلوبة. وبعد التشاور مع أعضاء مجموعة العمل الخاصة تقرر أنه لا بد من منح إسرائيل دعم الحكومة الأمريكية وإذنها من أجل الاستعانة بشركات طيران خاصة لنقل المعدات الإضافية. ولكن الاقتراح باستئجار طائرات سرعان ما تبين أنه فاشل. فلم توجد شركة طيران لديها الاستعداد لاتخاذ المخاطرة ومواجهة المقاطعة العربية بنقل معدات إلي منطقة حرب. وكان بإمكان وزارة الدفاع ممارسة الضغط علي شركات الطيران الخاصة والتي لديها مصالح مع البنتاجون ولكن القائمين علي الوزارة لم يشعروا بوجود حالة ملحة لذلك لاعتقادهم بأن إسرائيل لديها مخزون يكفيها لمدة أسبوعين وهي فترة أطول من كل التوقعات لمدي إمكانية استمرار العمليات القتالية. أما وزارة النقل (والتي مثلت البديل الثاني) فكانت تريد البقاء خارج المواجهة العسكرية. وعلي مدي يوم كامل تقاذفت الوزارتان الكرة بينهما في شأن تحمل مسئولية هذه العملية.

كما أن كلا من وزارتي الدفاع والخارجية لم تكونا متحمستين لقرار الرئيس خاصة فيما يتعلق بالجسر الجوي وذلك خشية النتائج التي قد تترتب علي ذلك في العالم العربي. كما أن وزارة الدفاع كان لديها مخاوفها الخاصة من تأثير عملية الإمداد هذه علي مخزون القوات الأمريكية نفسها من الأسلحة. "أما أنا فلقد كنت أضغط من أجل البدء في الإمداد وذلك في إطار الاستراتيجية التي تم وضعها. ولكنني كنت أرغب في أن يتم ذلك بأكثر الطرق خفاء. ولم يعترض شليزنجر أبدا علي هذه الرغبة. ولكن المشكلة كانت علي المستوي التقني هذا إذا افترضنا أن التأخير لمدة ثمان وأربعين ساعة قبل أن يكون الجسر الجوي الأمريكي تحت تصرف إسرائيل بالكامل يمكن وصفه بأنه تأخير بالفعل. أما برنت سكوكروفت وجوزيف سيسكو اللذان عملا بلا كلل لمحاولة استئجار طائرات خاصة فلقد باءت جهودهم بالفشل. وقمنا باستكشاف كل البدائل قبل أن نواجه حقيقة أنه مادامت لم توجد شركة خاصة سوف تتولي عملية النقل لإسرائيل فإن الولايات المتحدة سيجب عليها اتخاذ مخاطرة إما من خلال القيام بالجسر الجوي بنفسها أو أن تقوم باستئجار الطائرات باسمها.

ولكن في العاشر من أكتوبر وبغض النظر عن المشاكل التي واجهتنا في عملية الإمداد فإنه كان يجب علينا تأخير العملية الدبلوماسية الهادفة للتوصل إلي وقف لإطلاق النار حتي يحدث تغيير علي جبهة القتال. ورأينا أن أفضل ظرف عسكري يمكننا من البدء في دبلوماسية ما بعد الحرب التي كنا نخطط لها هو أن تتمكن إسرائيل من استعادة المواقع السابقة للحرب أو ربما التقدم عنها. وهذا الأمر سوف يظهر أن البديل العسكري الذي يحظي بدعم السلاح الروسي مجرد وهم وأن تحقيق تقدم دبلوماسي يعتمد أساسا علي المساندة الأمريكية. وإذا فشلنا في ذلك فإنه قد يكون من الممكن التفاوض علي أساس تحقيق تقدم عسكري إسرائيلي علي جبهة واحدة حتي لو حدثت نكسة علي الجبهة الأخري برغم أن هذا الأمر كان من شأنه إيجاد موقف أكثر تعقيدا.

ولكن في العاشر من أكتوبر لم تكن أي من هذه الشروط قائمة. فإسرائيل كانت قد تمكنت بالكاد من استعادة هضبة الجولان باستثناء بعض المواقع السورية في منطقة جبل الشيخ. كما كان جيشان مصريان قد تمكنا من تعزيز مواقعهما بإحكام عبر قناة السويس. ولم تكن هناك إمكانية للقيام بهجوم في سيناء مادامت القوات المصرية باقية في مجال حماية حائط الصواريخ الذي تمت إقامته علي طول القناة والذي كان يمنع إسرائيل من استخدام سلاح طيرانها

للقيام بعمليات قصف. وكانت إسرائيل قد تجاهلت بناء قوة مدفعية أرضية علي أساس تجربتها عام ١٩٦٧ وكانت تعتمد علي سلاح الطيران للقيام بهذا الدور. والبديل الوحيد أمام إسرائيل كان القيام بهجوم ضد سوريا والذي كان مقررا القيام به صباح اليوم التالي (الجمعة ١٢ أكتوبر). وفي نفس الوقت قررنا تجميد المبادرة السوفيتية (المطالبة بوقف إطلاق النار وبقاء الوضع علي ما هو عليه) حتي تتضح نتائج هذه العملية. ويحاول كيسنجر كذلك تبرير هذه الاستراتيجية بالقول إن حافظ إسماعيل مستشار الرئيس السادات للأمن القومي صرح في العاشر من أكتوبر بأن مصر لاتزال تصر علي مطلبها بانسحاب إسرائيل الكامل من سيناء بينما لم يسمع الأمريكيون شيئا من سوريا.

وفي المكالمة الأولي التي جرت في ذلك اليوم بين الرئيس نيكسون وكيسنجر في الساعة ١١ صباحا يعرب نيكسون عن غضبه من المقالات الواردة في الصحف الأمريكية والتي تتهمه بأنه لم يقم بمساندة إسرائيل بالشكل الكافي ويتهم مسئولين في السفارة الإسرائيلية بأنهم وراء تسريب مثل هذه القصص. ويطالب الرئيس الأمريكي كيسنجر بمطالبة السفير الإسرائيلي باستخدام نفوذه لوقف هذه المقالات وإبلاغه أنني لن أتسامح مع هذا الأمر. وإذا سمعت المزيد من هذه التقارير فإني سأحمله المسئولية. ويضيف أنا وأنت نعرف أن إسرائيل لن تخسر هذه الحرب ولكننا لا يمكننا المحاربة علي جهتين. وإذا سمعت المزيد من هذا الكلام فلن يكون أمامي بديل داخليا سوي التحول ضدهم.... نحن نساعدهم وهو (السفير دينيتز) يعرف ذلك... لا بد أن يثق فينا الإسرائيليون وإلا فستتوقف اللعبة.

وفي نفس التوقيت تقريبا اتصل سكوكروفت بكيسنجر ليبلغه بتقرير أوردته وكالة أنباء اليونايتد برس وينقل عن وزير الدفاع الإسرائيلي موشيه ديان قوله إن الدبابات والحاملات الإسرائيلية عبرت الحدود السورية "وأنها في طريقها إلي دمشق. ويضيف أن وكالة المخابرات المركزية تعتقد صحة هذا التقرير. وعلي الفور يسارع كيسنجر بالاتصال بدينيتز ولكن يتضح أنه كان يقوم بزيارة أحد المعابد اليهودية فيجري الحوار التالي مع نائبه شاليف.

كيسنجر ـ شاليف الساعة ١١,١٠ صباحا

ك: ليس من الجيد مطلقا أن تطالبوني بتعطيل الأمم المتحدة ثم يخرج ديان ليقول في الراديو والتليفزيون إنكم في طريقكم إلي دمشق. كيف يمكننا القيام بتعطيل الأمم المتحدة بينما يقوم وزير دفاعكم بالإدلاء بهذه التصريحات

شاليف: معك الحق في هذه النقطة.

ك: لقد تمكنت بصعوبة شديدة من إقناع الرئيس بالإبطاء في التحرك داخل الأمم المتحدة والآن أجد نفسي في مواجهة هذا التقرير. ماذا يمكنني أن أقول للسوفيت الآن

وبعد أن يبلغ كيسنجر شاليف كذلك بضيق الرئيس نيكسون من التقارير الصحفية التي تنتقد مواقفه بدعوي عدم دعم إسرائيل بشكل كاف يواصل قوله:

ك: إذا كنتم تريدون التعاون معنا دبلوماسيا فلا بد أن تتعاونوا معنا في هذا الشأن. لا يمكننا مطالبة الأمم المتحدة بالتباطؤ في تمرير قرار وقف إطلاق النار بينما يقوم ديان بالإدلاء بهذه التصريحات. لقد كنت هنا مع المساعدين أعمل علي الترتيب لتعطيل الأمر في الأمم المتحدة لمدة ستة وثلاثين ساعة عندما جاءني هذا النبأ. ثانيا ماذا سيكون بإمكاني أن أقول للروس إن الأمر يبدو الآن وكأن هناك أسوأ حالات التواطؤ وسوء النية. لقد كان يمكنكم الانتظار لثمان ساعات وكانت الحقيقة ستتضح بمفردها لو بقيتم صامتين. لتنظر ما بإمكانك القيام به لتهدئة الأمور في إسرائيل وأناشدك من أجل الله أن تبتعدوا عن الراديو والتليفزيون.

ثم يجري كيسنجر محادثة مع مساعده سيسكو في الساعة ٢,٤٠ بعد الظهر حول المصاعب التي تواجه عملية إمداد إسرائيل بالأسلحة ويبدأ المحادثة بالقول إن "الإسرائيليين يكادوا يصابون بالجنون لتأخر عملية استئجار طائرات مدنية لنقل معدات عسكرية. وأتهم سيسكو المسئولين في وزارة الدفاع. بأنهم يجرجرون خطاهم" ونصحه بأن يجري مكالمة هاتفية مع وزير الدفاع شليزنجر لحل هذه المشكلة. وبالفعل يقوم كيسنجر بهذا الاتصال علي الفور.

وفي الساعة ٣,٠٥ بعد الظهر تجري المكالمة التالية مع السفير الإسرائيلي دينيتز:

دينيتز: لقد وصلتني للتو برقية من جولدا تقول فيها إنها ستبذل كل ما في وسعها لضبط النفس.

ك: ليس بالضرورة من خلال الأفعال ولكن من خلال الكلمات. (ضوء أخضر صريح للإسرائيليين لمواصلة هجومهم علي سوريا في إطار استراتيجيته القائمة علي تحسين موقف إسرائيل العسكري قبل التوصل لوقف إطلاق النار.)

د: لقد ذكرت أن ملاحظتك كانت تتعلق بالكلمات وليس بالتحرك وهي تفهم الموقف. والآن لأدعك أنت تتحدث.

ك: أمران. الأول أنني أمرت للتو العسكريين باستئجار عشرين طائرة وبعد ذلك ستحصلون عليها أنتم. ستكون طائرات مدنية قمنا نحن باستئجارها. ثانيا يمكنني تأخير اجتماع مجلس الأمن حتي الليلة. ولكن لا يمكنني تجنب حدوث شيء من قبل الروس. لقد قمت بتجنب دوبرنين طوال الصباح برغم أنه كان يتصل بي كل نصف ساعة. ولكن أعتقد أنه بحلول مساء الغد سنكون مضطرين للتحرك في هذا التوجه. وتوجهكم يجب أن يكون علي نمط نعم ولكن.

د: قرار مجمد هل هذا ما تعنيه؟

ك: هذا هو ما في ذهني.

د: وماذا عن الطائرات هل يمكنك القيام بشيء بشأنها؟

ك: سوف تتحرك غدا.

د: الخمسة.

ك: نعم.

د: هل يمكننا الحصول علي كمية كبيرة هل تعتقد أنه يجب علي أن أتحدث مع شليزنجر؟

ك: دعني أنا أتحدث معه.

وفي ٤,٣٠ يعاود دينيتز الاتصال بكيسنجر.

د: دعني أطلعك علي آخر تطورات الموقف حتي السادسة مساء بتوقيت إسرائيل. لقد اخترقنا (الخطوط السورية) من خلال جبهة علي اتساع ١٢ كلم ونحو ١٠ كلم داخل الطريق المؤدي إلي دمشق. ولدي تقرير آخر يقول إننا تقدمنا نحو ٢٠ كلم.

ك: أنت تفهم أنني لم أكن أقول لكم... (ألا تتقدموا).

د: أنا أفهمك تماما ولكن لا أعتقد أن رئيستي فهمت. حتي من قبل حديثي معك. ومنذ ذلك الوقت فإن القوات السورية تتفكك والمدرعات والجنود السوريين في حالة فوضي.

ك: جيد.

د: لا أريد إزعاجك بالمطارات التي قمنا بقصفها. ولكن المهم ألا تكون القوات الجوية السورية تحديدا في حالة نشاط ولقد قمنا بإسقاط سبع طائرات. ولاحظنا ما بين خمس و١٢ طائرة سوفيتية في طريقها إلي دمشق. ولكنها عادت إلي قاعدتها في أوروبا بعد أن رأت دبابتنا في المطار. ثم عادت مرة أخري بعد ظهر اليوم وقامت بالهبوط. ١٢ طائرة هبطت في سوريا بمعداتها. وحتي الخامسة مساء بلغت خسائرنا علي الجبهتين عشر طائرات ثلاث فانتوم وست سكاي هوك وطائرة أخري.

ك: كيف فقدتم هذه الطائرات؟

د: كلها سقطت بصواريخ. لدينا معلومات أنه لم يحدث تغيير علي الجبهة المصرية. قواتنا الجوية كانت نشيطة هناك. وتقديرنا هو أنه يوجد نحو ٧٠٠ إلي ٨٠٠ دبابة علي الجبهة الشرقية للقناة. ومحاولتهم التقدم لم تكن ناجحة... هل ورد أي رد من شليزنجر بشأن المعدات الثقيلة أثناء مكالمتكم؟

ك: لقد أشرت إلي الأمر وقال لي إنه سينظر إلي الجدول (الزمني) مرة ثانية.

وفي الساعة ٥,٣٥ مساء يتحدث كيسنجر مع سيسكو ليؤكد عليه ضرورة ألا يتقدم سكالي مندوب واشنطن في الأمم المتحدة بأية مقترحات وألا يلتقي بمندوب الاتحاد السوفيتي وذلك في إطار سياسة تعطيل تحريك أي قرار يطالب بوقف النار.

وأثناء محادثة لكيسنجر مع سكوكروفت في الساعة ٧,٥٥ مساء طالبه فيها بإضافة طائرة فانتوم أخري إلي الطائرات الخمس التي كان من المقرر مغادرتها لإسرائيل في اليوم التالي قطع حديثهما عن عملية الإمداد مكالمة عاجلة من رئيس الوزراء البريطاني إدوارد هيث بشأن رغبة الأردن في الاستجابة لطلب السوريين المساعدة ولكن من دون أن يثير ذلك رد فعل إسرائيليا.

كيسنجر - رئيس الوزراء هيث الساعة ٨,٠٠ مساء

هيث: لقد تلقينا من خلال قنواتنا رسالة من الملك حسين وهو واقع تحت ضغط كبير. إنه يحاول رؤية ما يمكنه عمله لكي يقوم بتحريك فرقة نحو....

ك: أعتقد أنني أعرف محتوي الرسالة. لقد تحدث سفيركم هناك مع سفيرنا. أفهم أنك تريد منا التحدث مع الإسرائيليين؟

هيث: أود قيامك بذلك وأن تقول لهم أن يكون ردهم علي أضيق نطاق ممكن ومن دون القيام بهجوم. وعند ذلك الحين أعتقد أنه (الملك حسين) سيكون بإمكانه مواجهة الضغط.

ك: نعم أنا أفهم ذلك. وأعتقد أنه سيكون ممكنا. ستسمع مني في جميع الأحوال. لا أعتقد أنه يجب أن نسمح أن يؤثر الأمر سلبا. سأقوم بالاتصال بالسفير الإسرائيلي علي الفور.

***

وبالفعل يتصل كيسنجر بدينيتز ليطلعه علي الطلب البريطاني. ويسأل السفير عن نوع الفرقة وإذا ما كانت مشاة أم مدرعات وكذلك ما إذا كانت تنوي مهاجمة الإسرائيليين. ويرد كيسنجر بأن الفرقة ستكتفي بالوقوف هناك ويعده بأن يطلعه علي اسم المنطقة التي ستتمركز فيها الفرقة الأردنية. ويلح كيسنجر علي ضرورة الحصول علي رد سريع للبريطانيين ويذكر دينيتز بأنهم يضغطون بدورهم من أجل التوصل لقرار يدعو لوقف إطلاق النار في مجلس الأمن. ثم يسأله السفير الإسرائيلي: عندما تتحدث عن وقف إطلاق النار بالنسبة لبريطانيا وروسيا فهل يعني ذلك وقف إطلاق النار وتجميد الموقف؟

ك: فقط بعد أن تحققوا موقعا أفضل.

د: تقديري أنه سيكون من الأفضل التحرك من دون الروس. وبعد التطورات التي حدثت علي الجبهة الشمالية الليلة لدي شعور بأن الروس لن يكونوا راغبين في تجميد الموقف غدا.

ك: إذا تقدموا بمقترح جديد فسيجب علي النظر فيه وسيعطينا ذلك ٤٨ ساعة إضافية.

د: أعتقد أن المهم الآن هو كسب الوقت.

ثم يطلع كيسنجر السفير الإسرائيلي علي آخر تطورات عملية الإمداد وقرار زيادة عدد طائرات الفانتوم إلي ست بمعدل طائرتين يوميا. ولكن دينيتز يبلغه بأن رئيسة الوزراء الإسرائيلية غير راضية ولا تفهم سبب التأخير. ويشرح له كيسنجر أن المهم في هذه المرحلة هو البدء في عملية الإمداد وأنه سيواصل جهوده في هذا الشأن.

وبعد تهرب طويل من السفير السوفييتي دوبرنين يجري كيسنجر مكالمة معه أخيرا في الساعة ٨,٢٥ مساء ولكنه يواصل المماطلة معه حول توقيت تقديم قرار وقف إطلاق النار مع التأكيد علي أن واشنطن لن تقوم بأي تحرك داخل مجلس الأمن دون التشاور معهم. وبحجة أنه يواصل مشاوراته مع البريطانيين الذين سيكونون الطرف الثالث الذي سيتقدم بمشروع القرار يبلغ كسينجر دوبرنين أنه سيعاود الاتصال به ظهر اليوم التالي الجمعة.

ويشير كيسنجر في ملاحظاته عن يوم الحادي عشر من أكتوبر أنه شهد أيضا تبادلا للاتصالات مع الرئيس السادات عبر قناة حافظ إسماعيل. "وناشدنا إسماعيل نيابة عن السادات أن نوقف الهجمات الإسرائيلية الجوية علي أهداف مصرية مدنية. وبعد أن وافقت علي تبليغ الرسالة أثرت نقطتين: حذرت من السماح بمشاركة السوفيت في القتال بأي شكل لأن هذا التحرك سيدعو الولايات المتحدة إلي التدخل مباشرة في مواجهة مصر. كما أنني أعدت تذكير السادات عبر إسماعيل إلي ما كان قد توصل إليه بالفعل (وإن لم أكن علي دراية بذلك) وهو أن مصر ستكون بحاجة للولايات المتحدة إذا ما كانت ستجري مفاوضات ناجحة في مرحلة ما بعد الحرب. وأكد كيسنجر في نص رسالته أنه لا توجد قوات أمريكية متورطة في العمليات العسكرية. ولن تتدخل أي قوات عسكرية أمريكية بأي طريقة ما لم تتدخل قوي أجنبية أخري من خارج المنطقة من خلال عمل عسكري. والولايات المتحدة تبقي مستعدة للنظر في أي اقتراح مصري لإنهاء الأعمال العدائية بتفهم وبروح حسنة. وستحاول أن تقدم المساعدة بعد انتهاء العمليات العدائية. ومهما بلغت درجة الضغوط التي لا يمكن تجنبها حاليا فلا يجب لأي من الطرفين أن يفقد رؤيته لهذا الهدف.

٢٥

في اليوم السابع للحرب.. بوادر أزمة في العلاقات مع الاتحاد السوفيتى

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الأربعاء ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٣م - ٤ رمضان ١٤٢٤هـ

الثاني عشر من أكتوبر...

بجانب مواصلة جهوده للإسراع في نقل الأسلحة لإسرائيل وتزويدها بكل ما تحتاجه من عتاد كان الموضوع الطاغي علي محادثات كيسنجر في الثاني عشر من أكتوبر بوادر ظهور أزمة مع الاتحاد السوفيتي بعد أن أبلغه السفير دوبرنين في محادثات ساخنة علي الغداء احتجاج موسكو علي تحريك الولايات المتحدة لأسطولها السادس إلي مواقع قريبة من جزيرة كريت وهو ما يجعل سفنها علي بعد مسافة قصيرة من الأسطول السوفيتي. كما حذر دوبرنين من أن بلاده لا يمكنها أن تبقي صامتة في مواجهة التهديدات الصادرة من إسرائيل بأن جيشها في طريقه إلي دمشق وأنه "إذا واصلت إسرائيل تقدمها فإن الأمور قد تخرج عن حدود السيطرة" في تهديد واضح بأن القوات السوفيتية ستتدخل في القتال. وكان رد فعل كيسنجر تحذير موسكو من القيام بأي شكل من أشكال التدخل العسكري وأن ذلك من شأنه تدمير كل ما تم إنجازه لتنمية العلاقة بين البلدين... وعلي المستوي الداخلي كان الرئيس نيكسون مشغولا بقضية استقالة نائب الرئيس وتعيين نائب جديد للرئيس ولكن كيسنجر أطلعه علي تطور عملية الجسر الجوي ومحاولات استئجار طائرات خاصة لنقل المساعدات إلي إسرائيل وكذلك جهوده لتعطيل صدور قرار من مجلس الأمن يدعو لوقف إطلاق النار. وكانت أول مكالمة أجراها صباح ذلك اليوم مع السفير الإسرائيلي دينيتز الذي أبلغه بأن تل أبيب باتت علي استعداد للقبول بتحريك قرار في مجلس الأمن يدعو لوقف إطلاق النار بعد النجاح الذي تمكنت من تحقيقه علي الجبهة السورية. كما يبلغه برفض جولدا مائير المطلب البريطاني عدم ضرب الكتيبة الأردنية في حالة خوضها عمليات القتال.

كيسنجر ـ دينيتز الساعة ٨,٣٥ صباحا

دينيتز: فيما يتعلق بمسألة الأردن. الإجابة للأسف هي لا. هناك قوات كثيرة في أرض المعركة ومن الصعوبة منع القوات الأردنية هناك من التصعيد والتورط في القتال.

ك: ولكن هذا يعني أنكم ستهاجمون الأردن؟

د: لا.. لا.. الأمر يعني فقط أننا ننصحهم بعدم نقل الكتيبة إلي هناك. الإجابة هي أننا نعارض تماما تحريك الكتيبة أو الوحدة الأردنية إلي سوريا.

ك: نعم ولكن بالطبع هل تقومون بمهاجمة الأردن إذا تدخلت؟

د: لا يوجد لدي إجابة في هذا الشأن. الأمر هو أن رئيسة الوزراء تلقت نفس السؤال من الملك وطلبت بشكل مباشر عدم القيام بذلك. سأعمل علي توضيح هذا الأمر.

ك: وصلتنا للتو أيضا مناشدة من السادات وهو يقول أنكم تضربون المناطق السكانية المدنية.

د: لا يوجد لدي معلومات بهذا الشأن.

ك: ولكن هل بإمكاني مناشدتكم عدم قيامكم بقصف (المناطق المدنية)؟

د: في مصر؟

ك: نعم.

د: سأتحقق من هذا الأمر.

ك: أنا لا أعتقد أنكم تقومون بهذا الأمر ولكن فقط كنت أريد التأكيد علي نقل الطلب.

كيسنجر ـ نيكسون الساعة ٨,٣٨ صباحا

ك: سيادة الرئيس لقد تحققت للتو من التقارير الواردة لنا كما تحدثت مع الإسرائيليين. الإسرائيليون يواصلون تقدمهم في سوريا علي الرغم من أنهم يواجهون الآن هجمات مضادة قوية كما بدأت الفرقة المدرعة العراقية في الاشتباك معهم.

ن: التقارير التي وردت لنا هنا من السي. أي. ايه تفيد بأن الموقف صعب في هضبة الجولان. وعلي ما يبدو فإنهم يخوضون معركة جيدة هناك.

ك: هذا صحيح. ولكن الإسرائيليين يدعون أنهم يحققون تقدما ويقتربون من هدفهم. من الواضح بالطبع أن كل القتال أصبح أكثر صعوبة مقارنة بما كان عليه الحال من قبل.

كما يبلغ كيسنجر الرئيس الأمريكي بالاتصالات التي قام بها حول الطلب البريطاني بعدم ضرب القوات الأردنية ورفض إسرائيل وكذلك اتصالاته مع الرئيس السادات. وأتفق نيكسون مع وزيره أنه لن يكون من مصلحة إسرائيل فتح جبهة قتال جديدة مع دولة عربية ثالثة. كما أطلعه علي التحركات الدائرة في مجلس الأمن وبدء العمل من أجل تحريك مشروع قرار بريطاني يطالب بوقف إطلاق النار وتمتنع واشنطن وموسكو من التصويت عليه. ويسأل نيكسون عن سبب قرار موسكو بالامتناع عن التصويت:

ك: السبب انه يوجد الآن نوع من التوازن من ناحية أن الإسرائيليين حققوا مكاسب في سوريا بينما خسروا في مصر.

ن: ذلك علي الرغم من أنه من الواضح أنهم لم يحققوا تلك المكاسب في سوريا التي كنا نرغب فيها.

ثم يسأله عن تطورات عملية إمداد إسرائيل بالأسلحة ويوافق معه علي فكرة تأجير طائرات لنقل المعدات ويعرب كيسنجر عن أمله في أن تبدأ هذه العملية في وقت لاحق من نفس اليوم. وفي سؤال مباشر من الرئيس الأمريكي عما إذا كانت إسرائيل تعاني بالفعل من نقص في المعدات قال كيسنجر: "لا. ولكن بالطبع أهم ضمانة لديهم هي وعدك لهم باستبدال المعدات."

ن: الطائرات والدبابات أليس كذلك

ك: نعم وذلك لكي يتمكنوا في التوسع في استخدام ما لديهم لمعرفتهم أنهم سيحصلون علي المزيد.

ن: الخط الذي أدعو له هو ببساطة أننا لن نعلن ما سوف نقوم به ولكن الرئيس قد صرح دائما بأنه من الضروري الحفاظ علي توازن القوي في تلك المنطقة... هل تعتقد أن هذا موقف استفزازي (لإسرائيل)

ك: لا لقد قلنا دائما أننا...

ن: هذا هو ما أعنيه. هذه إشارة للإسرائيليين إلخ. وفيما يتعلق بعملية التدخل (الأمريكي لصالح إسرائيل) هذا أمر غير مطروح مطلقا.

ك: مستحيل.

ن: وفيما يتعلق بعملية المساندة الكبيرة الصريحة لإسرائيل فإن هذا من شأنه أن يؤدي إلي مساندة كبيرة وصريحة من قبل الروس.

ك: كما لن تؤدي إلي تغيير الموقف خلال اليومين أو الثلاثة القادمة وهذه هي الفترة التي نتحدث عنها.

ن: إذن الأمر يتعلق بيومين أو ثلاثة يحقق فيها الإسرائيليون مكسبا علي الجبهة السورية. أليس كذلك

ك: نعم.

وفي الساعة ٨,٤٦ صباحا يتحدث كيسنجر مع مساعده سيسكو والمتحدث باسم الخارجية روبرت ماكلوسكي بشأن الإجابات التي سيتقدم بها سيسكو في شهادته أمام الكونجرس في ذلك اليوم في مواجهة الأسئلة المتوقعة عن عملية إمداد إسرائيل بالأسلحة. ويقول سيسكو انه سيلتزم بما يقوله كيسنجر علنا وهو رفض الخوض في هذه القضية مع التأكيد علي أن ما تركز عليه الولايات المتحدة في هذه المرحلة هو وقف العمليات الحربية. ولكنه يضيف أنه إذا واجه ضغوطا من قبل المشرعين المؤيدين لإسرائيل فإن رده سيبقي غامضا وذلك بالقول "إن سياستنا معروفة في هذا الشأن ولا يوجد لدي معلومات أن هذه السياسة قد تغيرت" وذلك في إشارة إلي التزام الولايات المتحدة بأمن إسرائيل. ويتفق الاثنان علي الالتزام بهذا الخط في تصريحاتهما العامة حيث أنه كان من المقرر أن يعقد كيسنجر أيضا مؤتمرا صحفيا. وفيما يتعلق بموقف الاتحاد السوفيتي ينصح كيسنجر مساعده بأن يقول لأعضاء الكونجرس أن الولايات المتحدة حذرت موسكو من التدخل ولكن ما زال الوقت مبكرا حتي الآن للحكم علي ما إذا كان السوفيت قد تصرفوا بطريقة غير مسئولة.

في الساعة ١٢,٥٥ ظهرا تجري المحادثة التالية بين كيسنجر وهيج الذي يبادره بالسؤال عن مؤتمره الصحفي كما يبلغه بتطور خطير وهو أن الاتحاد السوفيتي فد رفع حالة الاستعداد لثلاثة من فرقه المحمولة جوا.

ك: لقد حاولت أن أكون متوازنا (في المؤتمر الصحفي). ولا شك أن الجالية اليهودية ستغضب من ذلك. أعتقد أن مهمتي هي الحفاظ علي هدوء العرب وكذلك السوفيت في الوقت الذي نعمل فيه علي إبطاء (العملية الدبلوماسية في الأمم المتحدة).

هيج: هل عرفت أن السوفيت رفعوا حالة الاستعداد لثلاث فرق محمولة جوا

ك: سألتقي بدوبرنين علي الغداء. إذا كانوا قد قاموا بذلك فلقد انتهي الأمر.

هيج: هم سيجبروننا علي اتخاذ إجراء مماثل. لا يمكننا تجاهل ذلك.

ك: تماما. إذا قاموا بذلك فسوف نتدخل نحن. سوف أقول ذلك لدوبرنين في الغداء ولكن من الأفضل أن نقوم برفع استعداد بعض وحداتنا نحن أيضًا.

وأثناء تناوله الغداء مع دوبرنين يتلقي كيسنجر مكالمة من أحد أعضاء مجلس الشيوخ والتي يقوم باستغلالها لكي يبين أمام السفير السوفيتي حجم الضغوط التي يتعرض لها من قبل الكونجرس لكي يقدم كافة أشكال المساعدة لإسرائيل. وفي هذه المكالمة يشدد السناتور هيوبرت هامفري (ديمقراطي من ولاية مينيسوتا) علي أهمية ألا تدع الولايات المتحدة "ذلك البلد الصغير الذي استثمرنا فيه كثيرا يتعرض لهزيمة ماحقة". كما يحذره من دور الاتحاد السوفيتي واحتمال أن يقوم بخداع الولايات المتحدة ولما كانت المكالمة بحضور دوبرنين فلقد رد كيسنجر قائلا "إذا كان الروس يقومون بخداعنا فنحن نعرف ما يجب علينا القيام به".

وفي الساعة ٣,١٥ بعد الظهر يتلقي كيسنجر مكالمة من السفير الإسرائيلي دينيتز يعلمه فيها بعدم ممانعة إسرائيل التحرك في التقدم بقرار يدعو لوقف إطلاق النار في مجلس الأمن علي أن يتم ذلك مساء السبت ١٣ أكتوبر ويقول دينيتز "نحن نقبل بهذا الموعد. ولا نرغب في المزيد من التأخير". كما يخطر كيسنجر السفير الإسرائيلي بنتائج اجتماعه مع دوبرنين وتحذير السوفيت لإسرائيل من التقدم نحو دمشق ويقول "إذا قاموا بالتدخل فسوف نضطر للقيام بتحرك درامي... لقد قلت له (دوبرنين) أن ذلك سوف يؤدي إلي تدهور خطير في العلاقات معنا وسوف نقوم بتحرك إذا قاموا بحشد وحدات مقاتلة".

وفي الساعة ٥,٤٠ بعد الظهر يتلقي المكالمة التالية من سليز نجر وزير الدفاع حول تطور عملية الإمداد لإسرائيل.

شليزنجر: لدينا شحنات جاهزة من قطع الغيار بقيمة ٥٠٠ مليون دولار وفقا لما اتفقنا عليه في الاجتماع. (عضو مجلس الشيوخ) جاكسون يريد إمداد إسرائيل بخمسين طائرة فانتوم خلال أربع وعشرين ساعة.

ك: لتخبره بأن (يستخدم لفظا خارجا). أنا لا أمانع الالتزام بتقديم أي مجموعة من المساعدات في إطار المعقول. ما زلت أعتقد أنه يجب علينا البدء في تحريك العملية ولكن ليس بكميات تؤدي إلي تضخيمها إلي درجة كبيرة.

ش: سوف نمضي قدما في تحريك مجموعة المعدات التي اتفقنا عليها والتي تتكون من ثلاثين طائرة سكاي هوك - A 4 و١٦ طائرة فانتوم و١٢٥ دبابة بما في ذلك ٦٥ من طراز M60 وثلاث طائرات هوك مقاتلة وهكذا.

وفي الساعة ٥,٥٠ يجري كيسنجر مكالمة مع مندوبه في الأمم المتحدة سكالي يطالبه فيها بعدم الرد علي التحذيرات السوفيتية مما يسميه عواقب وخيمة في حال إذا ما استمرت إسرائيل في قصف الأهداف المدنية في مصر وسوريا وكذلك السفن والناقلات الروسية.

ويتلقي في الساعة ٥,٥٣ مكالمة من وزير الخارجية الإسرائيلي أبا إيبان والذي يبدو أن الوزير كيسنجر لم يكن يعيره الكثير من الاهتمام ويعتبر أن قناة اتصاله الرئيسية هي مع رئيسة الوزراء مائير مباشرة عبر السفير دينيتز أو نائبه شاليف. وفي هذه المكالمة يطلب أبا إيبان مقابلة كيسنجر ليتشاور معه بشأن قرار وقف إطلاق النار ويحدد معه موعدا في التاسعة من صباح اليوم التالي.

ووسط تصاعد التوتر مع الاتحاد السوفيتي يتلقي كيسنجر في السابعة مساء طلبا عاجلا من نائب رئيس البعثة السوفيتية لترتيب لقاء له مع دوبرنين لأن لديه رسالة "عاجلة" يود توصيلها. وفي هذا اللقاء قدم دوبرنين احتجاجا رسميا علي تعرض السفن السوفيتية للقصف وأعرب عن استعداد الإتحاد السوفيتي "للدفاع عن سفنه ووسائل النقل الأخرى". وقال كيسنجر أنه رفض الاحتجاج وحذر من أن "أي تدخل سوفيتي عسكري وبغض النظر عن السبب - سيتم ردعه.

وفي الساعة ٧,٤٥ يتلقي كيسنجر مكالمة من دينيتز والذي يطلب بدوره عقد لقاء عاجل معه لاطلاعه علي بعض التطورات. ويخبره كيسنجر أن ذلك سيكون صعبا لأنه مرتبط بحضور حفل تنصيب جيرالد فورد كنائب للرئيس بجانب موعده مع دوبرنين. ويخبره دينيتز أن أهم ما لديه هو أن رئيسة الوزراء مائير تأخذ علي محمل الجد التقارير التي وردت عن رفع حالة الاستعداد في ثلاث فرق سوفيتية "وهي تأمل في أن تردوا علي ذلك بقوة". كما يشكو دينيتز من أنه حتي مساء ذلك اليوم لم يبدأ تنفيذ الوعد الأمريكي بإرسال طائرتي فانتوم يوميا وأنه أثار هذا الموضوع مع عدد من أعضاء مجلس الشيوخ. ويؤكد أخيرا عدم ممانعة مائير بدء التحرك في مجلس الأمن "في أي وقت".

ويعاود كيسنجر الاتصال بدينيتز هذه المرة ليطلعه علي نتيجة محادثاته مع دوبرنين وينقل له تحذيرا شديد الأهمية. "لقد تحدثت مع دوبرنين. وكان لديه رسالتان. الأولي احتجاج علي قيامنا بعملية الإمداد. والثانية والتي تحتوي علي تهديد خطير للغاية تتعلق بقيامكم بقصف أهداف مدنية وتهدد أن تل أبيب لن تكون في مأمن إذا استمر ذلك. وقلت له إذا جرت رؤية طائرات سوفيتية تحلق فوق تلك المنطقة فسوف يكون هناك تدخل أمريكي مباشر". ويضيف: "نحن الآن نقوم بتحريك حاملة طائرات من جبل طارق إلي (المنطقة). وإذا ظهر أي أفراد روس أو طائرات أو قوات أرضية في المنطقة فإن الولايات المتحدة سوف تتدخل. أنا لا توجد لدي سلطة لقول ذلك ولا أريد أن يخرج ديان في مؤتمر صحفي ليعلن هذا الموقف". ويشكو دينيتز من أن ما يقوله ديان ليس له صلة بالمحادثات التي تجري بينه وبين كيسنجر في إشارة إلي الانقسام الدائر في الحكومة الإسرائيلية. ويؤكد كيسنجر لدينيتز أنه أثار قضية التدخل الأمريكي مع نيكسون ولكنه لا يرغب في تسريب هذا الموقف في المرحلة الحالية.

٢٦

الإسرائيليون مرعوبون من توقع هجوم كبير للقوات المصرية في سيناء

واشنطن: خالد داوود

الأهرام السبت ١ نوفمبر ٢٠٠٣م - ٧ رمضان ١٤٢٤هـ

تضم هذه الحلقة محادثات هاتفية لكيسنجر مع السفير البريطاني اللورد كرومر حول مشروع القرار الذي جري الاتفاق علي أن يتقدم به الجانب البريطاني إلي مجلس الأمن قبل ان تقرر بريطانيا فجأة التراجع عن تقديمه لأن السادات سيرفضه ثم أجري كيسنجر محادثة مع وزير الدفاع الأمريكي شليزنجر للاتفاق معه علي بدء الجسر الجوي بين الولايات المتحدة وإسرائيل لإمدادها بشكل عاجل بأسلحة تعوضها عما خسرته في حرب أكتوبر علي الجبهتين المصرية والسورية بعد أن أوشكت ذخيرتها علي النفاد، وأصبحت علي اعتاب كارثة محققة.

وفيما بين المحادثتين يصل السفير الاسرائيلي سيمحا دينيتز إلي البيت الأبيض بواشنطن للتأكد من بدء عملية الجسر الجوي الذي يتولي فيه الطيارون الأمريكيون قيادة الطائرات مباشرة الي أرض المعركة.

في الساعة ٩,٣٣ مساء يجري كيسنجر مشاورات هاتفية مع السفير البريطاني اللورد كرومر حول مشروع القرار الذي سيتقدم به البريطانيون في مجلس الأمن. ويطلعه كيسنجر علي الموقف الإسرائيلي ومؤداه الموافقة علي القرار مع إبداء تحفظ أو اثنين. كما ينقل عن السوفيت رغبة مصر في عدم الظهور بموقف الطرف الذي تقدم بطلب وقف إطلاق النار وإن كانت في الغالب سوف تقبل به علي أساس أنه قرار يمثل رغبة المجتمع الدولي من خلال مجلس الأمن. كذلك يعرب كيسنجر عن اعتقاده أن القتال سيتواصل حتي يتم تمرير القرار في مجلس الأمن.

وبينما كان كيسنجر ينتظر قرار لندن بشأن التقدم بمشروع قرار وقف إطلاق النار وصل دينيتز إلي البيت الأبيض في الساعة ١١,٢٠ مساء وجري حوار حول عملية الإمداد انتهي بقرار البدء في جسر جوي تقوده القوات الأمريكية. كما أكد دينيتز رغبة بلاده في الحصول علي قرار بوقف إطلاق النار بناء علي الوضع القائم علي الأرض. وفي نفس الوقت يلحظ كيسنجر أن إسرائيل لم تتمكن من تحقيق التقدم المطلوب علي الجبهة السورية ولكن دينيتز يبرر ذلك بعدم وصول الإمدادات الأمريكية بالكميات الموعودة.

وفي الساعة ١١,٤٥ مساء يجري مكالمة مع وزير الدفاع شليزنجر يتفق الاثنان فيها علي ضرورة البدء في عملية الإمداد الجوي.

ك: لقد انتهيت للتو من اجتماع عاجل مع دينيتز الذي يقول أنهم بدأوا يعانون من نقص ملحوظ في الذخيرة. ولقد بنوا استراتيجيتهم علي أساس أنهم سيحصلون علي بديل للذخائر التي استهلكوها بحلول هذا الأسبوع كما وعدهم الرئيس يوم الثلاثاء ٩ أكتوبر وهم قد اوقفوا هجومهم علي سوريا لأنهم لا يمكنهم التحرك بسبب قلة الإمدادات. ولقد قام المصريون بنقل المدفعية إلي الجانب الآخر ويقول الإسرائيليون إن هناك خطرا حقيقيا من هجوم كبير في سيناء. وهذا صحيح. لقد قدمنا لهم ضمانات.

وبعد أن يبدي كيسنجر ضيقه الشديد من تعقيدات عملية استئجار طائرات خاصة لنقل المعدات لإسرائيل يقول شليزنجر: "بإمكاننا أن نقول للطائرات الأمريكية أن تبدأ في إمدادهم بكل ما يحتاجون له". ثم يسأله عن تقدير الإسرائيليين للفترة التي سينفد خلالها مخزونهم من المعدات.

ك: "إنها تنفد الآن. لقد أوقفوا هجومهم. وهم الآن يواجهون مشاكل كبيرة في سيناء. وأنا أقول ذلك علي أساس اتصال من رئيسة الوزراء إلي الرئيس. وأنت تعرف أنه ربما يكون ذلك غير حقيقي ولكن ستكون مسئولية كبيرة تحمل ذلك (لو اتضح لاحقا أن الادعاءات الإسرائيلية صحيحة).

ش: إذا بدأنا في الضغط علي (العسكريين في وزارة الدفاع) أعتقد أن بإمكاننا تجميع عدد صغير من الطائرات غدا. ولكنني أعتقد أنك إذا أردت القيام بشيء فمن الأفضل أن ندع ١٠ طائرات أمريكية تتوجه مباشرة إلي هناك.

ك: سيجب علي مناقشة ذلك مع الرئيس.

ش: دعني أنظر فيما يمكننا القيام به. بإمكاننا تحميل تلك الطائرات العشر أو الـ ١٢ من طراز130 - C (طائرات نقل ضخمة) التي كنا ننوي منحها لهم وتوجيهها مباشرة إلي هناك.

ك: ولكن هل ستخبر الجنرال جوردون سامر (الضابط في وزارة الدفاع المسئول عن عملية إعادة الإمداد) أن يحرك مؤخرته من أجل المسيح. ولكن إذا وقعت كارثة فسوف يكون هناك حساب. من وجهة نظرنا نحن نحتاج إلي استمرار الهجوم الإسرائيلي. إذا اضطر الإسرائيليون للركوع علي ركبهم غدا مساء فلن نتمكن من...

ش: ولكن يا هنري كان من المفيد لو أطلعونا مسبقا أن ذخيرتهم علي وشك النفاذ.

ك: ولكن من ناحية أخري يجب علي أن أقول إننا ظللنا نخبرهم كل يوم أن هذه الإمدادات علي وشك الوصول. لم يمر يوم لم نقل فيه أنهم سيحصلون علي عشرين طائرة في الصباح ولم يحصلوا عليها في المساء. إن مجهودنا الدبلوماسي سيتهاوي لو بدوا (الإسرائيليون) في موقف ضعيف. وسننجح فقط لو بدا أنهم يكسبون وليس إذا بدا أنهم يخسرون.

ش: حسنا. أول ما سنقوم به هو تجهيز الطائرات ال 130 - C المحملة بالذخائر. هل تريد طيارين أمريكيين يقومون بقيادة الطائرات؟ لا أري شخصيا أي سبب لعدم القيام بذلك.

ك: لم أفكر في هذا الأمر مطلقا من وجهة النظر هذه. لماذا لا تناقش الأمر مع ملحقهم العسكري

ش: حسنا.. جيد للغاية.

ويصف الدكتور كيسنجر يوم ١٣ أكتوبر بأنه يمثل نقطة تحول مهمة في مسار الحرب وذلك لسببين: الأول البدء في الجسر الجوي الأمريكي لإسرائيل من طائرات ومعدات ثقيلة وذخائر والتوصل لقرار نهائي بأن يتولي الطيارون الأمريكيون قيادة الطائرات مباشرة إلي أرض المعركة. والثاني تداعي الاقتراح السوفيتي الذي كان يتعمد هو شخصيا تعطيله حتي تتمكن إسرائيل من تحسين موقفها العسكري والقائم علي التقدم بمشروع قرار إلي مجلس الأمن يدعو إلي وقف إطلاق النار علي أن يتقدم طرف ثالث بالمشروع (بريطانيا) وتمتنع القوتان العظميان عن التصويت عليه بينما تقبله مصر وإسرائيل. ولكن بريطانيا تراجعت عن التقدم بالمشروع بعد أن تلقت معلومات أن الرئيس الراحل أنور السادات سوف يرفضه وعندما اقترح كيسنجر أن تتقدم استراليا بدلا من لندن بالقرار إلي مجلس الأمن رفضت موسكو الاقتراح. وكان تفسير كيسنجر لفشل هذه المحاولة أن السادات كان ينوي القيام بهجوم كبير في سيناء لتخفيف الضغط علي الجبهة السورية وأنه هو الذي طلب من السوفيت التخلي عن مشروع طلب وقف إطلاق النار. ولكن في نفس الوقت رأي كيسنجر في هذا التطور فرصة ذهبية لكي يقوم بأمرين: مهاجمة الاتحاد السوفيتي واتهامه بخداع واشنطن لكي يقوم بإمداد الدول العربية بالسلاح وفي نفس الوقت استغلال تراجع مشروع وقف إطلاق النار لتبرير الجسر الجوي الضخم الذي كان علي وشك البدء في مواجهة رأي عام عربي غاضب كان متوقعا. ويقر كيسنجر في محادثاته في هذا اليوم أن قرار مد إسرائيل بالأسلحة عبر جسر جوي كان قد

اتخذ بالفعل خاصة بعد أن بدأت تشكو من أن ذخيرتها قد أوشكت علي النفاد وبدت علي أعتاب كارثة محققة وأن تهديده للسوفيت ببدء الجسر كان مجرد استغلال للموقف الجديد.

***

في الواحدة من صباح ١٣ أكتوبر يتلقي كيسنجر مكالمة من وزير الدفاع شليزنجر تتناول مجددا المصاعب التي تواجه عملية الإمداد. وبينما يدافع كيسنجر عن وجهة النظر الإسرائيلية القلقة من عملية التأخير يتهم شليزنجر الإسرائيليين بالمبالغة وأن الأمر برمته لم يتجاوز ٤٨ ساعة. ويتفق الاثنان علي الإسراع في عملية نقل المعدات التي ستقوم بها عشر طائرات أمريكية ضخمة من طراز 130 - C وأن يقوم كيسنجر بالاتصال بالبرتغال لضمان الحصول علي موافقتها لاستخدام القاعدة الأمريكية في جزر الأزور للتزود بالوقود.

شليزنجر: ولكن من غير المعقول يا هنري أن تكون ذخيرتهم قد نفدت فجأة بهذه البساطة. من المستحيل أنهم لم يكونوا علي دراية بمخزونهم ثم فجأة ينتهي.

ك: انظر.. من الواضح أنهم ارتكبوا أخطاء في كل هجوم قاموا به. وهم ليسوا علي وشك الاستعداد لتحمل المسئولية بأنفسهم. ولا يوجد لدي شك أنهم يلوموننا نحن علي ما حققوه من فشل.

شليزنجر: صحيح.

ك: ولكن من سيصدقنا إذا قلنا ذلك هنا. وعليك أن تخبر نائب الوزير (الدفاع) الذي يشيع أنني أدفع السعوديين إلي حافة الجنون.. إن لدي وعدا من وزير الخارجية السعودية...

ش: لقد قلت لهم ذلك في السادسة من مساء اليوم ويبدو أن ذلك أراحه. لقد طلبت مني ذلك من قبل وهو يقول إنه يتمني أن تسير الأمور بهذه الطريقة.

ك: قد لا تسير بهذه الطريقة ولكن الطريقة الوحيدة التي ستنجح هو أن نحصل علي نهاية سريعة لهذه الحرب وأن تكون في يدنا كل القطع في مكانها الصحيح. ولكننا نحتاج إلي هجوم إسرائيلي.

ش: حسنا يا هنري إذا كان لديهم ما يكفي من الذخيرة حتي الغد فإنه بإمكاننا أن نوصل لهم الذخيرة بحلول مساء الغد. ولكن يجب علينا أن نعرف أولا موقف مخزونهم من الأسلحة.

ك: سأقوم بكل ما في وسعي لكي يواصلوا عبر الغد وذلك لكي لا يكونوا في هذا الموقف بينما الأمر يتحول إلي مجلس الأمن.

ش: إن هذا الأمر مدهش بالنسبة لي. لقد كنت جالسا معهم من الساعة ٥,٣٠ حتي الساعة ٦,٣٠ ولم يشيروا ببساطة إلي مشاكل في الذخيرة ولم يتناولوا أي موضوع له صلة بهذه القضية. كل ما تحدثوا عنه هو توفير المعدات وحاجتهم للحصول عليها خلال يومين.

ك: هم مرعوبون الآن أو يدعون أنهم مرعوبون من هجوم مصري في سيناء.

ش: إن هذا تخطيط غير معقول من طرفهم.

ك: انظر.. من الواضح أنهم أساءوا التقدير.

ش: دعني أحدد موقفهم من ناحية المخزون. كان لدينا انطباع أن لديهم ما يكفيهم لمدة١٥ يوما.

ك: أراهنك أنك تحسب ما لديهم من مخزون علي أساس تجربتهم في حرب الأيام الستة.

ش: قد يكون الأمر كذلك.

ك: أراهنك أنهم لم يستهلكوا في حرب الأيام الستة بأكملها ما استهلكوه في يوم واحد في هذا الهجوم.

ش: قد يكون الأمر كذلك إلي حد كبير يا هنري. ولكن إن عاجلا أم آجلا كان بإمكانهم أن يأتوا لنا ويخبرونا بمشكلتهم.

ك: كان سيجب عليهم مواجهة أنفسهم. ولكن يجب أن أقول دفاعا عنهم ليس فيما يتعلق بالطائرات لأننا لم نتفق في هذا الشأن - ولكن فيما يتعلق بالأمور الأخري لقد قلنا لهم مرارا أنهم سيحصلون علي ما يستهلكونه في الحرب وأنهم يجب عليهم القتال علي هذا الأساس.

ش: صحيح ولكنهم لم يقولوا لنا أن مخزونهم بدأ ينفد.

ك: وذلك لأنك تعرف ما حدث كما أعرف أنا. هؤلاء الناس أخطأوا في كل مرة. إنهم ما زالوا يعيشون في أجواء حرب يونيو ١٩٦٧ طوال أمس كانوا يقولون لي إنهم في طريقهم إلي دمشق وأنهم سيقفون علي مشارفها. وصباح اليوم قالوا لي إنهم سيستخدمون المواصلات العامة (السورية) إذا استطاعوا. والآن من الواضح أنهم غير قادرين علي ذلك.

ش: حسنا.

ك: لا يوجد شك أنهم يتحملون ثمانين في المائة من اللوم. ولكن هذا لن يفيدني بشئ مساء الغد. وأنت تعرف أنه لا بد من الحفاظ عليهم كطرف قوي بينما تتطور الأمور (في مجلس الأمن)

وبجانب طائرات النقل العشر التي اتفق عليها كيسنجر وشليزنجر طالب وزير الخارجية الأمريكي السابق وزير الدفاع "بلي ذراع" شركات الطيران الخاصة للمشاركة في عملية النقل وضرورة تحذيرهم من أنهم "لن يحصلوا علي عقد واحد من عقود وزارة الدفاع" إذا تمسكوا بموقفهم.

وفور أن ينهي كيسنجر مكالمته مع شليزنجر يجري اتصالا مع دينيتز في الساعة ١,٠٣ صباحا ويخبره فيه بالخطة الأمريكية التي تقوم علي ثلاثة محاور: إمدادهم بعشر طائرات نقل130 - C محملة بالذخائر (ويطلب منه البحث في إمكانية الاستعانة بطيارين إسرائيليين لقيادة الطائرات من جزر الأزور)، إجبار شركات الطيران الخاصة علي المساهمة في عملية النقل بنحو عشرين طائرة وثالثا تزويد طائرات شركة العال المرابطة في جزر الأزور بالمعدات والذخائر. وينصح كيسنجر دينيتز بعدم التوقف عن القتال في اليوم التالي وأن ذلك "سيكون كارثة" مع البدء في تحريك مشروع وقف إطلاق النار في مجلس الأمن.

ويقول كيسنجر إنه سرعان ما اكتشف في ذلك اليوم الذي وصفه بنقطة التحول أن الضغوط المطلوب منه أن يمارسها لإجبار شركات الطيران الخاصة علي المساهمة في عملية الإمداد تساوي الضغوط المطلوبة للقيام بجسر جوي مباشر. وعلي هذا الأساس أمر هو ووزير الدفاع بأن تتوجه طائرات 130 - C مباشرة إلي إسرائيل بقيادة طيارين أمريكيين. وفي صباح الثالث عشر من أكتوبر أمر نيكسون بأن تتوجه طائرات أخري عملاقة من طراز 5 - C مباشرة إلي إسرائيل "وبحلول صباح اليوم التالي أصبحت عملية الجسر الجوي أمريكية خالصة".

وفي ٩,٣٧ صباحا يبدأ كيسنجر جولة جديدة من المكالمات مع السفير السوفيتي دوبرنين والمسئولين البريطانيين ليكتشف تداعي المبادرة الروسية بتقديم مشروع قرار لوقف إطلاق النار في مجلس الأمن والذي عمد هو شخصيا إلي تعطيله علي مدي اليومين الماضيين.

ك: لم أسمع من البريطانيين بعد سأقوم بالاتصال بوزير الخارجية سير أليك دوجلاس هيوم. لقد اتفقنا أن يتم طرح مشروع القرار اليوم. إذا لم يقوموا بذلك فربما يجب أن نحاول مع الاستراليين.

دوبرنين: حسنا.

ك: الأمر الثاني لقد وصلتنا للتو تقارير تفيد بأن المصريين يخططون لإنزال فرق محمولة جوا في سيناء. يجب علينا جميعا أن نضع في الاعتبار أنه إذا أتضح أن في الأمر خداعا فإن هذا سوف يؤثر علي الأمور.

د: أنا لا أعرف شيئا عن سيناء بالفعل.

وفي الساعة ٩,٣٨ يتحدث كيسنجر مع لورد هيوم وزير خارجية بريطانيا حيث تتضح للمرة الأولي بوادر التراجع البريطاني:

هيوم: هل رأيت أو أطلعك الإسرائيليون علي ما قاله السادات أمس السادات قال إن القبول بوقف إطلاق النار علي ما هو عليه الوضع الآن قد يكون ممكنا ولكن يجب أن يحصلوا علي موافقة إسرائيل علي العودة إلي خطوط ١٩٦٧. ولقد كرروا شرطهم الوحيد. لقد أرسلت سفيرنا في القاهرة لرؤيته. وقلت علي افتراض أننا اقترحنا وقفا فوريا لإطلاق النار يليه استقدام قوة دولية ثم يليها فورا مؤتمر أو مبادرة دولية من قبل الأمين العام. هل سوف يروق له ذلك؟

ك: لا يمكننا التعاون في هذا الأمر. نحن غير مستعدين لذلك. كنا نعتقد أنه سيوافق إلا إذا كان قد تم خداعنا تماما. نعتقد أن الأمر الآخر سينجح (أن يتقدم طرف ثالث بمشروع قرار) مادام أنه سيكون بمقدورهم (مصر) القول أنهم يستجيبون لنداء طرف ما.

هيوم: وماذا لو رفض السادات اقتراحنا

ك: نكون قد وصلنا لحالة جمود.

هيوم: وفي هذه الحالة سنكون في موقف أسوأ مما كان عليه الحال. سنكون قد خسرنا أي قدرة علي القيام بتحرك. يبدو لي أنهم سيرفضون هذا الأمر.

ك: هل هذا ما تعتقد لقد أخبرني آخرون أنه سيوافق.

هيوم: هل أخبرك الروس بذلك

ك: لا أري سببا لأن يقولوا ذلك وهم لا يعنونه. ماذا سوف يكسبون لقد كرروا ذلك منذ أقل من ساعة.

هيوم: إن السادات رافض وفقا لمصادرنا. هناك تناقض في التقارير ما لم يكن الروس علي استعداد للضغط علي السادات. هل سيوافقون علي ذلك؟

ك: إن انطباعي هو أنهم خدعونا في هذا الأمر وسوف يدفعون الثمن من خلال مجمل علاقتنا. يجب أن يخسروا جميعا.

هيوم: سوف أتحدث مع تيد (رئيس الوزراء إدوارد هيث) وأعاود الاتصال بك. ولكن اعتقد أننا سنفقد مصداقيتنا بالكامل لو تقدمنا بمبادرة علنية ثم فشلنا في الحصول عليها.... دعني أفكر في الأمر وخلال ثلاث ساعات سيصلني تقرير آخر من سفيرنا الذي سيلتقي السادات.

ك: لن تحصل علي موافقة مسبقة من السادات.

هيوم: لا. ولكن بفرض أن روسيا ضغطت عليه ممكن أن يوافق. لن يكون ذلك موقفا سعيدا. دعني أفكر في الأمر وإذا ما كان يستحق.

ك: إذا استمر الأمر بهذه الطريقة فإنه سيجب علينا إرسال جسر جوي ضخم إلي هناك.

هيوم: ما هو موقف المعركة

ك: الإسرائيليون يقولون أنهم تمكنوا من هزيمة القوات العراقية (في سوريا) وأتوقع منهم أن يتجهوا نحو سيناء. اليوم بدأنا الطيران إلي إسرائيل وهو أمر خطير للغاية.

هيوم: دعني أتصل بك خلال ثلاث ساعات.

وفي ٩,٥٠ صباحا يجري كيسنجر مكالمة مع دوبرنين ينقل له فيها الموقف البريطاني المتراجع عن التقدم بمشروع القرار بينما يبقي السفير الروسي متمسكا بموقفه أن بلاده ستقوم بالامتناع عن التصويت ويطالب الولايات المتحدة باتخاذ نفس الموقف ويناقش معه إمكانية تقدم استراليا بالاقتراح بدلا من بريطانيا.

وفي الساعة ١٠,١٥ صباحا يتحدث كيسنجر مع سكوكروفت ليسأل عن المسئول الذي حاول تعطيل عملية الجسر الجوي بحجة أن الولايات المتحدة تحتاج لإذن لإعادة التزود بالوقوف في جزر الأزور. وعندما ينفي سكوكروفت ضرورة الحصول علي هذا الإذن يصر كيسنجر علي ضرورة "معرفة اسم الشخص الذي يخترع هذه المعوقات وإزاحته من منصبه فورا".

وفي الساعة ١٠,٣٠ صباحا يتلقي كيسنجر مكالمة من اللورد كرومر السفير البريطاني لدي واشنطن ليسأله عن محادثته مع الوزير هيوم.

ك: لقد كانت غير مرضية لأنكم الآن تتفاوضون بشكل منفصل مع المصريين. لقد تحدثت مع دوبرنين بعد مكالمتي مع هيوم وهو يقول إن لديك سوء فهم للموقف وأنكم تعتقدون أن هناك خدعة سوفيتية معينة.

كرومر: أنا أفهم ما تتحدث عنه بالطبع.

ك: ما قررناه هو أنه مادام أنكم ما زلتم تتراقصون (لم تحددوا موقفكم) فإننا لن نقبل بأي قرار سوي ما اقترحناه. إنكم تحاولون إثارة أفكار من قبيل قوة حفظ سلام أو مؤتمر سلام ولكننا سنمارس حق النقض (في مواجهة مثل هذا المشروع). إنه معقد للغاية. إذا لم تغيروا موقفكم فسوف نحاول مع فرنسا أو أستراليا.

كر: لا أعتقد أن ذلك سيؤدي إلي فارق كبير. لا أعتقد أنهم سيعملون بشكل أفضل.

ك: ربما ليس مع فرنسا ولكن ربما مع الاستراليين. ولكن دعني أقول لك بأمانة إذا لم أتمكن من تقديم مشروع القرار فإننا سنضخ معداتنا وسنري (ما ينتهي إليه الحال) عندما تنتهي المعركة.

ويقر كيسنجر هنا في ملحوظة منه بأن "التهديد بالقيام بعملية إمداد ضخمة كان غير حقيقي إلي حد ما وذلك لأن الجسر الجوي كان قد بدأ بالفعل إلي أقصي درجة. وكان الهدف هو ألا يبدو كاستفزاز لردود الأفعال من قبل الدول العربية المعتدلة والسوفيت والأوروبيين".

٢٧

واشنطن وموسكو تسيران بشكل واضح نحو التصادم

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الأحد ٢ نوفمبر ٢٠٠٣م - ٨ رمضان ١٤٢٤هـ

علي إثر التطورات التي جرت يوم الثالث عشر من أكتوبر أصبح كيسنجر مضطرا لتبني استراتيجية جديدة. ويقول وزير الخارجية السابق أن الدبلوماسية الأمريكية كانت قائمة حتي ذلك اليوم علي مسارين: الأول إعادة تزويد إسرائيل بالسلاح والثاني العمل من خلال دبلوماسية الأمم المتحدة للتوصل إلي قرار بوقف إطلاق النار. "وكنا مستعدين بناء علي اتفاق مع إسرائيل أن نمتنع عن التصويت علي قرار يدعو لوقف إطلاق النار علي ما هو عليه الحال طالما أن المكاسب الإسرائيلية في الجولان كانت تتوازن مع المكاسب المصرية في سيناء وذلك لكي تتركز المفاوضات اللاحقة علي العودة إلي خطوط ما قبل اندلاع القتال وهو ما كنا نطالب به منذ البداية. وكنا قد بدأنا الجسر قبل البدء في المفاوضات من أجل تحسين موقعنا التفاوضي ولتقوية يدنا في مواجهة مستمرة إذا فشلت المفاوضات وذلك علي الرغم من أننا استخدمنا فشل مبادرة وقف إطلاق النار كمبرر للتخفيف من ردود الفعل المحتملة من العالم العربي والاتحاد السوفيتي".

في الساعة ١٢,٣٢ ظهرا يتصل كيسنجر بالسفير الاسرائيلي دينيتز

ك: هناك عدد من الأمور. سوف نقوم بنقل ثلاث طائراتC - 5A اليوم.

دينيتز: الطائرات الضخمة التي تحمل ستين طنا

ك: نعم. وسوف نقوم بنقلها عبر القاعدة البرتغالية (... كلمات حذفها مجلس الأمن القومي) كما سننقل ثلاث طائرات أخري علي الأقل من طراز C - 141 والموجودة في الأزور إلي إسرائيل وقررنا زيادة عدد طائرات الفانتوم إلي ١٤. وسوف تصل (الفانتوم) مساء الاثنين ١٥ أكتوبر

ثم يشكو كيسنجر شخصيا من الهجمات التي يتعرض لها من قبل عدد من أعضاء مجلس الشيوخ الذين يتهمون إدارة نيكسون بأنها لا تقوم بما يكفي لمساعدة إسرائيل بل وهددوا بالبدء في إجراء تحقيق ويهدد السفير الإسرائيلي بوضوح أنه "إذا وصلتني المزيد من التهديدات من قبل أي طرف فإنني سوف أنسحب من عملية الإمداد. وعلي الرغم من كل صداقتنا فإنني لن أقف بجانبها". ويشدد دينيتز أنه ليس له علاقة بالأمر وأنه يؤكد في محادثاته مع أعضاء الكونجرس أنه "لا يوجد صديق لإسرائيل أفضل من كيسنجر". كما يؤكد كيسنجر ثقته هذه المرة بقيام عشرين طائرة تابعة لشركات خاصة استأجرتها الحكومة الأمريكية في المساهمة في عملية النقل.

وفي الساعة ١,٣٠ بعد الظهر يتلقي كيسنجر مكالمة من الأمين العام للأمم المتحدة فالدهايم يؤكد له من خلالها شعوره بتهاوي مشروع وقف إطلاق النار حيث نقل فالدهايم عن وزير الخارجية المصرية الزيات قوله إن مصر علي استعداد للقبول بالمشروع ولكن بشرط تعهد إسرائيل بالانسحاب إلي حدود ١٩٦٧ وهو ما اعتبره كيسنجر أمرًا مرفوضًا.

فالدهايم: لقد قلت لهم ذلك (المصريون). لا توجد فرصة للحصول علي ذلك. ولكني أردت اطلاعك علي الموقف لأنه (الزيات) أشار إلي عدة نقاط. النقطة الأولي الالتزام بالانسحاب لخطوط٤ يونيو. النقطة الثانية أن هذا الالتزام يمكن

أن يقدم بالتأكيد من خلال الولايات المتحدة. ثم ثالثا سيقدم التزام مصري بوجود قوات دولية في شرم الشيخ وفي مناطق عازلة. وفيما يتعلق بالجولان فإن القوات الدولية توجد ليس في المنطقة بأكملها ولكن علي طول الحدود السورية. كما قال أنه سيقبل بمؤتمر دولي لمناقشة التفاصيل. ولكن لا بد من التوصل إلي ترتيب ما بشأن الفلسطينيين الذين يجب عليهم المشاركة في مثل هذا المؤتمر. أنا بالطبع أعي تماما أن النقطة الأولي تحديدا غير مقبولة لإسرائيل (الانسحاب لحدود يونيو ٦٧) لأنني تحدثت مع أبا إيبان اليوم السابق. ولقد قلت له (الزيات) أن النقطة الأولي في تقديري لن تكون مقبولة لإسرائيل. ولكنه قال لماذا لا نكون أكثر مرونة مادام الموقف العسكري في صالحنا.

ك: نعم

ف: من الواضح أنهم يشعرون بالقوة من الناحية العسكرية ويعتقدون أن بإمكانهم الاحتفاظ بما حصلوا عليه علي الجبهة الشرقية لقناة السويس ولا يريدون أن يكونوا أكثر مرونة.

ويعده كيسنجر بالاتصال به مجددا بعد أن يتوافر لديه المزيد من التفاصيل حول الموقف الروسي.

...

ولم تمض دقائق حتي تلقي اتصالا من دوبرنين يعلمه فيه أن موسكو ترفض فكرة تقدم استراليا بمشروع القرار وهو ما اعتبره تخليا روسيا عن مشروع قرار وقف اطلاق النار بناء علي طلب السادات. ويثير كيسنجر مجددا في هذه المكالمة قضية الجسر الجوي السوفيتي للدول العربية.

ك: ما زلت أري أن الجسر الجوي مستمر اليوم.

د: بنفس المعدل.

ك: حتي الآن ١٠٥ طائرات.

د: هل تعني منذ البداية

ك: هذه كمية هائلة.

د: أنا لا أعرف الأرقام ولكن...

ك: نحن نقترب من نقطة نجد أنفسنا فيها مضطرين للقيام بشيء وهو ما لم نقم به بالكامل بعد. ما أعنيه أننا محاصرون من قبل أعضاء في مجلس الشيوخ يصرخون ويزعقون. أتمني أن تفهم موسكو ذلك. إنني أقول ذلك كصديق. إذا تلاعبتم بنا فسيجب علينا القيام بشيء مع الأسف. يجب عليكم ألا تحاولوا الحصول علي انتصارات سهلة. وأنت تعرف عموما أنه لا توجد انتصارات سهلة.

وفي الساعة ٣,٣٥ بعد الظهر يتلقي كيسنجر مكالمة من وزير الخارجية البريطاني يعلمه فيها رسميا بقرار لندن عدم التقدم بمشروع القرار في مجلس الأمن وذلك لقناعته بأن الرئيس السادات لن يقبله وأنه أبلغهم أنه لو قام الروس بالضغط عليه لقبول القرار فإنه سيسعي للحصول علي موافقة الصين لممارسة حق النقض. أما كيسنجر فيعرب عن قلقه من تأثير تطورات الأحداث علي العلاقات مع روسيا والتي قد تقودنا إلي مواجهة.

هنا يتساءل كيسنجر عن مبررات الدبلوماسية السوفيتية التي قال أنه كان من الصعب تفسيرها وسبب تقدم موسكو باقتراح وقف إطلاق النار إذا كانت علي معرفة بأن السادات لن يقبل به. ولكنه يخلص في النهاية إلي أنه مهما كانت مبررات الدبلوماسية السوفيتية "فإنها سمحت لنا بتقديم الجسر الجوي علي أنه رد علي استفزاز وكذلك تصعيده للإسراع في الحصول علي نتيجة عسكرية."

وفي الرابعة عصرا يجري كيسنجر مكالمة مع دوبرنين يخبره فيها بقرار البريطانيين عدم التقدم بمشروع القرار ويتبادلان الاتهامات عن الطرف المسئول عن هذه الأزمة. ففي الوقت الذي يتهم كيسنجر موسكو بخداعه فإن دوبرنين يذكره بأنه هو الذي عطل مشروع القرار لمدة يومين وأنه لو كان أعطاه إجابة في العاشر من أكتوبر لكان قد تم تمرير القرار وامتنعت الدولتان عن التصويت. ويتحجج كيسنجر بأنه كان يحتاج الوقت للعثور علي طرف ثالث يتقدم بمشروع القرار كما طلبت موسكو. وعندما يسأله دوبرنين عن الخطوة القادمة يرد قائلا: "لن نقوم بأي شيء الآن.. سوف ننفض يدنا وندع الطبيعة تأخذ مجراها".

ولكن عند هذه النقطة تبدأ ملامح تصاعد الأزمة مع موسكو ويجري كيسنجر مكالمة في الساعة ٤,٠٥ بعد الظهر مع سكوكروفت تعكس بشكل واضح الاستعداد لمواجهة.

ك: كما فهمت هناك الآن ١٥ طائرة 141 - C وثلاثة 5 - C في الطريق. البرتغاليون وافقوا الآن علي استخدام القواعد في الأزور. يجب أن نبدأ بكامل طاقتنا. وفي نفس الوقت لتسأل كم من الوقت نحتاج لتجهيز الفرقة ٨٢ المحمولة جوا

س: بالطبع.

ك: لا لشيء. ولكن أعتقد أن أولئك الأنذال (السوفيت) يفهمون فقط لغة القوة.

س: لقد كنت أتحدث مع دينيتز وهو سعيد للغاية بأن الأشياء في الطريق.

ك: هل تقوم بتحميل السفينتين

س: هناك واحدة في بوسطن الآن ولقد تم الانتهاء من تحميلها تقريبا.

ك: لتعمل علي تحريك هذه.

س: والسفينة الثانية ستصل يوم ١٥ أكتوبر.

ك: إذا أرادوا اللعب فسوف نلعب.

س: أعتقد أنه في ظل الظروف الحالية لا يوجد أمامنا بديل آخر.

ك: ربما كان المصريون علي استعداد للقبول بالأمر (وقف إطلاق النار). لقد قلت لدوبرنين أنهم كانوا يماطلوننا لكي يكسبوا وقتا. وهو قال لي أنهم يعتقدون أننا نحن الذين كنا نقوم بمماطلتهم لكي يتم الهجوم علي سوريا.

كما يتحدث كيسنجر مع وزير الدفاع شليزنجر ليطلعه علي فشل المبادرة الدبلوماسية ويحذره من أن ذلك قد يؤدي إلي "وضع مواجهة مع السوفيت". كما يطلعه علي تقرير بلغه من إسرائيل يفيد بان الفرقة المصرية المدرعة ٢١ عبرت القناة مما يشير إلي توجه المصريين للقيام بهجوم. وفي نفس الوقت يؤكد شليزنجر لكيسنجر أن خطة الإمداد تسير علي ما يرام وأن الطائرات الأمريكية ستتجه مباشرة إلي تل أبيب من قواعدها في جزر الأزور.

وفي الساعة ٤,٢٥ بعد الظهر يجري كيسنجر مكالمة مع دوبرنين ليخطره فيها بشكل غير مباشر بأن الولايات المتحدة قررت البدء في جسر جوي ضخم إلي إسرائيل ويبرر ذلك بفشل المبادرة للتقدم بقرار لوقف إطلاق النار في مجلس الأمن.

ك: أناتولي.. لقد تحدثت للتو مع الرئيس وطلب مني أن أبلغك أنه في ظل هذه الظروف فإنه لن يكون بإمكانه الالتزام بالقيود التي أبلغتك بها أمس والمتعلقة بـ (عدم) استخدام طائرات أمريكية.

د: في ظل أي ظروف

ك: الخطة التي اتفقنا عليها لم تنفذ لأننا لم نكن نعرف المشاعر الحقيقية للمصريين. إننا علي استعداد للتوقف عن إمداداتنا الجوية إلي إسرائيل إذا توقفتم أنتم.

د: سوف أرسل هذه المعلومات علي الفور.

ك: وبالتالي ما أخبرتك عنه أمس (بشأن عدم استخدام الطائرات الأمريكية في عمليات نقل السلاح إلي إسرائيل) لن يكون صحيحا بعد ساعة من الآن.

د: ألا تريدون الانتظار ولو لمدة ساعة واحدة

ك: بإمكاننا دائما وقفه (الجسر الجوي). وفي كل الأحوال فإنه لن يكون ضخما بمثل هذه السرعة.

ثم يتحدث مع السفير البريطاني اللورد كرومر ليبلغه استياء الرئيس نيكسون من تراجع البريطانيين وحقيقة أنه "في كل الأزمات التي واجهتنا علي مدي السنوات الثلاث الأخيرة لا يبدو أننا قادرون علي الاتفاق". ويرد كرومر بطريقة انجليزية لبقة: "إن زبائننا مختلفون نسبيا ولكن أهدافنا واحدة" وذلك في إشارة واضحة إلي اهتمام كيسنجر الأولي بإسرائيل. كما يخطر كيسنجر السفير البريطاني بقرار واشنطن البدء في الجسر الجوي لإسرائيل ومخاوفه أن يؤدي ذلك إلي مواجهة مع السوفيت. ولأول مرة منذ بدء الأزمة يطرح السفير البريطاني علي كيسنجر احتمال أن يقوم العرب باستخدام سلاح النفط كذلك في مواجهة التحرك الأمريكي ويسأله عن رد فعله في تلك الحالة. ويأتي رده مباشرا: "سنعتبر ذلك تحديا". ويضيف في تبريره للجسر الجوي: "لا يوجد لدينا خيار".

وفي الساعة ٥,٢٥ مساء يعود كيسنجر لإجراء مكالمة قصيرة مع السفير البريطاني كرومر يطلب منه أن يأتي للقائه بسرعة لأن لديه تقريرا من المخابرات لا أريد قراءته عبر الهاتف ولكنها تؤيد أنه لم يتم الكذب علينا (من قبل الروس.)".

وفي الساعة ٦,٤٥ مساء تجري المكالمة التالية بين كيسنجر وسكوكروفت:

سكوكروفت: حاملة طائرات الهليكوبتر ستغادر يوم الاثنين ١٥ أكتوبر، وفي نفس الوقت فإني أعتقد أن الأخبار الخاصة (برفع حالة الاستعداد في) الفرقة ٨٢ لا يجب ألا تخرج في نفس الوقت الذي تتم فيه عملية الإمداد.

ك: لا أريد حدوث ذلك. الآن سوف يبدأ تساقط الغبار.

س: هذا أمر سيىء للغاية.

ك: لقد استخدمت الرفض البريطاني مع روسيا لتبرير الجسر الجوي وأنت تعرف أننا كنا سنقوم به في جميع الأحوال.

س: هذا صحيح.. لنري.. الطائرة الأولي لن تصل إلي إسرائيل قبل السادسة من صباح الغد بتوقيتنا.

وفي الساعة ٧,٥٥ مساء يتصل دوبرنين بكيسنجر ليبلغه رسالة عاجلة من بريجينيف لتبرير القرار الروسي بالتراجع عن مشروع وقف إطلاق النار.

د: أولا يشير (بريجنيف) إلي المحادثة التي جرت بيني وبين نيكسون في حفل الاستقبال أمس ويعرب عن رضائه الكبير عما ورد فيها. ويضيف أنه يود أن يؤكد إلي كيسنجر أنه ما زال ملتزما بنفس وجهات النظر ويؤكد حسن النوايا مهما كانت المصاعب. (وبعد أن يشير إلي استياء بريجينيف من تأخر الرد الأمريكي علي المبادرة التي تقدمت بها موسكو يتحدث أيضا عن قيام إسرائيل بقصف أهداف مدنية في مصر وسوريا) "وهو ما جعل الأمر أكثر صعوبة في العواصم العربية وبين الشعوب هناك. الآن العرب يعترضون علي الموافقة علي قرار لمجلس الأمن يتعامل فقط مع قضية وقف إطلاق النار ويصرون علي أن يصاحبه جزء آخر يتناول قضية الانسحاب التدريجي للقوات الإسرائيلية من الأراضي العربية التي جري احتلالها عام ١٩٦٧.

ك: لقد عملنا لمدة ثلاثة أيام علي أساس المبادرة التي تقومون بإلغائها الآن. (وقف إطلاق النار مع امتناع الدولتين عن التصويت)

د: كنا مستعدين لذلك علي مدي يومين ولكن الآن العرب يعترضون عليها. نحن نود أن نركز علي الصورة الأوسع أي إزالة أسباب الصراع. هذا سيكون قرارا كبيرا سيجب عليكم التصرف في شأنه.

ك: ولكن إلي أين يقودنا هذا الأمر؟ الي لا شيء...لقد عدنا الآن إلي حيث كنا يوم الاثنين٨ أكتوبر.

ثم يعود كيسنجر ودوبرنين مجددا إلي تبادل الاتهامات عن المسئولية بالفشل وإذا ما كان السبب تأخر واشنطن في الرد علي المبادرة السوفيتية أم أن موسكو كانت تتعمد إضاعة الوقت لكي تقوم بإمداد الجانب العربي بالسلاح وفقا لاتهامات كيسنجر. وكان من مصلحة كيسنجر بالطبع أن يبالغ في حجم التقارير الخاصة بالإمدادات السوفيتية للجانب العربي وذلك لاستخدامها كورقة حينما يتكشف بعد ذلك حجم الإمدادات الهائلة التي ستصل إلي إسرائيل عبر الجسر الجوي.

ك: لقد انتظرتم لمدة خمسة أيام. والليلة مصر سوف تقوم بهجوم في سيناء. وغدا عندما تصل بعض الطائرات الأمريكية لإسرائيل فإن العرب سيبدأون في الصراخ. لن نسمح بأي حال من الأحوال باستخدام سياسة الوفاق لتحقيق مصالح فردية. يجب ألا يكون لديك أوهام في هذا الشأن. يمكن أن تقول لموسكو أن تحفظ جهودها. نحن لن نقبل الموقف المصري (الداعي للعودة إلي حدود ١٩٦٧). وأنتم فقط ستساهمون في تدهور الموقف بتقديم موقفهم لنا. لو كنت أردت القبول بالموقف المصري لتعاملت معه مباشرة. إنه مطروح لدي منذ يوم الأربعاء ١٠ أكتوبر.

د: إذن أنتم تعارضون مشروع قرار من جزءين: الأول يدعو لوقف إطلاق النار والثاني العودة إلي الحدود تدريجيا.

ك: لا غير مقبول. حتي بعد ظهر اليوم كنت أتصور أن هناك إمكانية للتوصل إلي تسوية والضغط من اجل التوصل لاتفاق وقف إطلاق النار. الآن لم يحدث ذلك وأنتم غير قادرين أو راغبين في وقف النار. والولايات المتحدة والسوفيت يسيران الآن بشكل واضح نحو التصادم. هناك الآن شك في جدوي سياسة الوفاق. ومن المؤكد أنك لا تعتقد أننا سنقبل بنكسة عسكرية في الشرق الأوسط. لا يمكنك تصديق ذلك.

د: لا لن أصدق ذلك.... الأمر يتعلق بك وبالرئيس ولكن قد تكون هناك نتائج كارثية.

ثم يتهم كيسنجر السوفيت بتأجيج المشاعر العربية من خلال مواصلة الإمدادات العسكرية ويقول "الاستراتيجية الوحيدة هي أن يشعر العرب أنه لا يمكنهم الانتصار. وخلال ثلاثة أو أربعة أيام سنري إلي أين وصل الموقف. أن أي اقتراحات من قبيل العودة إلي حدود ١٩٦٧ فقط تزيد الموقف سوءا".

٢٨

يوم الرابع عشر من أكتوبر

الطائرات الأمريكية تتدفق على إسرائيل بمعدل طائرة كل ١٥ دقيقة

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الاثنين ٣ نوفمبر ٢٠٠٣م ـ ٩ رمضان ١٤٢٤هـ

كانت آخر المكالمات التي أشار لها كيسنجر يوم ١٣ أكتوبر مع وزير الدفاع شليزنجر حول تطورات عملية الإمداد. وفيها يطلب كيسنجر من وزير دفاعه تقييما دقيقا للموقف العسكري علي الجبهة ويخطره أنه سيتم الإشارة إلي الجسر الجوي علي أنه "إجراء شرعي مؤقت". كما يشكك شليزنجر في جدوي الاستعانة بشركات الطيران الخاصة بعد التحول في الموقف الأمريكي وأن فائدتها الوحيدة كانت توفير غطاء لعملية النقل وكذلك تخفيف العبء عن الطيارين الأمريكيين. ويعرب كيسنجر في هذه المكالمة عن قلقه من رد فعل العالم العربي علي عملية الجسر الجوي ويطالب وزير الدفاع بالاستمرار في البحث عن غطاء مناسب لعملية الاستعانة بطائرات خاصة لنقل المعدات. ويتساءل كيسنجر بدوره عن فائدة الاستعانة بهذه الطائرات كغطاء إذا كان سيعرف في النهاية أن الولايات المتحدة هي التي قامت باستئجارها نيابة عن إسرائيل. ولكن شليزنجر ينبه كيسنجر إلي حقيقة لم يلتفت لها كثيرا وهي أنه لم تكن توجد دول أخري تقريبا لديها الاستعداد لمساعدة إسرائيل في ذلك الوقت ويقول: "إسرائيل لا تتمتع بأي مساندة. الكل يتعامل معهم كمنبوذين". ويرد كيسنجر "هذا هو ما كنت أريد تجنبه. هذا هو ما كان العرب يرغبون في تحقيقه". ويتفق معه شليزنجر في الرأي ولكنه يشير إلي أنه لم يكن من الممكن تجنب ذلك.

مع انهيار محاولة التوصل إلي اتفاق لوقف إطلاق النار في الأمم المتحدة وانطلاق الجسر الجوي الأمريكي لإسرائيل يقول كيسنجر أن الموقف بات يعتمد علي تطورات العمليات العسكرية وقدرته علي تحجيم ردود الأفعال من الدول العربية وكذلك تجنب مواجهة مع الاتحاد السوفيتي وسط تصاعد أزمة وترجيت علي المستوي الداخلي. (فضيحة قيام الرئيس الأمريكي نيكسون بالتورط في عملية التجسس علي مقرات الحزب الديمقراطي لضمان الفوز في الانتخابات الرئاسية).

ولكن الاستراتيجية الحقيقية لكيسنجر كانت ضمان استمرار العمليات العسكرية لأطول فترة ممكنة وذلك لكي تتمكن إسرائيل من شن هجوم مضاد (باستخدام الأسلحة التي تتدفق عليها من الولايات المتحدة بمعدل طائرة كل ١٥ دقيقة) يحسن موقفها في أي مفاوضات لاحقة كما يلقن الدول العربية درسا بأنه لا يمكن تحقيق مكاسب عن طريق الحرب خاصة إذا كانت تستخدم سلاحا سوفيتيا في إطار الحرب الباردة التي كانت دائرة في ذلك الوقت. ولما كان كيسنجر علي دراية بموقف الرئيس السادات الداعي إلي تدخل الولايات المتحدة للتوصل إلي حل حقيقي للصراع العربي - الإسرائيلي فلقد واصل استخدامه قناة اتصاله معه عبر مستشار الأمن القومي حافظ إسماعيل وأرسل له الرسالة التالية باسم الرئيس نيكسون:

"إن الجانب الأمريكي يرغب في إطلاع الجانب المصري أننا علي استعداد لوقف جهودنا في إعادة الإمداد (لإسرائيل) عبر الجسر الجوي فورا بعد التوصل إلي اتفاق لوقف إطلاق النار (وكانت هذه خدعة من كيسنجر حيث أنه كان قد حصل علي موافقة نيكسون بأن تستمر عملية الإمداد لأسابيع من خلال السفن المحملة بالأسلحة الثقيلة لكي تعوض إسرائيل عما لحق بها من خسائر ولتدعيم موقفها بطريقة تضمن تفوقها في أي معركة محتملة لاحقة -

الأهرام.) وتود الولايات المتحدة أن تؤكد مجددا أنها تدرك أن الجانب المصري لا يقبل بالظروف التي كانت موجودة قبل اندلاع الأعمال العدائية الأخيرة. وسيقوم الجانب الأمريكي بمجهود كبير فور أن تنتهي العمليات العدائية وذلك للمساعدة في التوصل إلي سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط. كما نأمل أن يتواصل الحفاظ علي قناة الاتصال هذه مع مصر والتي تم إنشاؤها بصعوبة كبيرة حتي في ظل ضغوط الظروف الحالية. والولايات المتحدة ستقوم بكل ما في وسعها في هذا المجال". ويضيف كيسنجر أنه أرسل خطابات مماثلة "بلا جدوي" إلي الملك فيصل وإلي شاه إيران.

وكانت أول مكالمات كيسنجر في ذلك اليوم مع الرئيس نيكسون الساعة ٩,٠٤ صباحا.

نيكسون: هل من جديد هذا الصباح؟

ك: نعم لقد شن المصريون هجوما كبيرا ومن الصعب أن نعرف تماما ما الذي يجري في هذه المرحلة المبكرة من الهجوم. الإسرائيليون يدعون أنهم تمكنوا من تدمير ١٥٠ دبابة وخسروا خمسة عشر من ناحيتهم. ولكن هذا في حد ذاته لا يثبت أي شيء. فالأمر يعتمد إلي مدي تقدم القوات المصرية. وآخر المعلومات التي لدينا أنه ليس من المؤكد تماما وصولهم إلي ممر ميتلا والذي يبعد نحو ثلاثين كيلومترا عن القناة والذي يمثل نقطة دفاع إسرائيلية رئيسية أي نحو ثلث الطريق داخل سيناء وسيكون في الغالب....

(... جزء تم حذفه بطلب من مجلس الأمن القومي)

ثم يواصل كيسنجر: هناك احتمالان أمام الإسرائيليين الأول أنهم يحاولون جرهم خلف نطاق حزام صواريخ سام من أجل ضرب كمية كبيرة من قواتهم وفي هذه الحالة فإن المعركة ستكون حاسمة إلي حد كبير. أما الاحتمال الآخر فهو أن الإسرائيليين في ورطة وسوف نعرف ذلك بحلول الليلة في جميع الأحوال. لا أعتقد أن المصريين كانوا علي استعداد حتي قاموا بشن هجومهم.

ن: وماذا عن الروس هل سمعنا شيئا منهم؟

ك: الأمر يا سيادة الرئيس هو أننا بدأنا منذ الأمس بفكرة وقف إطلاق النار والعودة إلي خطوط ما قبل بدء العلميات العدائية. وبهذه المناسبة لو تمكن الإسرائيليون من إلحاق هزيمة بالمصريين فإن هذا سوف يمثل موقفا جيدا. إذ بعد ذلك سيكون المطلوب مجرد المطالبة بوقف إطلاق النار. لقد كان المصريون غالبا علي استعداد للقبول بذلك قبل أن يتقدم الإسرائيليون في سوريا. المصريون يطالبون بالعودة إلي حدود ١٩٦٧ والآن هذا الأمر غير مطروح للنقاش ما لم تلحق هزيمة كبيرة بإسرائيل نتيجة للحرب. هذا يجب أن يتحقق كنتيجة لمفاوضات لاحقة تلي الحرب. ما نحاول القيام به الآن ولقد تحدثت في هذا الشأن مع دوبرنين بعد أن تحدثنا سويا - هو محاول التوصل لصيغة تربط وقف إطلاق النار بالتسوية السلمية.

ن: أعتقد أنه يجب علينا القيام بتحرك ما. يجب علينا أن نواجه حقيقة أنه فيما يتعلق بالروس فإنهم كانوا متجاوبين معنا فيما يتعلق بما قدمناه بشأن الشرق الأوسط. لا بد أن نتقدم بشيء علي الجبهة الدبلوماسية وذلك لأننا إذا تمسكنا بوقف إطلاق النار فقط فإنهم (الروس) سيعرفون أنه بعد الحصول علي وقف إطلاق النار فإن إسرائيل ستعزز مواقعها وسنقوم نحن بمساندتهم كما نفعل دائما. هذا هو الوضع بصراحة شديدة ولكنه حقيقي إلي حد ما أليس كذلك يا هنري؟

ك: هناك الكثير من الصحة في ذلك.

ن: لا يمكنهم أن يكونوا في ذلك الموقف ولذا لا بد أن نكون في موقع يسمح لنا بتقديم شيء. سيجب علينا اعتصار الإسرائيليين بعد أن ينتهي هذا الأمر ويجب أن يعرف الروس ذلك. سيجب علينا اعتصارهم بقوة كبيرة. وهذه هي الطريقة التي ستسير بها الأمور. ولكنني لا أعرف كيف يمكننا القيام بذلك الآن. لقد قلنا لهم من قبل أننا سنقوم بعصرهم ولكننا لم نقم بذلك.

ك: أعتقد أن المطلوب الآن هو أن نتوصل إلي قرار لا يشير بشكل مباشر إلي حدود ١٩٦٧ ولكن يترك المجال مفتوحا مثل الإشارة إلي قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذي يتحدث عن انسحابات وهو قرار وافق عليه الجميع بالفعل من قبل. بجانب الإشارة إلي مؤتمر (دولي) أو شيء من هذا القبيل. ثم ربما نتمكن من تحريك مثل هذا القرار للتصويت غدا.

ن: نعم وبالتأكيد فإن الإشارة إلي مؤتمر ستكون أمرا جيدا.

كما يشير كيسنجر إلي الموقف البريطاني في مجلس الأمن ويتهم لندن بعدم الرغبة في التحرك أو المساهمة في الضغط علي السادات للقبول بوقف إطلاق النار وذلك لخشيتهم من اتخاذ أية مخاطرات قد تضر بمصالحهم في المنطقة العربية. ثم يعود مجددا إلي الحديث عن أهمية المعركة الدائرة في سيناء والتي قال إنه لا بد وأن تتضح نتيجتها بسرعة ذلك لأن الطرفين العربي والإسرائيلي - يعتمدان علي إمدادات تأتي من أماكن بعيدة.

كما يسأل نيكسون عن وضع عملية إمداد إسرائيل بالأسلحة ويقول إنه مادامت الولايات المتحدة قد قررت البدء في الجسر الجوي وسيتم توجيه النقد لها في جميع الأحوال فإنه يحبذ أن يتم إرسال كميات ضخمة للانتهاء من الأمر. "سوف يتم توجيه اللوم لنا لإرسالنا ثلاث طائرات تماما كما سيتم توجيه اللوم لنا لو أرسلنا ثلاثمائة طائرة. لن ندع الروس يتصرفون هناك بحرية".

ويطلب نيكسون من كيسنجر بأن يكون الخط الرسمي الذي سيتم الالتزام به في التصريحات العلنية هو أن الولايات المتحدة تزود إسرائيل بالأسلحة للحفاظ علي التوازن القائم في المنطقة ولخلق الظروف التي ستسمح بالتوصل إلي تسوية عادلة في مرحلة لاحقة. ويضيف "إذا لم نقل ذلك فسيبدو أننا نرسل المعدات لكي تستمر الحرب إلي ما لا نهاية وهذا موقف لا يمكن الحفاظ عليه".

وفيما يتعلق بالروس يقول نيكسون أنه يبدو أنهم معجبين بفكرة أن يتقدم البلدان بحل يتم فرضه علي الأطراف المتحاربة ويضيف: "لقد تنحي البريطانيون جانبا وما يجب أن يحدث برغم أن الإسرائيليين سيصرخون مثل الخنازير العالقة هو أن نقول إن بريجينيف ونيكسون سوف يتوصلان لحل لهذا الموضوع اللعين".

وتنتهي المكالمة بوعد من كيسنجر أن يتصل به مجددا بعد ساعة ليطلعه علي نتائج اجتماع "مجموعة العمل الخاصة" وتقييمها لتقدم عملية إمداد إسرائيل بالأسلحة.

كيسنجر - نيكسون الساعة ١١,١٠ صباحا

ن: لقد تحدثت مع هيج الذي أطلعني علي تطور الموقف. إنني سعيد أن أسمع بأننا نقوم بذلك بكامل طاقتنا.

ك: إنه جسر جوي هائل يا سيادة الرئيس. إن الطائرات سوف تهبط بمعدل واحدة كل خمسة عشر دقيقة.

ن: هذا صحيح. فلندعهم يصلون إلي هناك. الإضافة الوحيدة التي طلبتها هو أن يتحققوا من الموقف علي الساحة الأوربية ليروا إذا ما كان هناك المزيد من الطائرات الصغيرة التي يحتاجونها وتوجيهها إلي هناك لتعويض خسائرهم من الطائرات. والأمر الآخر يتعلق بهذه الطائرات الكبيرة يمكننا تحميل عدد من تلك الدبابات الجيدة من طراز M60 علي متنها إذا كان تأثيرها سيكون جيدا.

ك: نعم يا سيادة الرئيس.

ن: بمعني آخر إذا كنا سنقوم بهذا الأمر فدعنا لا ندخر أي جهد.

ك: فيما يتعلق بالطائرات الكبيرة فإن لدينا أيضا إمكانية أن نشحن علي متنها طائرات من طراز سكاي هوك.

ن: هل تعني أن نضعهم داخل الطائرات

ك: لا أعتقد أن هناك بديل آخر. لا توجد دولة سوف تسمح لهم بالطيران في مجالهم.

ن: حسنا. كم طائرة يمكن نقلها بهذه الطريقة

ك: خمسة أو ستة.

ن: حسنا. لتضع بعض طائرات السكاي هوك أيضا. لتقم بذلك أيضا. هل تفهم ما أعنيه إذا كنا سنتحمل النقد نتيجة لذلك فلننطلق.

ك: أعتقد أن هذا صحيح وهذا هو ما ناقشناه في مجموعة العمل بعد أن غادر هيج. يمكننا أن نعرض وقف الجسر الجوي إذا قام الروس بذلك بعد توقيع اتفاق وقف إطلاق النار.

ن: أعتقد أن الوقت قد حان لكي ترسل رسالة مني إلي بريجينف. يجب أن يعرف أنه ليس فقط السلام في هذه المنطقة علي المحك ولكن مستقبل العلاقة بأكملها ونحن علي استعداد للتوقف إذا توقفوا هم.

ك: سوف أتصل بدوبرنين وأبلغه هذه الرسالة بوضوح.

ن: نعم بلهجة معتدلة ولكن صارمة للغاية. إننا نقوم بذلك بكل أسف ولكننا في موقف اضطرنا لذلك وسنضطر للرد علي كل إجراء بإجراء مماثل. وما هو الموقف بالنسبة للمعركة؟

ك: يبدو أن المصريين يتجهون جنوبا أكثر من شرقا ولا يحاولون بشكل جدي اختراق سيناء في هذه اللحظة. وهم فقط يقومون بالحفاظ علي مواقعهم الدفاعية بالقرب من الساحل.

ن: هل من جديد بالنسبة لسوريا؟

ك: بالنسبة لسوريا لقد أخبرنا الإسرائيليون صباح اليوم أنهم أوقفوا تقدمهم نحو دمشق وأنهم الآن علي بعد نحو عشرين كيلومترا. وهم الآن يتوجهون جنوبا لمواجهة كتائب المشاة السورية. هناك تقرير من بعض المراسلين الأجانب الذين توجهوا للجبهة من دمشق وأشاروا إلي أنه يبدو أن الجيش السوري في حالة معنوية سيئة وأنهم بدأوا يهجرون معداتهم. ولكنهم لا يزالون يا سيادة الرئيس السبب وراء تماسك المصريين. غالبية الجيش الإسرائيلي ما زال مربوطا هناك (علي الجبهة السورية). تقدير مجموعتنا هو أن الإسرائيليين بحاجة إلي ثلاثة أيام إضافية لكي يتمكنوا من هزيمة السوريين وأنهم لن يستطيعوا الالتفات للمصريين قبل أربعة إلي خمسة أيام.

ن: وما هي خطتنا إذن؟

ك: خطتنا أن نحاول إنهاء الأمر هذا الأسبوع.

ثم يتحدث كيسنجر مع السفير السوفيتي دوبرنين في الساعة ١٢,٣٦ ظهرا وذلك في إطار ما قال أنه استراتيجيته القائمة علي حث الروس علي ضبط النفس في الوقت الذي يتسارع فيه الجسر الجوي وتهبط الطائرات الأمريكية في إسرائيل بمعدل طائرة كل ١٥ دقيقة.

كما يبلغ كيسنجر السفير برسالة نيكسون حول قرار الولايات المتحدة ببدء الجسر الجوي وعندما يسأله دوبرنين عن نوع الأسلحة التي يتم نقلها وإذا ما كانت تحتوي علي معدات ثقيلة يقول: "هي في الغالب ذخائر ومستهلكات ونحن لا نزال نمارس بعض القيود علي المعدات الثقيلة في الوقت الحالي وما وصل منها قليل للغاية". كما يبلغه بالعرض الأمريكي بوقف الجسر إذا ما قامت موسكو بخطوة مماثلة "ولكن إذا لم تقوموا بذلك فإننا سنقوم قبل كل شيء بزيادة الجسر بشكل ملموس ليحتوي معدات ثقيلة. إننا لم نبذل كامل جهودنا بعد ولم نقترب حتي من ذلك". كما يزعم الوزير الأمريكي أن حكومته لم ترسل إلي إسرائيل سوي عدد قليل من طائرات الفانتوم "وهو لا يقارن بكل تأكيد بحجم ما نتعرض له من ضغوط" لإرسال المزيد من الطائرات. ومن المؤكد أن السفير دوبرنين بخبرته الطويلة لم يكن يتوقع أن يسمع دائما الحقيقة كاملة من كيسنجر وكان لدي السوفيت ما يكفي من المصادر لتأكيد مدي كثافة الجسر الأمريكي والأسلحة التي تتدفق علي إسرائيل.

٢٩

الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر من أكتوبر

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الثلاثاء ٤ نوفمبر ٢٠٠٣م - ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ

يبدأ كيسنجر هذه الحلقة بمحادثته مع وزير الدفاع الأمريكي شليزنجر مساء يوم ١٤ أكتوبر (اليوم التاسع للحرب) حول تزويد أمريكا لإسرائيل بصواريخ مضادة للدبابات من نوع جديد لم يسبق استخدامه في منطقة الشرق الأوسط، ثم يتحدث عن الرسالة التي تلقاها من حافظ إسماعيل مستشار الأمن القومي للرئيس السادات، متضمنة توجيه الدعوة له لزيارة مصر تقديرا لمجهوداته وينتقل بعد ذلك إلي الجلسة التي عقدتها مجموعة العمل الخاصة بناء علي طلب الرئيس نيكسون.. وفي هذه الجلسة قرر كيسنجر إن المصلحة الأمريكية تقضي بأن نطرح السوفيت علي الأرض سريعا وبأن ندعم الجسر الجوي بجسر بحري قوي، ثم يعود إلي محادثة شليزنجر لكي يبلغه بأن السوفيت قدموا عرضا جديدا لوقف إطلاق النار وعلي الفوز يجري كيسنجر محادثة مع وزير خارجية السعودية عمر السقاف، لكي يبلغه بأن الرئيس نيكسون يدعو الملك (الراحل) فيصل لزيارة الولايات المتحدة. وفي نهاية يوم ١٦ أكتوبر يعود كيسنجر إلي محادثة الرئيس نيكسون حول استقبال نيكسون في اليوم التالي لوفد من وزراء خارجية المغرب والجزائر والسعودية والكويت، لكي يخفف من توتر العرب بعد أن بلغتهم أنباء الجسر الجوي الأمريكي

في مساء يوم ١٤ أكتوبر يتحدث كينسجر مع شليزنجر للاطمئنان علي سير عملية الإمداد

شليزنجر: كيف نتقدم فيما يتعلق بخطط الإمداد لقد حصلنا علي أربع طائرات فانتوم لتدعيم العشرة التي تحدثنا عنهم هذا الصباح. هل يجب علينا إرسالهما غدا

ك: أرسلها غدا ثم لنتوقف لمدة يوم. أو لنتوقف غدا ثم أرسلهم يوم الثلاثاء ١٦ أكتوبر.

ش: بهذا سيكون الإجمالي قد وصل إلي عشرين إذا أردنا القيام بذلك. هناك أمر آخر يتعلق بصواريخ TOW. هذه الصواريخ لم يتم استخدامها في تلك المنطقة من قبل وسيكون لها تأثير واضح. نحن علي استعداد للاستغناء عن بعض ما في مخزوننا...

ك: ما هي هذه الصواريخ تحديدا؟!

ش: إنها صواريخ مضادة للدبابات. صواريخ موجهة أفضل كثيرا وأطول مدي وأكثر دقة إلي حد كبير. مداها نحو ألفين - ثلاثة آلاف متر.

ك: ولكن سؤالك لا يتعلق بالأرقام ولكن بحكمة إرسالها لهم. ما هو شعورك؟!

ش: شعوري هو نعم.

ك: شعوري هو أنه ما دمنا قد بدأنا فمن الأفضل أن ننتصر.

ش: أنا فقط كنت أريد أن أبقي متسقا مع الخط الدبلوماسي.

ك: الخط الدبلوماسي هو أنني قلت للروس أنه يجب عليهم الاتصال بي صباح الغد. ولن يضر أن نعلمهم أنه إذا قاموا بتجاوزنا فإن شيئا عنيفا سوف يحدث.

ش: رأيك إذن أن أجهز بعض صواريخ TWO وأرسلها في طائرة تتوجه إلي هناك مبكرا.

ويقول كيسنجر إنه في ظل تطورات الأيام الأخيرة للحرب فإن تحركاته الدبلوماسية باتت تعتمد علي تطور العمليات العسكرية. ويضيف أن محاولة التقدم في سيناء التي قام بها السادات غالبا لتخفيف الضغط عن الحلفاء السوريين أدت إلي ابتعاد الجيش المصري عن خط الدفاع الجوي عبر القناة. وتمكن الإسرائيليون من تدمير٣٠٠ دبابة سوفيتية الصنع وتحسين موقفهم بعد ما لحق بهم من خسائر في الأسبوع السابق. ولم يكد يمضي الكثير من الوقت حتي تمكن الإسرائيليون من شن هجوم معاكس عبر القناة". واقتربت الظروف من الموقف الأصلي الذي كنا نطالب به وهو عودة الأوضاع إلي ما كانت عليه قبل اندلاع القتال. أما الموقف العربي الذي ربط وقف إطلاق النار بموافقة الحكومة الإسرائيلية علي العودة إلي حدود ١٩٦٧ فلقد أصبح غير ذي صلة تبعا لتطور العمليات العسكرية. وبدأنا العمل علي التوصل إلي وقف إطلاق النار علي أن يتبعه مفاوضات علي أساس القرار ٢٤٢ والذي قبلته كافة الأطراف بسبب غموضه الذي سمح بتفسيره بطرق مختلفة.

وفي وقت متأخر من ١٥ أكتوبر رد حافظ إسماعيل مستشار السادات علي رسالتي التي أخطرته فيها بالجسر الجوي. وأكد "إصرار" مصر علي الحفاظ علي "قناة الاتصال الخاصة" وأنه لا يوجد طرف آخر بإمكانه التحدث باسم مصر في إشارة إلي موسكو. كما نفي إسماعيل نية مصر إهانة إسرائيل "لأن مصر ذاقت طعم الإهانة". وعبر عن تقديره لجهودنا للتوصل لوقف إطلاق النار كخطوة أولية للتوصل إلي تسوية سلمية علي الرغم من مخالفة ذلك لوجهة نظر مصر. وكانت التجربة قد علمت مصر الشك في أن الفصل بين الأمرين يمكن تطبيقه عمليا. وباختصار تحدث إسماعيل مع الطرف الأول الذي يقوم بتزويد عدوه بالأسلحة كأي رجل متحضر يتحدث مع زميل له. واعتراضه علي توجهنا كان أنه يراه غير عملي ولكن مصر قد تغير وجهة نظرها لو أظهرنا كيف أن دبلوماسيتنا يمكن أن تنجح.

وفقط عند هذه النقطة أشار إسماعيل إلي موضوع الجسر الجوي قائلا إنه "غير مقبول" مثل كل مبيعات الأسلحة السابقة إلي إسرائيل. ولكنه لم يركز علي هذا الأمر ولم يهدد بأية عواقب. ولكنه ناشدني بدلا من ذلك مضاعفة جهودي لربط الحل العسكري بحل سياسي. ولدهشتي الشخصية فلقد وجه لي الدعوة لزيارة مصر:

"إن مصر سوف ترحب بالدكتور كيسنجر تقديرا لمجهوداته. إن الجانب المصري سيكون علي استعداد لمناقشة أية موضوع أو اقتراح أو مشروع في إطار مبدأين نعتقد أن الدكتور كيسنجر لا يرفضهما كما لا يرفضهما أحد: أن مصر لا يمكنها تقديم أية تنازلات فيما يتعلق بأرضها أو بسيادتها".

وفي وقت مبكر من صباح ١٦ قمنا بالرد من خلال الرسالة التالية والتي استخدمنا فيها الوعد باللجوء إلي الدبلوماسية في المستقبل من أجل تحجيم رد فعل مصر المتوقع علي الجسر الجوي خلال الأسبوع التالي.

***

ما الذي يمكن للولايات المتحدة القيام به في ظل هذه الظروف لقد قال الدكتور كيسنجر دائما إنه بإمكانه أن يعد فقط بما يمكنه القيام به ولكنه ينفذ كل ما يعد به. وبناء علي الخطة المكونة من خمس نقاط والمتضمنة في رسالة السيد إسماعيل في العاشر من أكتوبر فإن الجانب المصري يطلب عمليا موافقة إسرائيلية كجزء من وقف إطلاق النار علي الشروط المصرية للتسوية الشاملة. ووفقا لتقدير الدكتور كيسنجر فإن هذا لا يمكن تحقيقه إلا من خلال حرب طويلة. ولا يمكن لنفوذ أمريكي أن يحقق هذا الهدف في الظروف الحالية.

ما يمكن أن يعد به الجانب الأمريكي وينفذه هو القيام بكل جهد ممكن للمساعدة في تحقيق تسوية نهائية وعادلة فور أن يتم التوصل إلي وقف لإطلاق النار. والدكتور كيسنجر يعتقد أن الأحداث في تلك الفترة قد تساعد في أن تجعل الأمور أقل صعوبة للجانب الأمريكي لكي يمارس نفوذه فيما بعد بشكل بناء وفعال من أجل تحقيق هذه التسوية.

ولذا فإن كيسنجر يري أنه علي الجانب المصري أن يتخذ قرارا مهما. الإصرار علي برنامج الانسحاب إلي الحد الأقصي يعني استمرار الحرب والمخاطرة المحتملة بكل ما تم تحقيقه. والنتيجة بعد ذلك ستحددها الإجراءات العسكرية. والجانب الأمريكي لن يتكهن بمثل هذه النتيجة ولكننا نشك أن تكون قاطعة. وفي أي حال فإن الظروف لم تكن ملائمة للقيام بجهد دبلوماسي أمريكي.

إذا أردنا منح فرصة كاملة للدبلوماسية فلابد من أن يسبقها وقف لإطلاق النار. فقط في مثل هذه الظروف يمكن تطوير الجهد الدبلوماسي الأمريكي الذي نعد به. وسوف تجد مصر الضمان لجدية هذا المجهود من خلال إعلان رسمي من الجانب الأمريكي بأن نتدخل بشكل كامل وكذلك من خلال الموقف الموضوعي.

ويقول الدكتور كيسنجر أنه يقدر كثيرا الدعوة الحكيمة التي وجهها له الرئيس السادات لزيارة مصر. وفور أن يتم التوصل لوقف لإطلاق النار فإنه سيكون سعيدا أن ينظر بجدية كبيرة وتعاطف إلي هذه الدعوة كجزء من جهده الجاد للتوصل إلي سلام دائم في الشرق الأوسط".

وبعد العاشرة بقليل من صباح يوم ١٦ أكتوبر عقدت مجموعة العمل الخاصة جلسة حضرها كيسنجر الذي لاحظ تغيرا واضحا في الجو العام. فبعد أن تم اتخاذ القرار بالبدء في الجسر الجوي زالت أجواء التردد التي كانت سائدة الأسبوع السابق والتحذير من عواقب اتخاذ هذه الخطوة. وصرح كيسنجر في ذلك الاجتماع أن المبدأ الذي يجب أن يحكم عملية الامداد: "إن مصلحتنا الوحيدة في شبه المواجهة هذه هي أن نطرح السوفيت علي الأرض سريعا. لنعطيهم أكبر كم من الحوافز للتوصل إلي تسوية سريعة. لننقل لهم كل يوم أكثر مما ينقلون هم." وكقاعدة عامة اقترحت أن تكون عملية إمدادنا متقدمة عن السوفيت بنحو٢٥ في المائة. كما قررنا أن ندعم الجسر الجوي بجسر بحري قوي وذلك لأن السوفيت كانوا قد بدأوا في البحر الأسود بتحميل سفنهم بالكثير من المواد بما في ذلك أحدث معداتهم.

وبين القوي العظمي فإن الرابح في أزمة ما يجب أن يحكم بحذر متي يكشف عن هذه الحقيقة لمنافسه. وركزت علي هذا المعني في حديثي لزملائي في المجموعة الخاصة: "لا بد أن يبقي هذا الموضوع اليوم علي مستوي منخفض (من العلنية) مهما حدث. لا يجب إعطاء معلومات خلفية (للصحفيين) إذا استطعنا الانتهاء من هذا الأمر دون مواجهة مع السوفيت ودون تمزيق علاقاتنا مع العرب فإننا نستحق مرتباتنا. سوف نتبني خطا متشددا فيما يتعلق بالمحتوي بينما نستمر في إرسال الأشياء إلي إسرائيل".

ويقول كيسنجر إن الأنباء الجيدة قد تواصلت في ذلك اليوم. فلقد علمنا أن طائرة سوفيتية تحمل شخصية رفيعة المستوي في طريقها إلي القاهرة وكان تقديرنا أنها تحمل رئيس الوزراء اليكسي كوسيجين الذي ألغي موعدا له مع رئيس وزراء الدنمارك. وكان هذا يعني بالتأكيد أن السوفيت سيطالبون السادات الموافقة علي وجهة نظرنا في وقف إطلاق النار ولم يكن هو بحاجة لإقناع للمضي قدما في الطريق الذي رسمه. كما أن الضغط السوفيتي كان من شأنه الإساءة إلي العلاقات المصرية ـ السوفيتية.

وفي نفس الوقت تقريبا جاءتنا أنباء تفيد بأن قوة إسرائيلية صغيرة مكونة من٢٥ دبابة تمكنت من العبور إلي الضفة الغربية للقناة وبدأت في مهاجمة مواقع الصواريخ أرض ـ جو. وإذا استمر ذلك فإنه كان سيضمن تحقيق انتصار إسرائيلي حيث ستنكشف القوات المصرية علي الجانب الآخر من القناة أمام قصف عنيف من قبل سلاح الجو الإسرائيلي. ولكن مجموعة العمل الخاصة اعتبرت الهجوم مجرد غارة كما قدم الإسرائيليون الأمر في البداية. وبحلول نهاية يوم الثلاثاء ١٦ أكتوبر قلت لنيكسون إن الاحتمالات قائمة بنسبة اثنين من ثلاثة لصالح انتهاء الحرب سريعا.

ووسط ظروف انتظار الأخبار الجيدة كما يقول كيسنجر فلقد كانت معظم المكالمات التي أجراها في هذين اليومين متفرقة وتركزت علي إبلاغ آخر التطورات لأعضاء الكونجرس وللصحفيين.

كيسنجر ـ شليزنجر ١٥ أكتوبر الساعة ٩,٠٨ صباحا

ك: فقط من أجل معلوماتك ولن أشير لهذا الأمر في اجتماع مجموعة العمل الخاصة لقد أتصل السوفيت في نحو الثالثة صباحا وقدموا عرضا للقيام بتحرك جديد وهو ما ننظر فيه الآن. إنه يقوم علي العودة لفكرة وقف إطلاق النار التي تم تداولها السبت الماضي ويربطها بالقرار ٢٤٢ وهو أمر يمكن أن نتعايش معه. ولكن يجب أن يبقي الأمر هادئا.. وأعتقد أننا يجب أن نواصل عملية الإمداد.

ش: حسنا. هل تريد تحريك الطائرات الست الإضافية

ك: حركها غدا.

ش: هناك قضية تثير قلقا صغيرا وهو إعادة إمدادهم بالذخيرة من عيار ١٧٥مم. أنت تعرف أن مدفعيتهم الآن تهدد دمشق ويجب علينا أن نفكر بحذر في قضية تزويدهم بذخيرة من أجل تدمير دمشق. أنا لا أريد إجابة منك الآن ولكن...

ك: دعني أري ما يمكنني القيام به لضمان ألا يقوموا بقصف دمشق.

ش: هم أيضا يضغطون من أجل الحصول علي معدات للجسور وقطع جسور ومن الواضح أن لها صلة بتحريك قواتهم عبر القناة. أريدك أن تفكر في هذه الأمور.

وفي مكالمة لاحقة مع شليزنجر يشدد كيسنجر مجددا علي ضرورة الإبقاء علي التفاصيل المتعلقة بعملية الإمداد طي الكتمان وذلك لتجنب إغضاب السوفيت أو الدول العربية التي قد تتخذ قرار المقاطعة النفطية وهو ما كان من شأنه تعقيد الموقف من وجهة نظر كيسنجر.

ثم يتصل كيسنجر بعضو مجلس الشيوخ جافيتس ليطلعه علي تطورات عملية الجسر الجوي التي بدأت يوم السبت١٣ أكتوبر وكيف أن الولايات المتحدة ستتمكن بحلول صباح اليوم التالي (الثلاثاء ١٦ أكتوبر) من إمداد إسرائيل بكميات من الأسلحة تعادل كل ما وفره الاتحاد السوفيتي للعرب خلال خمسة أيام. كما أخطره بأن طائرات الفانتوم تصل إلي إسرائيل بمعدل ست كل يوم ليصل الإجمالي حتي ذلك اليوم إلي عشرين. كما يخطره جافيتز بنية عدد من أعضاء مجلس الشيوخ إصدار قرار يدعو الإدارة إلي الإسراع في جهودها من أجل مساندة إسرائيل ويرد كيسنجر بأنه لا يمانع صدور قرار مادام لا ينتقد الإدارة خاصة في ضوء كل ما بذله الرئيس من مجهود. ويعده جافيتز بأن لا ينتقد القرار الإدارة بل أن يحاول الإشادة بجهودها.

وفي السابعة والنصف مساء يتلقي كيسنجر مكالمة من وزير الخارجية المصرية الزيات الذي كان لا يزال في نيويورك لمتابعة الأزمة عن كثب. ويقترح الزيات في ضوء الرسالة التي أرسلها إسماعيل إلي كيسنجر تأجيل الاجتماع الذي كان مقررا عقده بينهما في اليوم التالي وذلك حتي يقوم الجانب الأمريكي بالرد. ويعده كيسنجر بالرد في اليوم التالي.

وفي يوم السادس عشر من أكتوبر توالت الأنباء "السارة" علي كيسنجر حيث أعلنت لجنة جوائز نوبل منحه الجائزة عن السلام لذلك العام بسبب جهوده لوقف حرب فيتنام. وتوالت عليه المكالمات بالطبع لتهنئته علي الفوز بالجائزة من السفير السوفيتي دوبرنين وكذلك من الرئيس نيكسون الذي اقترح عليه أن يتوجه للبيت الأبيض لكي تلتقط صورة لهما سويا بينما هو يقوم بتهنئته بالحصول علي الجائزة في وقت كان يواجه فيه مشاكل داخلية عديدة.

وفي السادس عشر من أكتوبر أيضا وافق الرئيس نيكسون علي الالتقاء بوفد من وزراء الخارجية العرب في اليوم التالي وذلك لتخفيف التوتر مع الدول العربية بعد انتشار الأنباء الخاصة بالجسر الجوي الأمريكي. وضم الوفد وزراء خارجية السعودية والمغرب والكويت والجزائر.

ويجري كيسنجر مكالمة مع مساعده سيسكو لمناقشة ترتيبات الاجتماع ويتفق معه علي أن يلتقي بالوزراء أولا قبل مقابلتهم للرئيس وألا يحضر الاجتماع السفراء العرب.

وفي الساعة ٤,٣٥ مساء يتصل كيسنجر بوزير الخارجية السعودية عمر السقاف.

ك: إنني أتصل بك نيابة عن الرئيس لأخبرك أنه بعد انتهاء الأعمال العدائية فإن الرئيس سيكون سعيدا للغاية إذا قبل جلالته (الملك فيصل) دعوة لزيارة الولايات المتحدة.

السقاف: هل يمكننا مناقشة هذا الأمر غدا؟

ك: سيكون هناك آخرون في الاجتماع. ربما نتمكن أنا وأنت من مناقشة الأمر.

وفي نهاية اليوم يجري كيسنجر مكالمة أخري مع نيكسون:

ن: هل هناك أية تطورات علي الجبهة الدبلوماسية؟!

ك: لقد اجتمعت مع وزير خارجية السودان. ولديه انطباع أن الأمور علي وشك الانفراج. إنه قريب من الجانب العربي كما تعرف.

ن: ولكنني لن أضمنه في اجتماع الغد.

ك: لا. لقد اختاروا هم وفدهم.

ن: أعتقد أن لدينا موقف السادات: لن نحصل علي حل لهذا الأمر حتي نحصل علي نوع من العرض الدبلوماسي. العرض الذي تقدمت به كان جيدا.

ك: لا يجب طرح هذا الحل مع الوزراء الثلاثة أعني الأربعة غدا.

ن: لا لا. لا أنوي طرح أي اقتراحات غدا.

ك: لا أعتقد أننا سنحصل علي شيء حتي يعود كوسيجين من القاهرة. هو لديه العرض.

ن: ماذا لو عاد وقالوا أنهم لن يقومون بذلك

ك: أعتقد أن هناك فرصة جيدة لكي يقوموا بذلك.

ن: أو شيء قريب منه (مما أقترحه كيسنجر من تسوية سلمية علي أساس الإشارة إلي القرار ٢٤٢). هل تعتقد أنه سيعود غدا. كم تستغرق زيارته.

ك: أعتقد أنه سيعود غدا مساء. وقد يبقي حتي يوم الخميس ١٨ أكتوبر.

ن: هل رأيت اقتراح مايك مانسفيلد (زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ) بعقد اجتماع قمة يضمنا ويضم البريطانيين والفرنسيين واليابانيين والروس ما الذي يمكن التوصل له في مثل هذا الاجتماع

ك: سيادة الرئيس هذا من شأنه أن يقتلنا. سوف يكون الأمر نحن وإسرائيل في مواجهة ست دول. هذا جنون.

ن: أتمني أن يكون ذلك المطار في تل أبيب محميا بشكل جيد.

ك: لن يقوموا بمهاجمته.

ن: ولم لا

ك: أنهم يخافون أن نبدأ نحن في مهاجمة الجسر الجوي السوفيتي. الفرص هي اثنين من ثلاثة من ناحية تحركنا نحو حل. الأسبوع الماضي كان سهلا للغاية أما الأسبوع الحالي فسنحصل علي حل أفضل بعد استعراضنا لعضلاتنا.

ن: إذا استمر الجسر الجوي كم عدد الطائرات التي سيحصلون عليها خمسين طائرة سيكون لديهم عدد من الطائرات يفوق ما بدأوا به هذه الحرب.

ك: نحن الآن نسير بمعدل ست كل يوم والأمر يعتمد علي متي تنتهي الحرب ويتم التوصل إلي تسوية.

ن: لا بد أن يشعر الإسرائيليون بالامتنان الكبير بعد كل ما قدمناه لهم.

٣٠

حرب أكتوبر أنـهت ادعاء إسرائيل بالتفوق

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الأربعاء ٥ نوفمبر ٢٠٠٣م ـ ١١ رمضان ١٤٢٤هـ

استمر كيسنجر في تنفيذ السياسة التي اتفق عليها مع الرئيس نيكسون، والتي تقوم علي انتظار تطور العمليات العسكرية مع الإسراع في نفس الوقت في عملية الجسر الجوي، والعمل علي تهدئة الدول العربية. وعلي الجبهة الدبلوماسية بدأ التحرك نحو التوصل الي وقف فوري لإطلاق النار يليه مفاوضات لتطبيق قرار مجلس الأمن ٢٤٢. ويقول كيسنجر إن السبب وراء تقدمه باقتراح عقد مفاوضات بهدف تطبيق القرار ٢٤٢ هو أن هذا القرار الشهير والذي مازال الجدل دائرا حوله حتي الآن ـ يدعو الي انسحاب إسرائيل من اراض احتلتها في النزاع الأخير وحتي حدود آمنة ومعترف بها. فالقرار، والكلام هنا لكيسنجر، لا يشير إلي ضرورة انسحاب إسرائيل من كل الأراضي العربية التي تم احتلالها عام ١٩٦٧. ويضيف أن ما افتقده القرار من دقة، عوضه في المرونة التي سمح بها (لمصلحة إسرائيل طبعا بصفتها الطرف المحتل ـ الأهرام)، وبالتالي كان يناسب غرضه في البدء في مفاوضات تقدم فيها جميع الأطراف تفسيراتها المختلفة للقرار ٢٤٢.

ومن المعروف أن الجانب العربي له تفسير مختلف تماما للقرار ٢٤٢ يقوم علي أن النسخة العربية من القرار تتحدث عن انسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها في النزاع الأخير بينما قام من أعد صياغة القرار بالإنجليزية وبمكر شديد بإسقاط كلمة "the" التي تقوم مقام لام التعريف في اللغة العربية ليصبح من الممكن لإسرائيل والولايات المتحدة أن تدعيا لاحقا أن ٢٤٢ يتحدث عن الانسحاب من أراض وليس الأراضي. كما كان يتمسك الجانب العربي بحجة أخري شديدة الأهمية وهي أن مقدمة القرار تشير إلي مبدأ دولي أساسي تستند إليه بقية القرار وهو عدم جواز احتلال اراضي الغير بالقوة وبالتالي لابد من انسحاب إسرائيل من كل الأراضي التي احتلتها بالقوة عام. ١٩٦٧ ولكن وبغض النظر عن التفسير العربي للقرار، فإنه من الواضح أنه مع الزمن قد تجاوز هذا الخلاف، وقبل الجانب العربي (كما اتضح من مفاوضات أوسلو ومعاهدة السلام ـ الاردنية الإسرائيلية) أن المفاوضات المباشرة هي التي سوف تحدد نتائج الاتفاق النهائي وبغض النظر عما يعنيه ٢٤٢.

يشرح كيسنجر مبادرته للرئيس نيكسون في المحادثة التالية التي جرت الساعة ٨,٤٤ من صباح الأربعاء ١٧ اكتوبر:

نيكسون: ما هو الجديد علي الجبهتين الدبلوماسية والعسكرية هذا الصباح؟

ك: علي الجبهة العسكرية، يبدو أن هناك حالة جمود. أما علي الجبهة الدبلوماسية فإن جميع محللي الاستخبارات الذين لا يعرفون بما يجري يقولون إن هناك شيئا ما يدور بسبب الزيارة الروسية والتصريحات المتحفظة من الدول العربية. شخصيا، لا اعتقد أنه سيحدث شيء حتي يغادر كوسيجين القاهرة.

ن: السؤال هو هل هو موجود هناك لتسخين الموقف أم لتهدئته؟

ك: من غير المتوقع (أن يقوم بتسخين الموقف). ولكن في جميع الأحوال يا سيادة الرئيس، فإننا لن نقوم بالإبطاء في أي شيء لمجرد أنه هناك. نحن نضخ السلاح بمعدل يفوق بنحو ٣٠ في المائة ما يقومون به، وإجمالي ما قمنا بشحنه

سيفوق اليوم ما قاموا هم بشحنه (ما يقصده كيسنجر هنا هو أن القوات الأمريكية قامت بإمداد إسرائيل خلال ايام معدودة بكمية ضخمة من السلاح تفوق ما قدمه السوفيت للعرب منذ بدء الحرب).

ن: ألم تصلك أي رسائل منهم؟

ك: أنا واثق أننا لن نعرف شيئا حتي يعود (كوسيجين) من هناك (من القاهرة)، ولكن صحافتهم تبدو هادئة واعتقد أنهم يحاولون التوصل إلي شيء ما. ولكني لا اعرف إذا ما كان ذلك ممكنا بالنسبة للمصريين. كل المعلومات التي بحوزتنا تشير إلي أن المصريين يتبنون خطأ أكثر تشددا مقارنة بالسابق (كان واضحا من خلال قناة الاتصالات الخاصة التي أقامها كيسنجر مع حافظ اسماعيل أن مصر باتت علي استعداد للقبول بوقف اطلاق النار وكذلك الترحيب بدور الولايات المتحدة للتوصل الي حل دائم للصراع. ولكن يبدو أن وزير الخارجية الموالي لإسرائيل لم يرد أن يذكر هذه الأمور لرئيسه كي لا يؤثر علي قراره بتكثيف الجسر الجوي. ولم يشر كيسنجر ايضا في محادثته مع نيكسون إلي الدعوة التي تلقاها من السادات لزيارة مصر والتي كانت بادرة حسن نية أدهشته شخصيا، كما قال في الفصل السابق - الأهرام).

ن: الغارة الإسرائيلية التي تم شنها عبر قناة السويس لم تكن كبيرة، اليس كذلك؟

ك: يبدو ذلك. هناك معركة تدور بالدبابات الآن في سيناء ولا نعرف نتيجتها بعد. الآن فيما يتعلق باجتماعك مع وزراء الخارجية العرب. النقطة الاساسية التي يجب أن تتذكرها هي أن هذا الاجتماع قد تم الترتيب له قبل البدء في الجسر الجوي، وبالتالي فهم لم يأتوا هنا للاحتجاج، كما أنني لا أنصح بطرح أي افكار عليهم لأنهم ليس الطرف الذي سيقوم بالتفاوض، كما أن الافكار المحددة مطروحة بالفعل أمام الروس والمصريين.

ن: حسنا، ولكن عندما يقولون إن إسرائيل يجب أن تنسحب الي حدود ١٩٦٧. فما الذي يجب قوله؟

ك: تقول إن هذا الأمر يتم التفاوض عليه بعد التوصل لاتفاق وقف إطلاق النار.

ن: أن نقول إن هذا الأمر يخضع للتفاوض، هل هذا يعني اننا نوافق علي الهدف؟

ك: لا أعتقد يا سيادة الرئيس أنه من الممكن تحقيق هذا الهدف. وفي الحوارات التي أقوم بها فإنني أحاول تجاهل هذه النقطة والقول بأنه يجب التفاوض عليها في اطار قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ولكن النقطة الرئيسية التي يجب توصيلها لهؤلاء الناس هي ضرورة الفصل بين اتفاق وقف اطلاق النار وما يليه، والحجة التي أجدها مفيدة للغاية هي القول إن ذلك ضروري إذا ارادوا (العرب) أن نقوم بجهد دبلوماسي في مرحلة لاحقة، وهو ما وعدت به. ولكن هذا يعني الآن أيضا ضرورة انتهاء الحرب في ظروف تسمح لنا بأن نكون علي اتصال بجميع الأطراف. وثانيا: أننا إذا حاولنا التوصل لتسوية كنتيجة للحرب، فإن هذا سيعني مفاوضات لا نهائية بينما تتواصل الحرب.

ن: هذا صحيح. إذا لم تراجع من أجل العمل علي التوصل إلي تسوية، فإنه لن يوجد امامهم بديل آخر، سوي ضرب الإسرائيليين.

ك: أن يشنوا حربا لا تنتهي لدفعهم للخلف.

ن: نحن الطرف الوحيد القادر علي التأثير علي إسرائيل.

ك: وهذه نقطة يجب توضيحها، النقطة الأخري هي أن الوضع العسكري قد تغير بالفعل نتيجة للحرب.

ن: قد تغير؟ ما الذي تعنيه؟

ك: القادة العرب سيقولون: وما الذي سيضمن لنا أنه بعد التوصل لاتفاق وقف إطلاق نار أنه لن تكون هناك حالة جمود؟ وإحدي نقاط الرد عليهم ستكون أن الوضع قد تغير استراتيجيا، ولم يعد بإمكان دولة واحدة ادعاء التفوق في المنطقة وبالتالي لابد أن يعتمدوا علي...

ن: بمعني آخر، وبشكل أساسي، إن إسرائيل لم يعد بإمكانها ادعاء التفوق.

ك: صحيح. وإن كنت لا أنصح بأن تتم صياغة الأمر بهذه الطريقة لكي...

ن: أنا أفهم. حسنا لدي الكلمة المناسبة (الوضع تغير استراتيجيا)

ك: لقد تحدثت مع وزير الخارجية السعودي أمس وأبلغته بدعوتك للملك للزيارة وكان سعيدا للغاية.

وأنصح أن تنفرد به لدقائق عندما يغادر (الوزراء) الآخرون. وهناك أمران. أشكره علي الدور شديد الاعتدال والبناء الذي لعبه طوال الأسبوع، وثانيا: قل له أنك تتمني رؤية الملك فور التوصل لاتفاق وقف إطلاق النار. وأشدد علي ربط الزيارة بالاتفاق يا سيادة الرئيس وإلا سيكون لديهم سبب آخر للتأخير.

وفي الساعة ٩,٣٥ يتحدث كيسنجر مع نائب وزير الدفاع ويليام كليمينتس ليحثه علي سرعة إقرار طلب الموازنة الإضافي في الكونجرس والذي ينص علي تقديم مساعدات لإسرائيل بنحو ثلاثة مليارات دولار. ويشدد علي أهمية أن يتم ذلك اليوم وذلك بدعوي احتمال فشل الجهود الدبلوماسية. ولكن بسبب انشغال جدول الرئيس وكيسنجر، يتفق الاثنان علي أن تتم مناقشة الصيغة النهائية لمشروع القرار الذي سيقدم للكونجرس في جلسة مجموعة العمل الخاصة صباح اليوم التالي.

وفي الساعة ٩,٤٢ تلقي كيسنجر مكالمة من السفير السوفيتي دوبرنين يبلغه فيها برسالة عاجلة من موسكو تتعلق بمهمة كوسيجين في القاهرة. ورغم أن كيسنجر كان علي دراية بهذه الزيارة، فلقد ادعي عكس ذلك في مكالمته مع دوبرنين وقال إن كل ما يعرفه هو أن هناك شخصية سوفيتية رفيعة المستوي تزور القاهرة وأضاف مازحا لقد طلبنا من الإسرائيليين الابتعاد عن القاهرة ومطار القاهرة ويبلغه دوبرنين أن كوسيجين يناقش في القاهرة الاقتراح الذي اتفقا عليه والخاص بوقف إطلاق النار مع الوعد بعقد مفاوضات لاحقة لتنفيذ القرار٢٤٢.

وكعادته، يترك كينسجر الباب مفتوحا لكسب المزيد من الوقت لاقتناعه بأن الأيام القادمة من المعارك ستكون لصالح إسرائيل خاصة بعد البدء في الجسر الجوي غير المسبوق في كثافته. ويقول لدوبرنين إنه يجب أن يضع في اعتباره أنه لم يناقش حتي الآن هذه الصيغة مع الإسرائيليين خاصة الإشارة إلي القرار٢٤٢. ولكن نعتقد أنهم سيوافقون عليه. ولكننا لم نرد بصراحة استفزاز الصحافة (الأمريكية) ضدنا. ويطلب كيسنجر من دوبرنين مهلة أربعا وعشرين ساعة ليبلغه الرد علي أي مقترح يأتي به كوسيجين من القاهرة لكي يتشاور مع الإسرائيليين. كما يبلغه دوبرنين بأن لديه أيضا رسالة من أربع صفحات موجهة من بريجنيف إلي نيكسون يؤكد فيها أننا لا نريد فقط الحفاظ علي استمرار (سياسة) الوفاق، ولكن تقويتها أيضا.

وفي الساعة ١,٤٠ ظهرا يتحدث كيسنجر مع نيكسون مجددا ليراجعا تطورات اليوم ونتائج اللقاء مع وزراء الخارجية العرب، نشر الأهرام نص محضر الاجتماع ضمن الوثائق التي أفرجت عنها الولايات المتحدة مؤخرا بعد مرور٣٠ عاما علي حرب أكتوبر).

ك: أعتقد يا سيادة الرئيس أن هذا الصباح كان الأكثر نجاحا. والأهم أنهم (وزراء الخارجية العرب) كانوا سعداء للغاية، إنه صباح ناجح جدا.

ن: الآن، فيما يتعلق بالروس، متي تتوقع أن تسمع من كوسيجين؟

ك: لقد تلقينا رسالة طويلة من بريجنيف. هي في ذاتها لا تحتوي علي جديد، فقط تؤكد أن الأمور لم تصل إلي نقطة اللاعودة كما تؤكد أنهم متمسكون بسياسة الوفاق.. سوف نسمع منهم ثانية غدا مساء.

وبعد أن يشكو نيكسون من عدم مساندة مجلس الشيوخ له وينتقد مجددا الاقتراح الذي تقدم به السناتور مانسفيلد لعقد مؤتمر دولي، يعود إلي الحديث عن اللقاء مع وزراء الخارجية العرب حيث أعرب عن دهشته من حجم التغطية الصحفية التي نالها الاجتماع.

ك: لقد تمكنا من استرضاء وزراء الخارجية المساكين هؤلاء.

ن: في الوقت الذي نقوم فيه بإمداد إسرائيل.

ك: في الوقت الذي تهبط الطائرات الأمريكية في تل أبيب كل نصف ساعة. إن بعض الناس تأخذ كل شيء علي أنه أمر مسلم به.

ن: هل من جديد بشأن المعركة؟ أعتقد أن الأمر فعلا في حالة جمود.

ك: أعتقد أنا ذلك أيضا.

ن: لقد نزف كلا الطرفين إلي حد ما.

ك: أعتقد أن الإسرائيليين بإمكانهم الانتصار بصعوبة وبثمن باهظ، ويتناول كيسنجر هنا ملاحظته في حواره مع نيكسون حول قضية استرضاء الوزراء العرب وأن ذلك كان بناء علي التصريحات التي أدلي بها وزير الخارجية السعودي عقب اللقاء والتي عبر فيها عن ثقته الكبيرة في كيسنجر وقال: إن الرجل الذي تمكن من حل حرب فيتنام، الرجل الذي ساهم في التوصل إلي سلام في كل أنحاء العالم، قادر بسهولة أن يلعب دورا جيدا من أجل التسوية وتحقيق السلام في منطقتنا في الشرق الأوسط.

وفي الساعة ٥,٢٠ مساء يتصل السفير الإسرائيلي دينيتز بكيسنجر يبلغه فيها برسالة مهمة من ديان تعكس تطور العمليات الحربية.

دينيتز: لدي رسالة من ديان الذي عاد للتو من الجبهة واتصل بي قبل نحو عشرين دقيقة. وهو يقول إنه لديه ثقة في أنه لن يوجد أي مبرر يجعلكم تشعرون بالخجل منا فيما يتعلق بالموقف في القناة (وذلك علي أساس أن إسرائيل كانت تحارب بالسلاح الأمريكي في مواجهة السلاح الروسي ـ الأهرام) إنه معجب جدا بما رآه، ولم نعد بحاجة للتوسل لأي طرف. وهو يعني نحن وأنتم ويفضل انتظار أن تأتي المبادرة منهم بدلا من أن تأتي من أي منا.

ك: لقد كان هذا هو نفس توجه وزراء الخارجية (العرب). لن يكون الأمر سهلا أن نعيد التأكيد علي قرار لمجلس الأمن صادر بالفعل.

د: إن القرار ٢٤٢ له تفسيرات عديدة.

ك: لن نقوم بالموافقة علي أي تفسيرات.... ما هو الموقف بالنسبة لعملية الإمداد؟

د: جيد للغاية. لقد اتصلت بي جولدا هاتفيا. وهي تقول إن الناس يبكون في إسرائيل. لقد ذهبت للمطار ورأت رجالا أمريكيين يأتون بطائراتهم وقالت إن هذا كان أحد أكثر المناظر تأثيرا رأته في حياتها. وبالمناسبة أود أن أضيف تهنئتي لحصولك علي جائزة نوبل.

ك: شكرا. إن الرئيس فيما يتعلق بهذا الأمر يشعر أن الصيغة المطروحة (وقف إطلاق نار ومفاوضات علي أساس ٢٤٢) سيكون من الصعب رفضها. بالطبع لم نصل للصياغة النهائية بعد.

د: ومتي تتوقع الحصول علي الصياغة؟

ك: شعوري هو أن ذلك سيتم بعد عودة كوسيجين من القاهرة، هذا إذا كان في القاهرة.

د: إننا لن نقبل إشارة محددة لحدود ١٩٦٧.

ك: نحن أيضا لن نقبل بإشارة محددة لحدود ١٩٦٧. ولقد أبلغنا ذلك لوزراء الخارجية وللسفراء العرب.

٣١

بريجنيف دعانى لزيارة عاجلة إلى موسكو بعد أن وصلت المساعى إلى طريق مسدود

واشنطن: خالد داوود

الأهرام السبت ٨ نوفمبر ٢٠٠٣م - ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ

يقول كيسنجر إنه في صباح الثامن عشر من اكتوبر اعلنت إسرائيل أنها قامت بتدعيم الجسور التي بنتها عبر قناة السويس وبلغت عمق ١٢ كلم نحو الشمال وستة كلم نحو الجنوب، وفي اولي المكالمات التي أجراها في ذلك اليوم مع المتحدث باسم البيت الأبيض رون زيجلر أخبره أنه يتوقع التوصل لاتفاق وقف إطلاق نار بحلول الاحد أو الاثنين (٢١ ـ ٢٢ اكتوبر) كما ينصحه بأن يبقي تصريحاته عن الوضع في الشرق الأوسط هادئة، ويعرب عن ضيقه من تصريح المتحدث باسم الخارجية في اليوم السابق بأن هناك مجهودا دبلوماسيا في المرحلة الحالية ويقول ليس من تقاليدنا مناقشة النشاط الدبلوماسي بينما هو لايزال قائما وعندما يسأله زيجلر عن الموقف الذي يجب ان يلتزم به ردا علي قرار الدول العربية تخفيض انتاجها النفطي بمعدل خمسة في المائة احتجاجا علي الدعم الذي تلقاه إسرائيل من الولايات المتحدة، كان رده: لتقل إننا سنستطيع التعامل مع الموقف انا أعرف أن هذا مجرد تهديد كلامي، ولكنك اذا قلت هذا، فسوف يجبرهم ذلك علي التصعيد اليس من الممكن أن نقول إنه في هذه المرحلة الدقيقة، لا نعتقد أن مثل هذا القرار سيخدم أي هدف؟ ويوافق زيجلر علي هذه الصياغة ويقترح كذلك إضافة القول بأن الولايات المتحدة تقوم بالتشاور مع كل الاطراف ـ بما في ذلك السوفيت ـ وأنها أجرت اجتماعا بناء مع وزراء الخارجية العرب في اليوم السابق، وينصحه كيسنجر كذلك بعدم الرد علي قرار تخفيض النفط ويقول: لابد أن أقول لك إننا إذا انتهينا من هذا الأمر دون مواجهة مع العرب أو السوفيت فإن ذلك لن يكون إنجازًا سيئًا.

ويورد كيسنجر نص محادثة أجراها مع عضو مجلس الشيوخ فولبرايت في ١,١٥ ظهرا يطلعه فيها علي التحرك القائم علي الجبهة الدبلوماسية والتشاور القائم مع الاتحاد السوفيتي للتوصل إلي اتفاق وقف اطلاق النار تليه مفاوضات لتطبيق القرار ٢٤٢ ويشير في هذه المكالمة إلي وجود كوسيجين في القاهرة حيث يواجه صعوبات لإصدار مصر علي ان تنص أي تسوية إلي موعد محدد لقيام إسرائيل بالانسحاب من الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧. كما يشيد كيسنجر بتأثير سياسة الوفاق مع السوفيت علي طريقة التعامل مع الأزمة ولولا الوفاق لما كان كوسيجين في القاهرة، ولما كانت الصحافة السوفيتية قبلت بالجسر الجوي الذي نقوم بتنفيذه ولسادت الفوضي. لقد تحدثنا مع رجال النفط الأربعة العرب، بما في ذلك الجزائري، وقدمنا لهم تعهدا أنه إذا تم التوصل إلي اتفاق لوقف إطلاق النار، فإننا سوف نضع كل هيبة الولايات المتحدة وراء محاولة التوصل إلي تسوية تتعامل مع أسباب الحرب، وعلي الرغم من أن الأمور تبدو هادئة الآن، فإننا نتوقع أن يحدث شئ خلال الثماني واربعين إلي الاثنتين وسبعين ساعة المقبلة، ونأمل أن يكون في الاتجاه الصحيح.

وفي الساعة ٨,٢٨ مساء يتصل كيسنجر بدبينتز:

ك: لقد اتصلت بدوبرنين بعد رحيلك وقلت له إننا نريدهم ألا يفقدوا صبرهم بعد عودة كوسيجين وأننا سنكون بحاجة إلي ٣٦ إلي ٤٨ ساعة للنظر في الأمر، أردت أن يعرف رئيسه أننا لا نتعمد التأخير، ولقد سألته عن تقييمه للموقف العسكري فقال لي إنه مجمد، ورددت أن هذا هو تقييمنا أيضا، وقبل ثلاث دقائق أبلغني أنه سيتصل بي بعد ساعتين ليبلغني برسالة تحتوي الاقتراح (مشروع القرار).

د. يبدو أنه لم تصله بعد التقارير الواردة من الجبهة.

ك: هو لم يشر إلي ذلك بإمكاني الاتصال بهم والقول بأن رئيسي سيكون نائما في ذلك الوقت.

ن: لا أعرف موقف رئيسك ولكني متأكد أن رئيسة وزرائي نائمة الآن (الثالثة والنصف صباحا في إسرائيل)

ك: أردت فقط أن زنبهك للأمر لكي تكون علي استعداد إذا بدأت الجهود الدبلوماسية.

وفي الساعة ٨,٤٥ مساء يتصل دوبرنين بكيسنجر ليبلغه بمحتوي الرسالة التالية من بريجينف إلي نيكسون: نحن نواصل مشاوراتنا المطولة مع القادة العرب، ولكننا مازلنا بحاجة إلي المزيد من الوقت، وفي الوقت نفسه فإن القيادة السوفيتية تود طرح الصياغة التي سيتم تضمينها في مشروع القرار الصادر عن مجلس الأمن، ومن وجهة نظرنا، فإن القرار يجب أن يحتوي علي النقاط التالية:

١- نداء لكل الاطراف لوقف إطلاق النار فورا ووقف كل العمليات العسكرية علي المواقع الحالية للقوات.

٢- الطلب بالبدء فورا بعد وقف إطلاق النار بانسحاب إسرائيلي تدريجي من الأراضي العربية إلي الخطوط التي يشير لها القرار ٢٤٢ وإنهاء هذا الانسحاب في أقصر وقت ممكن.

٣- اتخاذ قرار بالبدء فورا وبشكل متزامن مع وقف إطلاق النار في إجراء المشاورات المناسبة بهدف التوصل إلي سلام عادل ومشرف في الشرق الأوسط.

ك: مشاورات مناسبة مع من؟

د: نحن نري أن أفضل ما يمكن القيام به هو دعوة عدد محدود من المشاركين إلي هذه المشاورات.

نحن، الاتحاد السوفيتي، مستعدون، إذا ناسبكم ذلك وناسب الأطراف المعنية مباشرة وإسرائيل، أن نقوم بهذه المشاورات نيابة عن الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة.

ك: ولماذا تقسون بهذه الطريقة علي حلفائكم؟

د: أي حلفاء؟ لدينا حلفاء كثيرون.

ك: حليفكم الوحيد الذي يتمتع بعضوية دائمة في مجلس الأمن (الصين).

د: في إطار هذا الحوار، فلنبقهم خارجا.

ك: نحن أيضا لا نرغب في مشاركة حلفائنا في هذا الأمر.

د: دعنا نتفق علي أن تكون هذه التفاهمات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي هي إحدي القضايا التي سيجب علينا الرد عليها وأنها ترتبط بكيفية ضمان تنفيذ هذا القرار، ولقد سبق أن اتفقت معك أنه إذا وافق حلفاؤنا، فإن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي سيضمنان تنفيذ هذا القرار، كما أننا علي استعداد لضمان وحدة اراضي وأمن وعدم جواز خرق حدود كل الاطراف، بما في ذلك إسرائيل مع الوضع في الاعتبار في نفس الوقت حقها في السيادة والوجود المستقل، بوجود هذا النوع من الضمانات من الولايات المتحدة وإسرائيل، نشعر أنه لن يكون هناك شك لدي أحد حول صدق الضمان، إن بريجينف يود أن يشارك الرئيس هذه الافكار ويحصل علي رد من البيت الأبيض، ومن ناحيتي فأود القول إن هناك أمرين رئيسيين: الشرق الأوسط ورغبتنا في تدعيم علاقتنا معكم.

ك: لدي رسالة من الرئيس ستصلكم غدا في الساعة العاشرة أو العاشرة والنصف وهي لا تتعلق بالطبع بهذا العرض ولكنها تشير إلي نفس النقطة دون الخوض في التفاصيل، هل تريدني أن ارسلها لك؟

د: نعم وسأذكر أنها وصلت قبل رسالتي هذه.

ك: وذلك لأننا لن نحصل علي إجابة خلال ساعتين، ولكن إذا فكرت بصوت عال قبل مناقشة الأمر مع الرئيس، فإنني أعتقد أن النقطة الثانية هي الأكثر صعوبة والتي تطالب ببدء إسرائيل في الانسحاب إلي الخط الذي يدعو له القرار٢٤٢ بعد التوصل إلي اتفاق وقف إطلاق النار، حيث إن هذا الخط لم يتحدد بعد. لتدعنا نفكر في العرض أولا قبل ان نبدأ في مناقشته الآن، وإذا كان لدينا اقتراح مضاد، فسوف نعاود الاتصال بكم.

كيسنجر - نيكسون الساعة ٩,٣٥ مساء.

ك: أود أن أخبرك بأننا قد وصلتنا رسالة مبدئية من الروس. انهم يتحركون في اتجاهنا ولكن لم يصلوا إلينا بعد. الرسالة من بريجينيف وهي تحوي ملاحظات أولية. كوسيجين لم يغادر القاهرة بعد إنهم يتحركون بالتأكيد في الاتجاه الذي حددته أمس يجب أن نبقي هادئين وألا نستسلم لأي طرف.

ن: نحن لا نريد...

ك: لدي شعور أن الإسرائيليين يحققون تقدما في معركة الدبابات ولكنهم لا يقومون باطلاعنا.

ن: هذا من شأنه دفع الروس للتحرك.

ك: نحن لا نريد البدء في إحصاء دجاجاتنا، ولكنني أعتقد أنك حققت انتصارا.

ن: هذه أخبار جيدة.

ك: سوف نحتاج إلي نحو ٤٨ إلي ٧٢ ساعة وسأقوم بإرسال خطاب إلي بريجينيف نيابة عنك وذلك ردا علي رسالته امس. لن تقول الرسالة أي شيء عدا وإنك ممسك بزمام الأمور هنا أنك ترغب كثيرا في أن ينتهي الموقف الحالي بنتيجة بناءة.

ويقول كيسنجر إنه من أجل كسب الوقت ولزيادة الضغط علي موسكو والقاهرة، سارع في إرسال خطاب رد فيه علي بريجنيف وفقا للخطوط التي اتفق عليها مع نيكسون أي الترحيب بالرغبة في التوصل لاتفاق دون الدخول في أية تفاصيل تتعلق بعملية انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية.

ويجري اتصالا مع نائب رئيس البعثة السوفيتية يوري فورنتسوف يبلغه فيها بأنه في ضوء الرسالة التي تلقاها نيسكون من بريجينيف فإنه سيرد عليها من خلال الحديث عن أفكار عامة حول الشرق الأوسط والعلاقة بين بلدينا وذلك دون الخوض الآن في نقاش في التفاصيل الواردة في الخطاب، ويقول ما ستراه هو تعهد من قبل الولايات المتحدة القيام بمجهود كبير ولكن لن تركز (الرسالة) علي النقطة الخاصة بالانسحابات. سوف نتبادل الآراء في هذا الخصوص في وقت لاحق ويعتقد الرئيس أن هذا الأمر سيؤدي إلي الالتباس في المرحلة الحالية.

وفي الساعة ١٠,٥٤ مساء يختتم كيسنجر اليوم بالمكالمة التالية مع الجنرال سكوكروفت:

ك: لقد أرسل الروس لنا ثلاث نقاط والتي سأوصلها لك، والنقطتان الأولي والثالثة مقبولتان إلي حد كبير، ولكن النقطة الثانية غير مقبولة، فهي تدعو إلي الانسحاب إلي الخط الذي حدده القرار ٢٤٢ وهو ما لن يقبله الإسرائيليون، وفيما يتعلق بالحدود، فلقد اتصلت بدينيتز ولم أخبره بالنقطة الثالثة وذلك لكي يكون لدي ورقة استخدمها كحافز غدا. لقد أصبحوا مزعجين مثل الفيتناميين.

س: اعتقد أنك بدأت بطريقة صحيحة، وبحلول الوقت الذي سنتمكن فيه من التوصل إلي حد يمكننا قبوله، فإنهم سيكونون (الإسرائيليون) سعداء نسبيا.

ك: لقد أخبرني الإسرائيليون أنهم عبروا (إلي الضفة الغربية) بالمزيد من الدبابات، إنني أخشي أن يتحول الأمر إلي تبادل حام لإطلاق النار، إذا استمروا في عبورهم، فإن أحدا سيلقي مصرعه.

س: الخطر الحقيقي من الجيش المصري.

ك: عندما تتمكن نحو فرقة من العبور، فإن هذا يعني اختفاء حائط صواريخ سام، وعندما يرون الجيش من فوق ومن تحت، فإنهم سوف يتفككون هم ليسوا جيدين إلي هذه الدرجة، لن يستطيعوا الحصول علي إمدادات وسيموتون من الجوع، ما لا استطيع فهمه هو كيف تمكنوا (الإسرائيليون) من عبور القناة؟

س: هذا الأمر غامض بالنسبة لي، لقد كانوا في ذلك الموقع الدفاعي الجديد، وتمكنوا من الاختراق عبر فرقتين، واحدة مشاة والأخرى مدرعات.

ك: هل هذا هو التقرير المفصل؟

س: نعم.. لقد هاجم الإسرائيليون من نقطة قوية، لأنهم لو هاجموا من نقطة ضعيفة فإنهم كانوا سيجدون أنفسهم محاصرين من قبل فرقتين قويتين.

ك: تمكنوا من اختراق نقطة قوية وعبروا القناة إنهم جيش جيد.

س: إن الإسرائيليين أذكياء للغاية ومغامرون ولديهم استعداد للقيام بمخاطرات ودعمها بقوة..

ك: لقد اقترح الروس أن نقود نحن المفاوضات دون مشاركة أي أعضاء آخرين من الأمم المتحدة بجانب العرب والإسرائيليين. بإمكانك تخيل ما سيقوله الصينيون ردا علي ذلك، وكذلك الأوروبيون.

س: بالطبع انها الحيلة القائمة علي بدء المفاوضات من خلال الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن...

ك: سوف أقوم بإرسال خطاب إلي إسماعيل، هل تعتقد أن هذا أمر جيد. فكرت أن أقول أن موقفنا لن يتغير بغض النظر عن نتيجة الحرب ولكن خشيت أن يثير ذلك شكوكهم.

س: أنا معجب بالفكرة ويجب أن ترسل لهم خطابا، ولكن أن تقول لهم ذلك من شأنه لفت انتباههم وقد يغضبهم.

ك: أنني أخشي أنه سيتم شنقهم. أعتقد أن هذه هي نهاية السادات.

س: أعتقد أنك علي صواب. قد يتمكنون من هزيمتهم.

ك: لابد أن يكونوا حذرين (الإسرائيليين). فحقيقة الأمر في النهاية أن هذه ستكون هزيمة سوفيتية. ونفس الأسباب التي دعتنا إلي عدم قبول هزيمة إسرائيلية ستعمل ضدهم. وحتي لو قالوا أن عملية الإمداد هي السبب، فإن ذلك من شأنه أن يجعل العرب يدركون أنه من الأفضل أن يكونوا في جانبنا.

س: من هذا المنحي لا يمكن أن يكون الموقف أفضل من ذلك.

التاسع عشر من أكتوبر

كان الاختراق الإسرائيلي قد بدأ في التوسع في الجهة الغربية للقناة وزادت الضغوط من أجل التوصل لوقف إطلاق النار. وكان الكرملين لديه ما يكفي من الخبرة لكي يدرك أننا نتعمد تعطيل الرد علي العرض الذي تقدم به بريجينيف اليوم السابق ذلك، لأننا رأينا أن المطالبة بقيام إسرائيل بالبدء فورا في الانسحاب ولو إلي خطوط غير محددة، أمر غير مقبول. وللخروج من هذا الطريق المسدود، قام بريجينيف بدعوتي لزيارة موسكو.

ويتصل دوبرنين بكيسنجر في الساعة ١١,٠٤ ليقرأ له نص الرسالة التالية:

إن الأحداث في منطقة الشرق الأوسط تزداد خطورة. وكلا القوتين، كما اتفقنا، يجب أن يقوما بأقصي ما في وسعهما لكيلا تتخطي الأحداث الحدود وتصبح أكثر خطورة. وإذا تطورت الأمور بهذه الطريقة، فإن هناك خطورة من أن يلحق ذلك الأذي حتي بالعلاقات المباشرة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة. ونعتقد أنه لا نحن ولا أنتم راغبون في حدوث ذلك. وإذا كان الأمر كذلك، فإننا بحاجة إلي قرارات سياسية فاعلة. ولدينا قناعة بأنه مع توافر النية لدي القوتين، فإن ذلك من شأنه تسهيل التوصل إلي هذه القرارات. ولما كان عامل الوقت قد أصبح عاملا أساسيا، ليس باليوم ولكن بالساعة، فإنني وزملائي نقترح أن يقوم وزير خارجيتك وأقرب مساعديك، الدكتور كيسنجر بالقدوم بشكل عاجل إلي موسكو لعقد المفاوضات الضرورية معه ومع من تفوضونه من ممثلين. وسوف يكون من الجيد لو استطاع القدوم غدا، ٢٠ أكتوبر. وسنقدر ردكم السريع

ك: هذا اقتراح ودي. سأتحدث مع الرئيس وأقوم بالاتصال بك مجددا.

ويقول كيسنجر أن هذه الدعوة حلت معظم مشاكلنا الاستراتيجية. فالأمر سيبقي خارج الأمم المتحدة حتي نتمكن من التوصل إلي نتيجة مقبولة، بينما سيمتنع الاتحاد السوفيتي عن القيام بأية تهديدات بينما أنا في الطريق أو أثناء اجراء المفاوضات، وسنكسب أيضا بهذه الطريقة ٧٢ ساعة من الممكن أن تتزايد خلالها الضغوط العسكرية. وتشاورت حول هذه النقاط مع نيكسون وهيج وسكوكروفت وتوصلنا إلي أن هذه الرحلة ستدعم استراتيجيتنا.

وفي الساعة ١١,٣٨ صباحا يعاود الاتصال بدوبرنين:

ك: أناتول لقد عقدت مباحثات مبدئية مع الرئيس ونحن نوافق من حيث المبدأ علي اتصال رفيع المستوي. ولكن في نفس الوقت أريد رد فعلك السريع علي هذا السؤال: لماذا لا يأتي جروميكو إلي هنا؟

د: أعتقد أن السبب هو أن كوسيجين قد عاد للتو من القاهرة ولابد أنهم يودون مناقشته في نتائج رحلته: بريجينيف وجروميكو وكوسيجين. كما أن الفكرة هي أننا لا نريد أن نرسل لك برقية نقول فيها هذا هو ما يريده السادات ثم نرسل بعد ذلك ردكم عليه. هم يريدونك أن تذهب هناك لمدة يوم وأنا متأكد أن كوسيجين سيطلع الجميع علي ما دار.

ك: سوف أتصل بك مجددا خلال ساعتين. نحن متعاطفون للغاية مع الاقتراح.

د: أن الأمر مهم للغاية يا هنري

ك: أناتول، عندما تقوم الحكومة السوفيتية بإرسال هذا الاقتراح بشكل عاجل، فإن هذا أمر لا يمكننا أن نأخذه باستخفاف.

ك: سوف أصل مساء الغد ونبدأ المباحثات يوم الأحد. أعتقد في هذه الحالة سيجب علي المغادرة منتصف هذه الليلة وأصل هناك نحو الثامنة أو التاسعة مساء

وفي المكالمة التي جرت بينهما في الساعة ١,٣٥ ظهرا، يتفق كيسنجر ودوبرنين علي المزيد من التفاصيل الخاصة بالرحلة بدءا من مرافقة السفير السوفيتي لكيسنجر في رحلته وتوقيت الاعلان عن الزيارة وكيف أنها تمت بدعوة من الحكومة السوفيتية.

ك: وفي نفس الوقت، فإننا نفترض أنكم لن تقوموا بأية أعمال أحادية بينما أنا في طريقي إلي هناك.

د: ماذا تعني؟

ك: عدم القيام بأية تهديدات عسكرية. وأعتقد أن كلانا سيعمل علي تهدئة الموقف. لا أعتقد أنه سيكون بإمكاني التفاوض هناك حول تسوية نهائية. سيكون بإمكاني التفاوض حول وقف إطلاق النار.

د: وقف إطلاق النار؟

ك: ولكن لا يجب توقع التوصل إلي تسوية في يوم واحد.

د: حسنا.

ويشير كيسنجر عند هذه النقطة إلي أن زيارته لموسكو كانت تتم وسط ظروف داخلية سيئة للغاية. فالرئيس نيكسون كان قد بدأ التفاوض للتوصل إلي اتفاق حول تسليم أشرطة تسجيلات محادثاته في اطار فضيحة وترجيت. وأدي الفشل في التوصل إلي اتفاق إلي استقالة النائب العام إليوت ريتشار دسون ونائب المدعي العام والقائم بأعمال مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي ويليام روكسلاوش وطرد المحقق الخاص أرشيبالد كوكس يوم ٢٠ أكتوبر. وبعد يومين بدأ مجلس النواب اجراءات خلع الرئيس نيكسون.

وفي الساعة ٣,٢٠ بعد الظهر يتحدث كيسنجر مع الكسندر هيج الذي طرح عليه رغبة الرئيس في أن يقوم شخصيا بإعلان زيارته لموسكو في نفس الوقت الذي يعلن فيه قرب التوصل إلي تسوية لتسليم شرائط التسجيلات الخاصة بفضيحة وترجيت. ويعترض كيسنجر بشدة علي هذا السيناريو ويقول لهيج أنه لا يجب استخدام السياسة الخارجية للتغطية علي مشاكل داخلية وأنهم سيندمون علي ذلك بقية حياتهم. وينصحه أن يقوم الرئيس علي الأقل بالقيام بإعلانين منفصلين، ويعرب عن رأيه أن قيام نيكسون شخصيا بإعلان زيارته إلي موسكو سيضع مصداقيته علي المحك ويقترح بدلا من ذلك أن يتم الاعلان عن الزيارة علي مستوي منخفض في منتصف الليل. وبعد نحو ربع ساعة، يقوم هيج بالاتصال بكيسنجر مجددا ويبلغه بموافقة الرئيس علي اقتراحه علي أن يصدر البيان الخاص بالاعلان عن زيارة موسكو من البيت الأبيض. ويوافق كيسنجر علي أن يقوم المتحدث باسم البيت الأبيض بالإعلان عن الزيارة في الثانية صباحا ثم يوفر المزيد من المعلومات في صباح اليوم التالي.

وفي الساعة ٤,٣٠ بعد الظهر يتصل دوبرنين بكيسنجر ليبلغه نص برقية مختصرة من بريجينيف يشكره فيه علي موافقته القيام بالزيارة. كما يشدد كيسنجر مجددا أنه ذاهب إلي موسكو لمناقشة التوصل إلي وقف اطلاق النار فقط وليس إلي تسوية سلمية شاملة لكيلا يصابوا (القيادة السوفيتية) بخيبة أمل وفي نفس الوقت، يقول كيسنجر أنه مع شعور إسرائيل بأنها تحقق تقدما في الحرب، بدأت تتراجع عن الموافقة علي ربط قرار وقف اطلاق النار بالقرار ٢٤٢. برغم أن ذلك كان الموقف الذي تدعمه إسرائيل منذ العام ١٩٦٧ وفي الساعة ٧,٠٩ مساء يجري كيسنجر المكالمة التالية مع السفير الإسرائيلي دينيتز والذي يخبره فيها أنه قد يتوقف في إسرائيل بعد انتهائه من زيارة موسكو.

ك: أنا لا أرغب في القيام بالرحلة. ولكنها قد تكون تحركا مفيدا للتعطيل.

د: سوف أتصل برئيسة الوزراء الآن وأعطيك ردا خلال عشر دقائق

ك: لدي موافقة الرئيس، وهو ما لم يكن متوافرا من قبل، أن أبدأ باقتراحكم (الاكتفاء بالتوصل لقرار وقف اطلاق النار) بدلا من اقتراحه. وهذا يفترض أنهم إذا قبلوا باقتراحكم، فإنكم سوف توافقون علي الفور.

د: تعني بحلول الأحد مساء؟

ك: لا أريد أن أعطيك توقيتا محددا لأنهم (السوفيت) لم يقوموا بذلك، ولكنني لا أعرف كم سيكون عمق المشكلة.

د: عميقة للغاية. آخر التقارير التي وردت لنا تشير أننا استولينا علي مدينة تبعد خمسة وثلاثين ميلا(٥٥ كلم) عن القاهرة وهي في منتصف الطريق بين القاهرة والقناة.

ك: لقد استغرق الأمر منكم أكثر قليلا مما يجب. أنا فقط أحب أن أتعامل معكم بصلابة.

د: لقد مررنا سويا بالعديد من الأوقات الصعبة، وبالتالي قد يكون من المسموح لنا ببعض الاسترخاء.

ك: إنك تفهم استراتيجيتي كما تناقشنا فيها سويا. إن المحادثات لن تبدأ قبل صباح الأحد بتوقيت ٢١ أكتوبر بتوقيت موسكو ولا يمكن الانتهاء منها قبل بعد ظهر الأحد بتوقيت موسكو، وبناء علي ما نحققه من نتائج، فإننا لن نتمكن من تنفيذها قبل مناقشة الأمر معكم. أنا فقط أخبرك بهذه الأمور لكي تقوموا بالتخطيط علي هذا الأساس. ولكن هل لي أن أتقدم بطلب؟ أهمية الحفاظ علي النوايا الحسنة للرئيس من أجل المهام الدبلوماسية التي ستلي لاحقا. ولأن النتيجة التي حققتموها هي في صالحكم لقد تعايشتم لمدة ست سنوات مع القرار ٢٤٢ وأنا لا أريد..

د: لن نخوض في هذا الأمر ثانية.

ك: أنا لا أطلب منك تغيير موقف حكومتك، وهو أمر لا تستطيع القيام به. ولكن إذا وصلت الأمور إلي هذه النقطة، وسوف تصل ولا يمكنني تجنب ذلك، أرجو أن تتذكروا أنه في أعقاب وقف اطلاق النار، فإنه من المهم من أجلكم أنتم أن يبدو مظهر الرئيس جيدا وألا يتم اتهامه بأنه تخلي عن أي طرف. سوف تحتاجونه كثيرا في العملية الدبلوماسية التي ستلي ذلك.

د: بالطبع أنا أفهم ذلك. هل تعني أنه خلال...

ك: ماذا سيحدث بافتراض وقوع الأسوأ، من وجهة نظرك؟ هذا القرار (السوفيتي) الذي سلمته لك لن يحدث. ولكن علي الرغم من ذلك فلتشيدوا بالرئيس علي انجازاته كرجل دولة.

د: ولكن ألا تتخيل أن أي ربط سيتم...

ك: لن يتم تضمين جملة واحدة من النقطة الثانية (من الاقتراح السوفيتي الذي يدعو لانسحابات إسرائيلية فورية)

د: ما أفهمه منك هو أنك تريد نوعا ما من الربط بالقرار ٢٤٢. أو مفاوضات لتنفيذ القرار ٢٤٢.

٣٢

السفير الإسرائيلي يسأل كيسنجر: "هل زيارتك لموسكو سرية؟"

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الأحد ٩ نوفمبر ٢٠٠٣م - ١٥ رمضان ١٤٢٤هـ

عندما التقي الفريقان الأمريكي والسوفيتي للتفاوض صباح ٢١ أكتوبر، قدم كيسنجر مشروع قرار عمل علي صياغته مع مساعده سيسكو خلال الليل، وكانت أول نقطة فيه تدعو إلي وقف إطلاق النار علي ما هو عليه الحال. أما نقطتنا الثانية فلقد أزاحت الطلب السوفيتي للبدء في انسحاب إسرائيلي فوري إلي خطوط جديدة، بل لم تشر مطلقا إلي قضية الانسحاب ولكن طالبت الطرفين ببساطة أن يبدآ في تطبيق القرار ٢٤٢ بكل أجزائه وهي صياغة غامضة بشكل يكفي لشغل الدبلوماسيين لسنوات لتفسيرها دون التوصل إلي اتفاق. أما نقطتنا الثالثة، فلقد دعت إلي مفاوضات فورية بين الأطراف المعنية تحت الرعاية المناسبة، وبمعني آخر فإن وقف إطلاق النار سوف يؤدي إلي مفاوضات مباشرة بين إسرائيل والدول العربية والتي رفضت دائما هذا الطلب، بينما زعمت حكومات إسرائيلية متعاقبة أن مجرد القيام بذلك سيفتح الباب أمام تقديمهم لتنازلات. ولم نقدم شيئا فيما يتعلق بالضمانات.

ولدهشتنا، فلقد وافق بريجينيف وجروميكو علي النص الذي تقدمنا به بعد القيام بتعديلات إنشائية صغيرة، وتحول هذا النص لاحقا إلي القرار ٣٣٨. ثم حاولوا بعد ذلك أن يعدلوا الإشارة إلي الرعاية المناسبة للمفاوضات المباشرة لكي تصبح تقديم ضمانات أمريكية سوفيتية حول نتيجتها، وهو ما اعتبره كيسنجر معادلا لطلب فرض السلام، وبالتالي رفض هذا الطلب. وقام بتعريف الرعاية بأنها تعني حضور الدبلوماسيين الأمريكيين والسوفيت لافتتاح المفاوضات، وكذلك لاحقا فقط عندما يتم التعامل مع القضايا الرئيسية. وهذا أيضا قبله بريجينيف وجروميكو بعد قليل من الاعتراض.

قبل الرحلة إلي موسكو حرص كيسنجر علي إجراء محادثة هاتفية مع السفير الإسرائيلي سيمحا دينيتز، أكد له فيها أن محادثاته مع الجانب السوفيتي لن تبدأ قبل صباح الأحد ٢١ أكتوبر (بتوقيت موسكو)، ووعده بأنه لن يبدأ في تنفيذ أي اتفاق يصل إليه في موسكو إلا بعد مناقشة الأمر مع الجانب الإسرائيلي، ثم يقول له: أنا فقط أخبركم بهذه الأمور لكي ترسموا تخطيطكم علي هذا الأساس.

ويعود دينيتز فيؤكد علي كيسنجر ضرورة ألا يجري أي ربط بين وقف إطلاق النار والانسحاب الإسرائيلي، ثم يسأله:

هل رحلتك إلي موسكو سرية؟

ك: نعم حتي يتم الإعلان عنها في الثانية صباحا.

وفي السابعة والربع مساء يعقد كيسنجر اجتماعا أخيرا لمجموعة العمل الخاصة والذين وصفهم بأنهم كانوا زملاءه علي مدي الأسبوعين السابقين: وزير الدفاع جيمس شليزنجر ورئيس هيئة الاركان المشتركة توماس مورار ومدير السي. أي أيه ويليام كولبي ونائبه في مجلس الأمن القومي برنت سكوكروفت. ويصف الاجتماعات اليومية لهذه المجموعة بأنها كانت متوترة أحيانا حيث لم نكن نتفق دائما (وفي الغالب كان يتم اتهام كيسنجر بأنه يضع مصلحة اسرائيل أولا ـ الاهرام) ولكننا تمكنا من إدارة ازمة صعبة وخرجنا بنتيجة جيدة. ونجحنا في تحقيق أهدافنا الرئيسية:

خلقنا الظروف اللازمة من اجل إحداث اختراق دبلوماسي، كما دعمنا أمن أصدقائنا، ومنعنا تحقيق انتصار بسلاح سوفيتي، وحافظنا علي علاقة مع الدول العربية الرئيسية ومهدنا الأساس لدور رئيسي في دبلوماسية ما بعد الحرب. وقمنا بكل ذلك وسط أخطر أزمة دستورية داخلية نواجهها في القرن.

٢٠ ـ ٢٢ اكتوبر

غادر كيسنجر ومرافقوه إلي موسكو في الثانية من صباح السبت٢٠ أكتوبر بعد نحو أسبوعين تماما من اندلاع الحرب. وقمت بتوصيل السفير السوفيتي أناتولي دوبرنين حيث ان هذه كانت أسرع طريقة له للوصول الي موسكو. وكان من المفترض أن تكون مغادرتي سرية ولكن البيت الأبيض سارع إلي الإعلان أن الرئيس نيكسون أرسلني إلي موسكو لإجراء مباحثات مباشرة مع القيادة السوفيتية حول وسائل إنهاء الأعمال العدائية في الشرق الاوسط.

ومن أجل كسب الوقت أخبرت دوبرنين أنني لم يسبق لي القيام بمفاوضات فور انتهائي من رحلة طيران طويلة تمر عبر توقيتات زمنية مختلفة وأنني لن أكون مستعدا للبدء في المحادثات حتي صباح الاحد بتوقيت موسكو وهو ما يعني بعد ما يزيد علي ستة وثلاثين ساعة، (يتحدث كيسنجر هنا وكأنه ساحر يجب عليه القيام بطقوس معينة قبل البدء في مفاوضات رغم أن القضية شديدة الحساسية. ولكن كانت هذه سمعة كيسنجر بالفعل علي ما يبدو في ذلك الوقت وهو أنه رجل شديد الذكاء تتطلب مجرد موافقته علي التدخل من أجل حل أي مشكلة دولية الكثير من الرجاء وذلك للشعور بأنه قادر علي حل أي أزمة ـ الاهرام) وخلال هذه الفرة، وكما كان كلانا يعرف، فإن الموقف العسكري كان يمكن أن يتغير لمصلحة إسرائيل. ولقد ذكرت دينيتز دائما بأن ينصح بأن تقوم إسرائيل بعملياتها (العسكرية) مع الوضع في الاعتبار أننا لن نستطيع تعطيل صدور قرار بوقف إطلاق النار لمدة أطول من ٤٨ ساعة، ولكن رحلتي إلي موسكو ضاعفت في النهاية هذه الفترة.

وكما اتضح لاحقا فإن الموقف العسكري هو الذي أملي درجة سرعة المفاوضات وعلي الرغم من أنني طلبت من دينيتز أن يحيطنا دائما بتطورات الموقف لحظة بلحظة بينما كنت أقوم بالتفاوض في موسكو، فإننا لم نسمع أي شيء من الحكومة الإسرائيلية بخصوص أي موضوع. **(وهذا سخف لأنه إذا كانت خطوط الاتصال مقطوعة مع الاسرائيليين، فإنها بلا شك لم تكن كذلك مع المسئولين الآخرين في واشنطن الذين كانوا علي دراية بدون شك بتطورات الموقف علي الجبهة لحظة بلحظة ـ الأهرام).**

ووافق السوفيت علي طلب كيسنجر عدم التفاوض بعد رحلة عبر الاطلنطي ولكن علي مضض ووصل كيسنجر ومرافقوه إلي موسكو في الساعة ٧,٣٠ مساء من يوم ٢٠ أكتوبر. وخلال عشاء عمل وبعد اربع ساعات فقط من المفاوضات، كان قد تم الاتفاق علي نص قرار وقف اطلاق النار، وكذلك موافقة الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة علي مفهوم الرعاية للمفاوضات ويقول كيسنجر (ممجدا لنفسه كالمعتاد) ان هذا الأمر كان يعتبر إنجازا قياسيا مع الوضع في الاعتبار ضرورة ترجمة جميع النصوص إلي الروسية وبالعكس، وكذلك انقطاع المفاوضات عدة مرات بزعم رغبة كل طرف في اجراء مشاورات مع أعضاء وفده.

ويقيم هذا الاتفاق بالقول انه كان يمثل تقدما عما كانت تقترحه الولايات المتحدة علي مدي أسبوعين فالاقتراح الأمريكي الأصلي كان يدعو إلي وقف لإطلاق النار يرتبط بإشارة عامة إلي القرار ٢٤٢. وفي أثناء القمة الأمريكية ـ السوفيتية قبل أربعة أشهر (وقامت الأهرام أيضا بنشر محضر الاجتماع بين بريجينيف ونيكسون في ولاية كاليفورنيا في شهر يونيو ١٩٧٣) كان بريجينيف يرفض مجرد مثل هذه الإشارة (إلي القرار ٢٤٢)، وفي ذلك الوقت وأثناء الحرب كان السوفيت يصرون علي أن تقوم سوريا بتقديم تفسير لمعني القرار ٢٤٢ وفرض شروط، بصياغتها السوفيتية، لم تكن تختلف عن البرنامج العربي الراديكالي. وترك النص الذي اتفقنا عليه المجال أمام تفسير القرار ٢٤٢ وفقا للمفاوضات المباشرة التي ستجري بين الاطراف. كما ستقوم الأطراف بالمشاركة، وللمرة الأولي، في مفاوضات مباشرة.

وينهي كيسنجر هذا الجزء من الكتاب بالقول ان الولايات المتحدة نجحت في تحقيق أهدافها:١ ـ قامت بالوفاء بالتزاماتها لإسرائيل ٢ ـ قللت من الدور السوفيتي في المنطقة وأصبحت في موقع يسمح لها بالاستمرار في ذلك وبشكل أكثر سرعة فور بدء مسيرة السلام ٣ ـ حافظت علي علاقات ودية مع العالم العربي. وبناء علي الرسائل التي تلقيتها من حافظ إسماعيل، فلقد كان واضحا أن كافة المجالات مفتوحة أمام حدوث تغير جوهري في موقف مصر القائم علي الاعتماد التام علي التحالف مع السوفيت. ولكن الشرق الأوسط نادرا ما يري الآمال تتحقق بسهولة.

عشاء ثقيل في بيت للضيافة

تمت دعوتي فجأة إلي وجبة أخري خاصة مع بريجينيف في الكرملين في ١١ مساء. ولم يخلو الاجتماع الثاني من الجوانب الغريبة. فلقد كنا نتناول الوجبة الثانية بينما يقوم الطرفان بتقديم الآلاف من الأطنان من الأسلحة يوميا لأطراف متنازعة في حرب قوية، ويحاول كل منا التقليل إن لم يكن إنهاء تأثير الطرف الآخر، وكانت مساهمة بريجينيف في تلطيف الجو قوله أن السوفيت لم يكونوا يقومون بأي شيء غير عادي في جسرهم الجوي والبحري إلي الشرق الأوسط، وانهم كانوا ببساطة ينفذون اتفاقات طويلة المدي عمرها أربع سنوات والتي بمقتضاها يجب علينا إرسال الكثير من البنادق ويقول كسينجر ان القبول بهذا المنطق كان كثيرا بعض الشيء بالنسبة له وأنه اضطر للرد ساخرا بالنسبة لنا، يبدو أنكم تقومون بتنفيذ الاتفاقية الممتدة علي أربع سنوات خلال أسبوعين، ولا شك أن أداؤكم كان رائعا.

عند ذلك أخبرني بريجينيف أنه تلقي رسالة من نيكسون يخطره فيها بأنني لدي الصلاحيات الكاملة (للتوصل لاتفاق) وهو ما حرمني من فرصة طلب اللجوء إلي المزيد من المشاورات مع واشنطن كوسيلة للمناورة في المفاوضات. (وتكشف الوثائق الخاصة بحرب أكتوبر التي تم الإفراج عنها مؤخرا أن كيسنجر شعر بغضب شديد من قرار نيكسون الذي جاء بمثابة مفاجأة بالنسبة له وحرمه من قدرته علي المناورة مما كان سيؤدي إلي تحسين موقف إسرائيل العسكري في أي مفاوضات لاحقة ـ الأهرام) ولكن في جميع الأحوال، علمت خلال ساعات أن واشنطن (الإدارة) لم تكن في موقع يسمح لها مطلقا بمتابعة تفاصيل أي مفاوضات بسبب تطورات فضيحة وترجيت والتي أدت خلال أيام إلي بدء الكونجرس في إجراءات إقالة الرئيس.

ويقول كيسنجر إن الولايات المتحدة علمت من مصادرها الخاصة ان السوفيت رفعوا حالة الاستعداد بين سبع فرق من فرقهم الإحدى عشرة المحمولة جوا. وعلي الرغم من عدم وصول أي معلومات من اسرائيل، فلقد عكست رسالة وصلت لنا من حافظ اسماعيل أن الموقف العسكري كان مناسبا لأهدافنا. وفي هذه الرسالة أخبرنا ان مصر لم تعد تصر علي انسحاب القوات الإسرائيلية بعد التوصل لاتفاق وقف إطلاق النار ولكن باتت توافق علي الربط بينه وبين عقد مؤتمر دولي للسلام لاحقًا.

***

يمر كيسنجر في كتابه مرور الكرام علي الزيارة المهمة التي قام بها لإسرائيل يوم ٢٢ أكتوبر بعد اجتماعاته في موسكو التي توصل خلالها إلي صياغة قرار وقف إطلاق النار. ففي هذه الزيارة التقي رئيسة الوزراء جولدا مائير لإقناعها بالقبول بالقرار وقال لها صراحة إنه علي الرغم من أن القرار يدخل حيز التنفيذ بعد ١٢ ساعة من تمريره في مجلس الأمن فإن بإمكانها مواصلة القتال بينما هو في طريق عودته إلي الولايات المتحدة (الأهرام نشرت النص الكامل لمحضر اجتماع كيسنجر مع مائير الشهر الماضي) واستغلت إسرائيل هذا الضوء الأخضر لتحسن من موقعها علي الضفة الغربية للقناة. وأغضب هذا الخرق الفاضح الرئيس السوفيتي بريجينيف وأعتبر أن الوزير كيسنجر قد قام بخداعه وأتهمه بالتواطؤ مع إسرائيل. ولكن كيسنجر كان يدير الأزمة منذ البداية باعتبار أن هدفه ليس فقط ضمان عدم هزيمة إسرائيل ولكن مساعدتها علي تحقيق انتصار كان يراه ضروريا في إطار مساندته الشخصية لها وكذلك باعتبارها أكثر الحلفاء قربا من الولايات المتحدة وبالتالي لا يمكن السماح بهزيمتها في مواجهة سلاح سوفيتي يحارب به العرب.

ويكتفي كيسنجر بالقول أنه توقف في إسرائيل يوم ٢٢ أكتوبر لتطبيق وقف إطلاق النار ثم عاد إلي واشنطن بعد توقف قصير في لندن حيث التقي نظيره البريطاني أليك دوجلاس هوم. ويضيف أنه بعد ساعات قليلة من النوم تلت وصوله إلي واشنطن في الرابعة من صباح ٢٣ أكتوبر علم أن القتال قد تجدد في الشرق الأوسط. وأعتقد في البداية بأن القتال هو مجرد الاشتباكات التقليدية التي تلي وقف إطلاق النار. ولكن علمنا لاحقا أن الأمر غير ذلك. وفي التاسعة والنصف صباحا أتصل الأمين العام للأمم المتحدة فالدهايم بكيسنجر ليبلغه بأن مصر قد تقدمت بشكوي رسمية من الاختراقات الإسرائيلية لوقف إطلاق النار وطلبت عقد اجتماع لمجلس الأمن. وأقترح فالدهايم الاستعانة بقوة دولية من الدول الاسكندنافية ودول أخري من أجل ضمان تنفيذ وقف إطلاق النار. ورد كيسنجر بأنه سيتشاور أولا مع زملائه ومع السوفيت. وأتصل كيسنجر بديفيد بوبر مساعد وزير الخارجية لشئون الأمم المتحدة والذي نصحه بأن أفضل طريقة لمراقبة وقف إطلاق النار هي الاستعانة بفرق مراقبي الأمم المتحدة الذين كانوا موجودين في قناة السويس قبل اندلاع الأعمال القتالية. ثم أجري مكالمة مع نائب رئيس البعثة السوفيتية يوري فورنتسوف حيث أن دوبرنين لم يكن قد عاد بعد من موسكو. وبعد أن شكره علي ضيافة بريجينيف عاد لتذكيره بأن الاتفاق علي "الرعاية" المشتركة للمفاوضات يجب أن يسبقه تنفيذ الرئيس السوفيتي لوعده بالعمل علي ضمان الإفراج عن الأسري الإسرائيليين (بناء علي اتفاقه مع مائير) وبعد هذه المقدمة أطلعه علي السبب الحقيقي لمكالمته والخاص بتجدد القتال وتبادل الاتهامات بين الطرفين. واقترح أن الطريقة المثلي للتعامل مع الموقف هو إصدار تعليمات لفالدهايم لكي يطالب الأطراف باحترام وقف إطلاق النار فورا كما لن تمانع واشنطن في إرسال مراقبين أو قوة تابعة للأمم المتحدة. وكان من الواضح أن فورنتسوف لم يكن لديه تعليمات بشأن هذه التطورات ولكن عندما أقترح عليه كيسنجر استخدام وسائل الاتصال الخاصة بالبيت الأبيض رفض وقال أنه سيحاول الاتصال بموسكو خلال دقائق. ولفت ذلك انتباه كيسنجر الذي قال أن هذا التصرف أكد له أن دوبرنين وافق علي استخدام اتصالات البيت الأبيض في اليوم الأول للحرب وذلك لكي يؤكد للأمريكيين أنه لم يكن يوجد تواطؤ سوفيتي في الحرب التي شنها العرب.

وخلال خمس دقائق عاد فورنتسوف للاتصال بكيسنجر ولكنه كان يحمل رسالة شخصية له من بريجينيف. واعتبر الوزير الأمريكي أن ذلك الإجراء كان أمرا استثنائيا حيث عادة ما كان بريجينيف يوجه خطاباته إلي الرئيس نيكسون. وخلال ساعة تمت ترجمة الرسالة التي ذكر فيها بريجينيف أن القوات الإسرائيلية كانت تتحرك جنوبا علي طول الضفة الغربية لقناة السويس. وأضاف أن هذه المعلومات وصلت لموسكو من "مصادرها الخاصة الموثوقة" وهو ما فهمه كيسنجر علي الفور أنه إشارة إلي الصور الجوية التي التقطتها طائرات ميج ـ ٢٥ السوفيتية والتي قال أنها كانت تنطلق من المطارات المصرية. ووصف السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي التصرفات الإسرائيلية بأنها "غير مقبولة" و"خداع فاضح" وهو ما اعتبره كيسنجر تعبيرا عن حدوث تغير في الموقف العسكري لصالح الجانب الإسرائيلي بطريقة أزعجت مصر. وأقترح بريجينيف عقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن في الظهر أي خلال فترة لا تتجاوز ساعتين لتأكيد قرار وقف إطلاق النار وتوجيه أمر لكل القوات بالانسحاب إلي الخطوط التي كانت عليها عندما تم تمرير قرار مجلس الأمن (رقم ٣٣٨) في ٢٢ أكتوبر أو قبل ١٢ ساعة من الموعد الذي كان من المفترض أن يدخل فيه القرار حيز التنفيذ. وقال كينسجر أن هذا المطلب السوفيتي كان يمثل خدعة واضحة كان من شأنها أن تدفع الإسرائيليين إلي التراجع كثيرا إلي وراء الخطوط التي بدءوا منها الهجوم (الخرق) لأخير. وتضمنت رسالة بريجينيف نص مشروع قرار اقترح تقديمه إلي مجلس الأمن.

ويقول كيسنجر أن الرسالة السوفيتية كانت تعني أن الولايات المتحدة باتت تواجه معضلة جادة.

وفي الساعة ١١,٠٤ صباحا أجري كيسنجر اتصالا عاجلا مع دينيتز الذي قال أنه لا يعرف مواقع القوات المحددة في ذلك الوقت. ولكن نقل له عن رئيسة الوزراء الإسرائيلية مائير أنها "تؤكد شخصيا وبأمانة وبإخلاص أن أيا من التحركات الجارية علي الجبهة المصرية لم نبدأها نحن". ويعلق كيسنجر علي هذه الرسالة قائلا أنه "مع كل الإعجاب الذي كنت أحمله لجولدا فلقد شعرت أنها تفترض في السذاجة لتصديق مفهومها لكلمة البدء. فلم يكن من المعقول أن يبادر الجيش المصري الثالث بشن هجمات في أعقاب وقف إطلاق النار وأن يسعي بعد ذلك إلي الطلب من كل الأطراف التي يمكن الاتصال بها من أجل الحصول علي قرار وقف إطلاق نار ثان بينما هو يقوم بإطلاق النار علي

إسرائيليين مسالمين كل ما يقومون به هو الدفاع عن مواقعهم. ولكن لم يكن ذلك هو الوقت المناسب للخوض في نقاشات نظرية وكنا بحاجة للوقت لتقييم الخيارات المطروحة (ولم يقر كيسنجر هنا في كتابه بأنه كان السبب الرئيسي وراء ذلك الخرق الإسرائيلي لوقف إطلاق النار وربما لم يكن يتصور حين قال لجولدا مائير انه بإمكانها مواصلة القتال بينما هو في طريق عودته للولايات المتحدة أن توسع إسرائيل من هجومها بتلك الطريقة الأهرام).

وفي الساعة ١١,٢٥ صباحا يجري كيسنجر مكالمة مع فورنتسوف يطلب منه تأجيل اجتماع مجلس الأمن. ويتهكم المسئول السوفيتي متسائلا إن كان ذلك بغرض تمكين إسرائيل من الاستيلاء علي ٥٠ ميل إضافية ولكن كيسنجر يقول أنه يطالب بتأجيله لمدة ساعة واحدة فقط. ويصر فورنتسوف علي عقد الاجتماع في الساعة ١٢ ظهرا قائلا إن أي تأجيل لن تنظر له الدول العربية بطريقة جيده وذكره بان اجتماعات مجلس الأمن لا تبدأ في موعدها تمام بأي حال من الأحوال واقترح إمكانية تأجيل التصويت بدلا من تأجيل موعد بدء الجلسة. كما أثار كيسنجر اعتراض بلاده علي مطالبة نص مشروع القرار السوفيتي بعودة الأطراف المتحاربة إلي الخطوط التي تزامنت مع لحظة تمرير قرار وقف إطلاق النار واقترح تغيير النص إلي "الانسحاب إلي الخطوط التي تتزامن مع اللحظة التي دخل فيها القرار حيز التنفيذ (بعد ١٢ ساعة من تمريره وفقا لوجهة النظر الأمريكية).

ثم يناقش كيسنجر نص مشروع القرار السوفيتي مع السفير الإسرائيلي دينيتز ويؤكد له أن بلاده لن تقبل بالصياغة الخاصة بالانسحاب إلي خطوط لحظة تمرير قرار وقف النار ولكنه في نفس الوقت كان يري من الصعب رفض ما ينص عليه القرار الجديد من مطالبة الأطراف الإلتزام بخطوط وقف إطلاق النار عند دخوله حيز التنفيذ. كما أطلعه علي موافقة واشنطن علي الاستعانة بمراقبين تابعين للأمم المتحدة ووعده دينيتز بالاتصال بإسرائيل للحصول علي تعليمات. وفي نفس الوقت واصل كيسنجر جهوده للتوصل إلي صياغة مشتركة للقرار مع السوفيت حيث أتصل بفورنتسوف في الساعة ١١,٣٢ صباحا.

ك: أردت إخطارك بأننا سنرد عليكم خلال نصف ساعة أو ٤٥ دقيقة ولكن لا بد أن ينص القرار علي الانسحاب إلي الخطوط التي تزامنت مع دخول القرار حيز التنفيذ.

ف: إذن الأمر أصبح نهائي الآن.

ك: ليس نهائيا بعد ولكن هذه صياغة واحدة ننظر فيها الآن. وهناك نقطة أخري اقتراحكم يشير إلي الاستعانة بمراقبي الأمم المتحدة الموجودين الآن في القاهرة ونحن نقترح "استخدام كل الموظفين التابعين للأمم المتحدة في الشرق الأوسط ولكن مع إعطاء الأولوية لأولئك الموجودين (في القاهرة) أعني أولئك الموجودين في القدس علي سبيل المثال.

ف: ولكنك لا تفكر في ذلك بالنسبة للجبهة السورية

ك: لا. نحن نتحدث عن الموقف في مصر.

وعند الظهر يتصل دينيتز بكيسنجر ليبلغه برسالة وصفها بأنها "معقدة". وكان مضمون الرسالة أن القوات الإسرائيلية لن تنسحب من المواقع التي تحتلها الآن. وتري الحكومة الإسرائيلية أنه لا يمكن لأحد أن يحدد علي وجه الدقة الخط الذي كان قائما عند وقف إطلاق النار وبالتالي لا يمكنها الانسحاب إليه. ولم تساهم هذه الرسالة في التوصل لحل للمشكلة التي كانت قائمة في مجلس الأمن وكل ما تمكن منه كيسنجر هو إصدار تعليمات إلي سكالي مندوب الولايات المتحدة هناك بأن يعمد إلي التعطيل حتي يتم اتخاذ قرار.

ولكن في الساعة ١٢,٣٦ ظهرا تصل رسالة عاجلة أخري من بريجينيف هذه المرة موجهة إلي نيكسون شخصيا. وكانت رسالته ساخنة أتهم فيها إسرائيل بـ"الخيانة" وقدم تعهدات مؤكدة من القادة العرب باحترام خط وقف إطلاق النار. ولكن كيسنجر رأي أن سخونة الرسالة جاءت علي حساب الدقة حيث أغفل بريجينيف الإشارة إلي القضية الأساسية التي كانت تعطل التوصل إلي اتفاق أي تلك الخاصة بمطالبة إسرائيل بالانسحاب وتحديد الخط الذي ستعود إليه. وكان كل ما تركز عليه رسالة الزعيم السوفيتي هو المطالبة بوقف القتال. ويقول كيسنجر أنه بناء علي ضمان

سوفيتي ـ أمريكي غير موجود لاتفاق وقف إطلاق النار ربما تقدم به السوفيت لإقناع المصريين علي القبول بالاتفاق الأول لوقف إطلاق النار ـ طالب بريجينيف باتخاذ "أكثر الإجراءات حسما" و"بدون تأخير" لفرض وقف إطلاق النار. وكان تقييمي هو أنه لو كان كل ما يطالب به هو مجرد وقف لإطلاق النار فإن ذلك سيكون سهلا نسبيا. إما إذا تمت المطالبة بانسحاب إسرائيلي فكان ذلك يعني الدخول في مرحلة حرجة. واستغل كيسنجر هذه الثغرة ليقوم علي الفور بإرسال رد إلي موسكو باسم الرئيس نيكسون:

"أود أن أؤكد لكم أننا نتحمل المسئولية الكاملة من أجل التوصل إلي إنهاء كامل للأعمال العدائية من قبل إسرائيل ومعلوماتنا الخاصة تشير إلي مسئولية الجانب المصري عن خرق قرار وقف إطلاق النار **(وذلك رغم أن كيسنجر نفسه أقر أن هذا الافتراض كان ساذجا بحكم ما يجري علي أرض المعركة ـ الأهرام)** ولكن ليس هذا هو الوقت المناسب لمناقشة هذا الأمر. ولقد أصررنا في اتصالاتنا مع إسرائيل أن تتخذ خطوات فورية من أجل وقف الأعمال العدائية وأطالبك بأن تتخذ إجراءات مماثلة مع الجانب المصري".

٣٣

السادات يبعث برسالة إلى نيكسون يطالبه بالتدخل لوقف إطلاق النار ويقترح إرسال قوة مشتركة مع السوفيت

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الاثنين ١٠ نوفمبر ٢٠٠٣م - ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ

في هذه الحلقة الثالثة والثلاثين يواصل هنري كيسنجر سرد محادثاته الهاتفية مع أطراف النزاع في يوم ٢٣ أكتوبر (اليوم الثامن عشر للحرب) حيث يبدأ بمحادثته مع يوري فورنتسوف نائب رئيس الوفد السوفيتي بالأمم المتحدة، لكي يبلغه بضرورة الوقف الفوري لجميع الأعمال العسكرية علي الجبهتين المصرية والسورية، ثم يتحدث إلي المندوب الأمريكي بالأمم المتحدة لكي يبلغه بقرب التوصل إلي قرار مشترك مع السوفيت.. ويتصل بعد ذلك بوزير الدفاع الأمريكي جيمس شيلزنجر لكي يبلغه بضرورة استمرار الجسر الجوي الذي يمد إسرائيل بالأسلحة الأمريكية، وذلك علي الرغم من تعالي الأصوات في الكونجرس للمطالبة بإنهاء هذا الجسر بعد التوصل في الأمم المتحدة إلي قرار لوقف إطلاق النار.

كيسنجر ـ فورنتسوف الساعة ١,٣٥ بعد الظهر.

ك: دعني أخبرك بما لدينا في مشروع القرار: تأكيد القرار الخاص بالوقف الفوري لكافة الأعمال العسكرية والمطالبة بأن تعود قوات الجانبين إلي المواقع التي كانت عليها عند دخول قرار وقف إطلاق النار حيز التنفيذ. نحن علي استعداد للقبول بذلك وأن يصدر كقرار مشترك. والفقرة الثانية تشير إلي الاستعانة بكافة المراقبين في الشرق الأوسط والقاهرة.

ف: سوف أتحدث مع جوزيف ماليك (المندوب السوفيتي في مجلس الأمن) وأعاود الاتصال بك.

ك: كما أننا نعلق اهمية كبيرة علي التفاهم الذي توصلنا له مع السكرتير العام (بريجينيف) بخصوص تبادل الأسري.

ف: سأكرر الرسالة إلي موسكو.

ثم يتحدث كيسنجر مع سكالي ليبلغه بقرب التوصل إلي قرار مشترك مع السوفيت ويطلب منه أن يهدأ من روع المندوب السوفيتي لدي مجلس الأمن ماليك ويقول مازحا "وإلا سأقوم بإرساله إلي سيبريا. أنا أعرف بريجينيف أكثر مما يعرفه هو. وأساله إن كان قد سبق له تلقي قبلة علي الفم من بريجينيف كما حدث معي. لقد تقدمنا باقتراح جديد وأعتقد أنه (ستتم الموافقة عليه)".

ولم تمض خمس دقائق حتي قام فورنتسوف بالاتصال بكيسينجر ليبلغه موافقة موسكو علي التعديلات الأمريكية علي نص القرار.

ويقول كيسنجر إنه من خلال هذه المجهودات كان يعتقد أنه منح إسرائيل أكبر درجة من المرونة لتحسين موقفها في أي مفاوضات قادمة. "ولكنها كانت تطلب ما لم يمكننا منحه". واتضح ذلك من خلال برقية عاجلة أرسلتها مائير إلي كيسنجر بعد ظهر ذلك اليوم تنتقد فيها بغضب مشروع القرار الجديد وتصفه بأنه جهد أمريكي ـ سوفيتي

مشترك لفرض حل علي إسرائيل. وتقول: "من غير الممكن لإسرائيل أن تقبل مرة بعد أخري مواجهة الإنذارات الروسية والمصرية والتي تقوم الولايات المتحدة بالموافقة عليها بعد ذلك". ويعترف كيسنجر بأن مائير كانت تبالغ وأنه "لم يكن من الممكن اعتبار مطالبة إسرائيل ومصر وقف إطلاق النار والتفاوض علي العودة إلي الخطوط التي كانت قائمة عندما دخل الاتفاق حيز التنفيذ بمثابة إنذار خاصة أن الولايات المتحدة كانت حريصة علي عدم تحديد الخط الذي يجب العودة إليه كما واصلت الجسر الجوي بكامل قوته". وفسر رد فعل إسرائيل بأنه كان تعبيرا واضحا عن الإحباط الذي عانوا منه علي مدي الأسابيع الثلاثة الماضية. وأبلغت مائير الأمريكيين أنها لن تلتزم بمشروع القرار المقترح أو حتي تقبل الحديث عنه.

"وكان واضحا أن إسرائيل كانت مصممة علي أن ينتهي القتال بهزيمة مصر. ولم يكن لدينا أي مصلحة في أن نسمح بتدمير السادات نتيجة لتحدي إسرائيل لاتفاق وقف إطلاق نار قمنا نحن بالتفاوض عليه ورعايته. ولو لم تكن إسرائيل تشعر بالاهتزاز نتيجة لأحداث الأسابيع الماضية لكانت قد تفهمت أيضا أن ما كانت تطالب به من شأنه عمليا أن ينهي أي أمل من البدء في جهد دبلوماسي وسيؤدي إلي حرب متواصلة. كما أن الاحتمالات كانت تشير إلي أنه إذا سقط السادات فسيحل مكانه غالبا قائد موال للسوفيت. ومن ناحية أخري فإن السوفيت كانوا سيقومون تدريجيا مع الوقت بإعادة بناء بديل للجيش الثالث وعاجلا أم آجلا كانت ستندلع حرب مصرية - إسرائيلية جديدة نواجه من خلالها نفس المعضلات التي ما كدنا ننجح في احتوائها. وكانت مسيرة السلام التي تهيمن عليها الولايات المتحدة ستنتهي قبل أن تبدأ وإذا تم إحياؤها في مستقبل غير معروف فستتم في ظل ظروف رعاية أقل تفضيلا".

وفي الساعة ٣,٠٢ بعد الظهر اتصل كيسنجر بشليزنجر وزير الدفاع وكان أهم ما ركز عليه ضرورة مواصلة الجسر الجوي وذلك بعد أن تعالت أصوات في البنتاجون تطالب بضرورة وقفه بعد التوصل إلي وقف إطلاق نار في الأمم المتحدة.

شليزنجر: لدينا الآن مشكلة فيما يتعلق بمرحلة ما بعد اتفاق وقف إطلاق النار.

ك: إننا نعمل علي حل المشكلة وسنتقدم بمشروع قرار مشترك في الرابعة مع الاتحاد السوفيتي.

ش: إن سؤالي يتعلق بالجسر الجوي.

ك: يجب أن ندعه يتواصل حتي نتمكن من السيطرة علي الجوانب الأخري.

ش: إذن عندما يتوقف (السوفيت) نتوقف نحن.

ك: لقد تقدمنا باقتراح ولا بد من أن نتمسك بموقفنا. إذا أوقفنا الجسر الجوي من جانب واحد الآن فذلك سيكون أمرا سيئا.

ش: بالتأكيد. المصريون الآن مهتزون بعض الشيء.

ك: لا أعتقد ذلك.

ش: تقترح أن نبقي متمسكين بموقفنا في نفس الاتجاه.

ك: هل تعتقد أننا ارتكبنا خطأ بالمشاركة في قرار يدعو إلي وقف جديد لإطلاق النار (بافتراض أن ذلك في غير مصلحة إسرائيل).

ش: أنا لا أعرف في هذه المرحلة.

ك: بافتراض أن السوفيت تقدموا بمفردهم باقتراح لوقف إطلاق النار هل كنا سنعترض عليه (ممارسة حق الفيتو)

ش: لا لا يمكننا القيام بذلك.

ك: إذا قمنا بذلك فسنقع في مشاكل مع العرب.

ش: عنوان اللعبة هو أن نبقي الجسر الجوي قائما.

وفي الساعة ٤,٢٠ مساء يجري كيسنجر مكالمة تتناول أيضا قضية الجسر الجوي مع نائبه سكوكروفت.

سكوكروفت: أعرف أنك تحدثت مع شليزنجر. الكل يريد وقف الإمدادات.

ك: سوف أتحدث معهم.

ش: إن البنتاجون يحتاج إلي التهدئة. إنهم ليسوا علي دراية بما يجري ويتساءلون عن سبب استمرار الجسر الجوي بينما هناك اتفاق لوقف إطلاق النار.

ك: لتقل لهم علي الأقل أن ينتظروا حتي أقوم بالاتصال بهم. لماذا نقوم بوقف الدعم لإسرائيل بينما لم يقم الروس بوقف دعمهم للعرب

وفي الساعة ٥,٠٩ بعد الظهر يعاود كيسنجر الاتصال بلشيزنجر ليبلغه استياءه من تصريح أدلي به مسئول في البنتاجون لإحدي وكالات الأنباء يقول إنه "بعد أن بدأ السوفيت في التراجع (في دعمهم العسكري للعرب) فإننا سنتراجع أيضا." ويقول "هل بإمكانك أن تقول لرجالك أن يلتزموا الهدوء.

إننا نحتاج إلي استمرار الجسر الجوي إلي إسرائيل مع تواصل الأزمة. وأنت ستبقي الجسر قائما بأقصي طاقته.

وردا علي سؤال من وزير الدفاع حول سير وقف إطلاق النار يجيب كيسنجر "نحن نحقق انتصارات كبيرة ولكن الضغوط الضخمة ستأتي عندما نبدأ في مفاوضات السلام."

وفي الساعة ٦,٥٠ مساء يجري كيسنجر اتصالا بنيكسون الغارق في أزمته الداخلية. ويبدأ الحوار بمحاولة رفع معنوياته بالقول إنه تلقي رسائل من الكثير من الصحفيين يشيدون فيها بطريقة تعامله مع الأزمة.

نيكسون: إذا قارنا ما حدث بالأزمة الكوبية فسنجد أن الروس لم يكن من الممكن أن يقوموا بالاتصال بكينيدي. ولكنهم في الشرق الأوسط فعلوا ذلك وبعد قيامنا بتحريك طائراتنا لم يعد أمامهم خيار.

ك: هذه هي نقطتي الرئيسية. (تحقيق انتصار علي السوفيت)

ن: لا شك أنهم أدركوا أن الأمر تطلب بعض الشجاعة للقيام بذلك.

ك: لا يوجد شك. لقد كان انتصارا رائعا.

ن: إن الاتفاق الذي تفاوضت للتوصل إليه كان رائعا. وتغيير الصياغة إلي الاكتفاء بمطالبة الأطراف (بدلا من الزامهم) كانت جيدة للغاية.

وفي الساعة ٨,٢٨ مساء يتصل كيسنجر برئيس هيئة الأركان المشتركة الجنرال توماس مورار ليشدد مجددا علي ضرورة استمرار الجسر الجوي و "ألا يتم تخفيضه سواء من ناحية الكمية أو عدد الطلعات... نحن لن نقوم بتخفيض الجسر الجوي. وإذا وصلتك أي أوامر بعكس ذلك فلتبلغني وسأقوم بتوصيل ذلك الشخص إلي مكتب الرئيس. أود التيقن من أن الكميات ومعدل الطلعات الجوية تسير بنفس المعدل الذي وعدناهم به".

وكان السفير السوفيتي دوبرنين قد عاد إلي واشنطن وأجري المحادثة التالية مع كيسنجر في الساعة ٧,١٠ مساء.

د: عندما غادرت موسكو كان كل أعضاء المكتب السياسي يشعرون بالرضا. ولكن الآن الموقف يبدو سلبيا بعد رحلتك لإسرائيل وكل التطورات اللاحقة.

ك: لدينا الآن مشروع قرار جديد. هل اتفقتم علي شيء مع المصريين

د: النقطة الوحيدة التي أثارت دهشتي رفضك للفقرة الثانية الخاصة بعودة القوات إلي خط وقف إطلاق النار الذي تم الاتفاق عليه.

ك: أولا هذا غير صحيح. الصعوبة غير العادية تكمن في تحديد مكان الخط. لم نكن نريد الدخول في مشكلة حول موقع الخط.

د: الأمر يبدو جيدا مرة ثانية. هل أصابتك الدهشة (من الهجوم الإسرائيلي)

ك: لم يكن لدي أي علم بالأمر (بالطبع كان هذا غير صحيح في إطار الضوء الأخضر الذي منحه شخصيا لمائير لمواصلة القتال).

د: ما هو الموقف علي الجبهة؟

ك: الإسرائيليون يقسمون علي أن المصريين هاجموهم أولا (رغم عدم قناعته شخصيا بهذه الحجة). لا يوجد لدينا معلومات مستقلة.

د: ولكن ما هو الموقف. هل يتواصل القتال أم توقف؟

ك: أعتقد أنه توقف. لقد طالبنا الإسرائيليين بأقوي الكلمات أن يتوقفوا.

د: وهل بدأوا في العودة إلي الخطوط التي كانت قائمة يوم الأحد؟

ك: هم يقولون أنهم سيوافقون علي ذلك. ولكن من يعرف أين كانت هذه المواقع؟ أعتقد أنهم لن يوافقوا أبدا.

د: ألا توجد لديكم صور استطلاعية من الجو

ك: لم نقم بأية عمليات استطلاع جوي. لنقل أننا لا نعرف حقيقة الموقف بصراحة. لقد أرسلنا لهم (إسرائيل) اليوم رسالتين عاجلتين نطالبهم بالتوقف. كما اجتمعت بالسفير الإسرائيلي هنا لأطالبه بالتوقف.

د: لقد كان هناك اتفاق بينك وبين بريجينيف أن يتم وقف القتال خلال ١٢ ساعة (من تمرير القرار).

ك: إن مشروع القرار كان يطالب بالعودة إلي الخطوط التي كانت متواجدة عندما تم الاتفاق علي تمرير القرار. وكنا غير راغبين في الموافقة علي شيء لا يمكن لأحد تنفيذه. المصريون يقولون شيئا والإسرائيليون يقول شيئا آخر وأنتم لا تعرفون ونحن لا نعرف. ولكن لم يكن من السهل إقناع طرف يحقق تقدما بقبول وقف إطلاق النار. بدءا من ذلك الوقت كانت إسرائيل تحقق انتصارا ولكننا وافقنا علي القرار رغما عن ذلك.

د: نحن لم نتفق في موسكو علي تحديد الطرف الذي كان يحقق انتصارا في الحرب.

ك: لقد بذلنا مجهودا كبيرا للتوصل إلي اتفاق.

د: إنني أكثر قلقا علي التفاهم بيننا الآن أكثر مما هو الموقف مع العرب...

ك: لقد أمضينا اليوم بأكمله لإقناع الإسرائيليين بالتوقف ونعتقد أنهم توقفوا الآن. كما أعتقد أننا تمكنا من إقناع الإسرائيليين من ناحية المبدأ بقبول رعايتنا المشتركة.

د: هل وافقوا علي هذا الأمر؟

ك: ليس مائة في المائة ولكن إذا تمكنا من تسوية القضية الخاصة بسجناء الحرب فأعتقد أنهم سيوافقون. (استراتيجية كيسنجر الكلاسيكية في الحصول علي تنازلات مقابل أي وعد يتقدم به). لقد تحدثت مطولا مع رئيسة الوزراء ولقد أرسلت خطابا بهذا المعني لبريجينيف.

ثم تنتهي المكالمة بتأكيد الطرفين علي أهمية استمرار التنسيق بينهما في هذه المرحلة ويشدد دوبرنين علي أهمية التزام كيسنجر بالاتفاق الذي توصل له مع بريجينيف. ويرد قائلا: "أنا لن أقوم بخداع بريجينيف. سيكون هذا أغبي شيء يمكنني القيام به. حتي لو انتصرنا في هذه المرة فلن يكون من الممكن إقامة علاقة ثقة بيننا مجددا. لا يمكننا السيطرة علي كل شيء يقوم به الإسرائيليون وهم يقسمون أن المصريين هم الذين بدأوا".

ولكن كيسنجر يقر لاحقا بأنه كان علي دراية بأن الموقف كان قد تدهور علي الجبهة بطريقة تفوق كثيرا ما عبر عنه في محادثته مع دوبرنين. ففي الثالثة والربع من ظهر نفس اليوم وصلت رسالة مباشرة عاجلة من الرئيس السادات إلي نيكسون وكانت هذه هي المرة الأولي التي يقوم فيها الرئيس المصري بذلك مما عكس خطورة الموقف.

وفي هذا الرسالة قدم السادات اقتراحا اعتبره كسينجر غير عادي ويقضي بأن تقوم الولايات المتحدة التي لم تكن تحتفظ بعلاقات دبلوماسية مع مصر في ذلك الوقت بـ "التدخل بشكل فعال حتي لو تتطلب ذلك استخدام القوات بغرض ضمان التنفيذ الكامل لقرار وقف إطلاق النار وفقا للاتفاق الذي تم التوصل له بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي". ومضي الخطاب "ليدعي" غالبا بناء علي سوء تقديم الموقف من الجانب السوفيتي أن الولايات المتحدة قدمت "ضمانا" لوقف إطلاق النار. (ومن الغريب أن يعتبر كيسنجر ما احتواه خطاب السادات "ادعاء" إذ كيف كان يمكن النظر إلي مشروع قرار مشترك تقدمت به القوتان العظميان في ذلك الوقت إلا أنه ضمان لوقف إطلاق النار من الطرفين ـ الأهرام).

ويقول كيسنجر إن الاقتراح المصري كان يعني عمليا وضع قوات أمريكية في مواجهة حليفتنا إسرائيل وكان هذا أمر يصعب الموافقة عليه بنفس درجة صعوبة الموافقة علي مطالبة إسرائيل بأن نواصل نحن جهودنا الدبلوماسية بينما يقومون هم بانتهاك اتفاق وقف إطلاق النار الذي قمنا بالتفاوض للتوصل له. وكان قرار كيسنجر الالتزام بنفس السياسة وهي العمل علي وقف القتال "علي أن نقوم لاحقا بتشجيع عقد مفاوضات حول مواقع وقف إطلاق النار". ويضيف أنه لما كان يعتقد أن الأمر يتعلق بعدة أميال فإنه طالب السفير الإسرائيلي دينيتز كذلك بالتراجع لعدة مئات من الأمتار وذلك لتأسيس المبدأ (الانسحاب إلي خطوط وقف إطلاق النار عندما دخل الاتفاق حيز التنفيذ). ويعده دينيتز بإبلاغ هذه الرسالة إلي مائير.

وينصحه كيسنجر بتأخير هذا التحرك حتي آخر لحظة ممكنة "فالوقت المناسب للقيام بتحرك هو آخر لحظة قبل أن يتم إجبارك علي القيام بذلك ثم ليكتشفوا هم لاحقا ما قمت أنت به للتو. ولكن إذا قمت بالانسحاب عدة مئات من الأمتار الآن فسيزيدون من ضغوطهم. أوقفوا القتال غدا وبعد ذلك فليعلن أحد أنه بدءا من يوم الخميس ستبدءون في العودة إلي المواقع الأصلية".

وفي الساعة ٨,٣٠ مساء يعاود دينيتز الاتصال بكيسنجر ليبلغه تعهدا من مائير إلي مصر والسوفيت بأنه "إذا توقف المصريون عن إطلاق النار فلن نطلق النار نحن أيضًا. وتضيف أنها تقدم تعهدًا شخصيًا لك بأنه إذا أعطت مصر تعليمات بوقف القتال ونفذتها فإننا لن نقوم بإطلاق النيران وبغض النظر عن المكاسب التي يمكننا تحقيقها".

ك: ولكن النقطة الأولي هي نفس النقطة الثانية.

د: لا في الثانية تقدم لك تعهدا شخصيا.

ك: ويمكننا إبلاغ الروس والمصريين أننا لدينا تعهدات منكم.

د: إذا أعطوا أوامر بوقف النار ونفذوها فإننا لن نطلق النار. وهي تقول أننا سنتوقف علي الرغم من أن هذا سيضر بموقفنا علي الجبهة. لقد قرروا (في إسرائيل) إعطاء وقف إطلاق النار فرصة. لقد كان المصريون هم من قرروا خرق وقف إطلاق النار.

ك: سأقول لك ما كنت سأقوم به لو كنت مستشار الأمن القومي الإسرائيلي...

د: لقد طلبت مني (مائير) أن أبلغك أن ذلك الأمر الخاص بعدة مئات من الأمتار غير مجد. فالمصريون والروس يعرفون أين كانت مواقعهم. ولقد اقترحت التكتيك التالي: أننا راغبون بأمانة وبصدق في القبول بوقف إطلاق النار وفورا. ولكن المصريين واصلوا القتال ونتيجة لذلك تم الاستيلاء علي أراض جديدة.

ك: إنها هي المسئولة عن شئون إسرائيل.... ولكننا في موقف صعب فيما يتعلق بهذا الأمر. لن نقول من هو الطرف المسئول عن بدء القتال.

وفي الساعة ٨,٢٥ مساء يتصل كيسنجر بدوبرنين ليبلغه بالرسالة التي وصلته من مائير ويطلب منه إقناع المصريين بإصدار قرار ثان بوقف القتال.

د: الخطوة التالية ستكون العودة إلي الخطوط التي حددها القرار.

ك: هذه هي القضية التالية. كل ما طالب به السادات هو وقف إطلاق النار.

د: التوقف ثم العودة إلي حيث كانوا.

ك: النقطة الأولي هي وقف القتال.

د: لا يوجد شيء آخر أرغب فيه.

ك: حتي الآن ما أفهمه هو أنهم (الإسرائيليون) سيواصلون التقدم.

د: سأتصل بموسكو في هذا الشأن.

ك: وبعد ذلك سنري ما سنقوم به بشأن الخطوة التالية.

ويقول كيسنجر إن اقتراح إسرائيل الذي بدا متراجعا بشأن إصدار أوامر لقواتها بوقف إطلاق النار لم يكن ليقبله المصريون. فحتي لو قام الإسرائيليون بوقف القتال فلقد كان من المؤكد أن الجيش الثالث سيحاول الخروج مما يعني تجدد القتال. وبات مؤكدا أن يؤدي قرار إسرائيل إلي أزمة كبيرة والتي كانت ستؤدي "لو تم الضغط علينا بشكل كبير إلي التمسك بما قمنا بالتفاوض بشأنه في موسكو". (وهنا إقرار آخر من كيسنجر بأن إسرائيل هي التي قامت بخرق الاتفاق وليس الجانب المصري). وركزت استراتيجية الولايات المتحدة علي التوصل لوقف إطلاق النار أولا قبل التعامل مع موقف الجيش الثالث. وتصاعد التوتر مع مرور اليوم.

الرابع والعشرين من أكتوبر

بدأ اليوم بمكالمة مع دوبرنين في الساعة ٩,٤٥ صباحا

ك: أناتولي يبدو أن المجانين في الشرق الأوسط قد بدأوا مرة أخري. لقد وصلتنا رسالة هذه المرة بشأن الضفة الشرقية. الضفة الغربية هادئة الآن.

لقد وصلتنا للتو رسالة من الإسرائيليين يدعون فيها تعرضهم للهجوم. والمصريون لا يقولون من الذي يقوم بالهجوم. أريدك أن تعرف ما قمنا به. قمنا أولا بإرسال خطاب للإسرائيليين نطالبهم فيها بالتوقف وذكرناهم بأن لدينا تعهدا منهم أنهم سيلتزمون بمواقع دفاعية. كما أرسلنا خطابا للمصريين والذي سأقوم بإرسال نسخة لك منه نقول فيه أننا سنعارض تماما أي هجمات إسرائيلية جديدة ونوصيهم أيضا باتخاذ إجراء مماثل.

وانطباعنا الذي لا نملك أي أدلة مستقلة لتأكيده هو أن المصريين قد يكونوا هم الذين بدءوا بالهجوم ولكننا غير متأكدين...لا بد أن تفهم موسكو أننا لا نمارس أي ألعاب هنا. لقد توصلنا لاتفاق والآن سيتم تنفيذه. لديك تأكيد منا بذلك.

د: سأرسل برقية إلي موسكو

وفي الساعة ١٠,١٠ صباحا يعاود دوبرنين الاتصال بكيسنجر ليبلغه بأنه قد وصلته برقية من موسكو ولكن كيسنجر يخبره أولا بأنه قد توصل إلي اتفاق مع الإسرائيليين علي السماح لملحقين عسكريين أمريكيين مقيمين في تل أبيب بالتوجه إلي الجبهة للتأكد من أنهم لا يقومون بأية أعمال هجومية وأنه قد تم إخطار مصر بهذا التطور. ويسأله دوبرنين عن الطرف الذي قام باتخاذ هذه المبادرة ويرد كيسنجر أنه كان صاحب الاقتراح للتأكد من توقف الإسرائيليين عن القيام بأية هجمات. كما يبلغه بطلب السادات الاستعانة بقوات أمريكية من أجل ضمان نهاية الأعمال القتالية وهو ما يرد عليه دوبرنين مندهشا "هم طلبوا منك ذلك؟".

ولم تمض سوي خمس دقائق حتي يقوم كيسنجر هذه المرة بالاتصال بدوبرنين ليبلغه بأن الإسرائيليين قد أطلعوهم بأن القتال توقف علي الجبهة الشرقية بينما بقي الموقف هادئا علي الضفة الغربية. كما ستقوم الولايات المتحدة بإرسال عشرة مراقبين من تل أبيب لمراقبة الموقف لمدة٤٨ ساعة وذلك حتي تصل قوات مراقبة تابعة للأمم المتحدة مع الاستعداد لتمديد فترة مهمتهم إذا طلب أي طرف ذلك. وفي نفس الوقت يستفسر كيسنجر عن صحة تقرير بأن بريجينيف علي وشك التوجه إلي كوبا وهو ما ينفيه دوبرينين ويعرب عن دهشته من هذا الأمر. كما يخطر الوزير الأمريكي السفير الروسي بخطته التوجه إلي الصين في العاشر من نوفمبر في إشارة واضحة إلي ضرورة الانتهاء من هذه الأزمة الدائرة قبل ذلك الموعد.

٣٤

رسالة شديدة اللهجة من بريجينيف إلى نيكسون

"مسئوليتكم أن تطالبوا إسرائيل بالتوقف فورًا عن الأعمال الاستفزازية"

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الثلاثاء ١١ نوفمبر ٢٠٠٣م - ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ

لم تكد تمضى دقائق قليلة على مكالمة السفير السوفيتى أناتولى دوبرنين مع كيسنجر حتى يعاود دوبرنين الاتصال بكيسنجر ليبلغه في هذه المرة رسالة شديدة اللهجة من بريجينيف إلى نيكسون: "سيادة الرئيس لدينا معلومات محددة أن القوات الإسرائيلية تهاجم الآن باستخدام الدبابات والسفن الحربية القوات المصرية في الضفة الغربية من القناة. وهم يحاولون الاستيلاء على هذا الميناء (السويس) في انتهاج لقرار مجلس الأمن الخاص بوقف إطلاق النار في الشرق الأوسط. وفى نفس الوقت فإن القوات الإسرائيلية تقوم بمهاجمة الجانب الشرقى لقناة السويس وكذلك القوات المصرية جنوب القناة. ولقد قامت إسرائيل بهذه التصرفات العنيفة بعد ساعات قليلة فقط من تأكيد مجلس الأمن للمرة الثانية ضرورة الالتزام المتبادل بوقف إطلاق النار وبعد بيانكم الحازم لنا بأن الولايات المتحدة ستتحمل المسئولية الكاملة لضمان التزام إسرائيل الكامل بوقف إطلاق النار.

"سيادة الرئيس نحن على ثقة بأن لديكم مسئولية لكى توضحوا لإسرائيل أن القوات يجب أن تتوقف فورًا عن الأعمال الاستفزازية. ونود أن نأمل أنكم ونحن سنبقى مخلصين للوعود التي قدمناها لبعضنا البعض وللاتفاق الذى توصلنا له معكم. وسنقدر للغاية تنفيذ ما ورد في رسالتكم بشأن الخطوات التي تتخذونها للتأكد من أن إسرائيل سوف تنصاع للقرار الثانى الصادر عن مجلس الأمن".

ك: أشكرك يا أناتول. سوف نرد على رسالتكم خلال ساعتين فيما يتعلق بالمحتوى. ولكن بداية أود أن تقوم بإبلاغه (بريجينيف) ما يلى: لقد أخبرنا الإسرائيليين أن مواصلة هذه العمليات سيعنى إعادة تقييم شامل لعلاقتنا بما في ذلك قضية الإمداد. ثانيًا أننا طالبناهم بوقف عملياتهم. وثالثًا لقد طالبنا بأن يتيقن المراقبون التابعون لنا بأنهم ليسوا في مواقع هجومية وذلك حتى يتمكن المراقبون التابعون للأمم من الوصول إلى هناك. ورابعًا أن الرئيس شخصيًا اتصل بالسفير الإسرائيلي وأبلغه بنفس النقاط.

د. حسنًا.

ك: كما أرجو أن تبلغ بريجينيف أننا نأمل في أن تستمر نفس الروح التي سادت في مفاوضات نهاية الأسبوع وأننا لسنا متورطين في أي لعبة بهدف الحصول على خمسة أميال وهو أمر لا يعنى شيئًا بالنسبة لنا أو بالنسبة لكم.

وفى نفس الوقت وصلت رسالة من حافظ إسماعيل تفيد أن إسرائيل قامت مجددًا بخرق قرار وقف إطلاق النار الجديد. وتلتها مباشرة رسالة أخرى من السادات إلى نيكسون ويطلب فيها تدخله شخصيًا. واقترح السادات عدة أمور رأى كيسنجر أنها سيترتب عليها عواقب خطيرة ومنها المطالبة بأن ترسل الولايات المتحدة فورًا قوات أو مراقبين إلى الجانب المصرى لضمان وتنفيذ اتفاق وقف إطلاق النار. "وكان الجديد هو ما كنت أخشى حدوثه طوال الأزمة. فلقد أخبرنا السادات أنه قدم نفس الطلب "رسميًا إلى السوفيت. وبعد هذه الرسالة الخاصة من السادات علمت أن القاهرة صرحت علنًا بأنها تدعو لاجتماع لمجلس الأمن للمطالبة بإرسال قوات أمريكية وسوفيتية إلى الشرق الأوسط. وكان من الواضح أننا نرى أزمة كبيرة تظهر أمامنا. فنحن غير مستعدين لإرسال قوات أمريكية

إلى مصر كما لن نقبل بإرسال قوات سوفيتية. فنحن لم نعمل على مدى سنوات من أجل تقليل النفوذ السوفيتى في مصر لكى نقوم لاحقًا بالتعاون على عودتهم من خلال قرار للأمم المتحدة. كما أننا لن نقبل المساهمة في قوة مشتركة مع الروس لأن ذلك كان من شأنه إضفاء الشرعية على دورهم في المنطقة وتقوية العناصر الراديكالية. كذلك كان من الممكن أن يؤدى ذلك إلى إثارة فزع الدول العربية المعتدلة المعادية للسوفيت مثل السعودية والإمارات والأردن والكويت. وقد يثبت لاحقًا أن القوة السوفيتية المقترحة لن يصبح من الممكن إزاحتها وسيكون هناك العديد من الحجج التي ستسمح لها بالتدخل ضد إسرائيل أو ضد الدول العربية المعتدلة في هذه الحالة.

وقررنا مقاومة استقدام قوات سوفيتية إلى المنظمة مهما كانت المبررات وبالقوة لو استدعى الأمر. وأخبر كيسنجر دوبرنين عند لقائهما في الرابعة من ظهر ذلك اليوم أن الولايات المتحدة سترفض أي قرار يطالب أي عضو دائم في الأمم المتحدة بإرسال قوات.

وأول ما قام به كيسنجر كالمعتاد هو الاتصال بالسفير الإسرائيلي دينيتز لاطلاعه على تطورات الموقف.

كيسنجر - دينيتز الساعة ٣,٤٠ بعد الظهر

ك: لقد وصلنا للتو من السوفيت أنباء لا أقول أنها صحيحة ولكنها تفيد بأن قواتكم تواصل هجومها.

د: لقد تحدثت مع إسرائيل قبل خمس دقائق وهم يقولون أن الوضع هادئ وأننا ألغينا حالة الإظلام المفروضة على إسرائيل.

ك: دعنى أوضح لك استراتيجيتنا في الأمم المتحدة. إذا تمت الدعوة لاجتماع سنتخذ الموقف التالى: ١- نحن نساند إصدار أقوى نداء ممكن لاحترام وقف إطلاق النار. ٢- سوف نعارض تمامًا استقدام قوات أمريكية وسوفيتية ما لم تكونوا موافقين على ذلك...

د: لا.. لا.. لا

ك: ٣- سنرحب بتقوية دور الأمم المتحدة من خلال استخدام مراقبين من الدول الاسكندفانية ومن أماكن أخرى. ٤- وفيما يتعلق بقضية العودة إلى الخط الأصلى فإننا نساند المبدأ بقوة ولكننا لا يوجد لدينا أفكار بشأن كيفية تطبيق ذلك. وسنصدر تعليمات لسكالى بأن يتعمد التعطيل وأن يبقى الموقف غامضًا.

د: هل تعرف إذا ما كان أحد سيتقدم بمشروع قرار؟

ك: لا أعرف. لقد دعا المصريون والسوريون إلى اجتماع. سوف أرى دوبرنين في الرابعة وأطالبه بأن لا يقترحوا هذا (إرسال قوة مشتركة) لأننا سنعترض على ذلك. وفى نفس الوقت فلتعطونا أكبر كم ممكن من الضمانات أنكم لن تقوموا بأية أعمال عسكرية.

وفى الساعة ٤,٢٥ مساء يتحدث كيسنجر مع شليزنجر

ك: هل تم السماح لنا بالذهاب إلى الجبهة في إسرائيل؟

ش: لقد تم السماح لنا ولكننى لست متأكدًا أن هذه فكرة جيدة بأى حال.

ك: حسنًا هل توجد أي طريقة نستطيع من خلالها التأكد بأنفسنا أن الموقف هادئ؟ الإسرائيليون يقولون لنا أن هذا هو الوضع بينما السوفيت يقولون أنه ليس كذلك.

ش: يمكننا أن نرسل مراقبين من الأمم المتحدة وهم مستعدون للذهاب. ولقد قلنا لهم أننا سنتولى نقلهم.

ك: لا أود إرسالهم (الأمريكيين) كمجموعة مراقبة رسمية. كما لا أريد إرسال الروس أيضًا. لماذا لا نرسلهم كمجموعة غير رسمية.

ش: المشكلة هي أننا إذا أرسلنا عسكريين أمريكيين إلى هناك فإنهم سيقومون باستغلال ذلك.

ك: هل من الممكن أن نرسل واحدًا فقط من أجل معلوماتنا من دون أن يكون له صفة رسمية لترسل شخصين أو ثلاثة إلى هناك ثم ليعودوا مرة أخرة إلى تلك أبيب فقط لكى أتمكن من أن أقول للسوفيت ما معتقد أنه يحدث هناك. لا يوجد لدى تقييم مستقل.

ثم يتحدث كيسنجر مع ديفيد بوبر مساعد وزير الخارجية لشئون المنظمات الدولية ليناقش معه مجددًا مسألة إرسال الملحقين العسكريين الأمريكيين إلى الجبهة مع التشديد على ضرورة ألا يكون لهم صفة عسكرية وأن يبقوا هناك لفترة قصيرة وذلك في إطار رفضه للاقتراح السوفيتى بإرسال قوات مشتركة إلى هناك. كما طالب بأن تكون مهمتهم مستقلة عن مهمة المراقبين التابعين للأمم المتحدة.

وفى الساعة ٧,٠٥ مساء يتصل دوبرنين بكيسنجر ليعلمه بأن موسكو قررت الموافقة على الاقتراح المصرى بإرسال قوات سوفيتية وأمريكية مشتركة من أجل ضمان تنفيذ وقف إطلاق النار إذا تم طرح ذلك من خلال مشروع قرار جديد في مجلس الأمن. ويرد كيسنجر أن واشنطن لن تقبل ذلك وستمارس حق النقض أو الفيتو وعلق قائلا أنه إذا أصر السوفيت على هذا الموقف فلن يكون من الممكن تجنب مواجهة.

ثم يتصل كيسنجر بسكالى مندوبه في الأمم المتحدة ليبلغه بالتطورات الجديدة ويطلب منه رفض القرار الداعى لإرسال قوات سوفيتية - أمريكية مشتركة وإلقاء خطاب قوى ينتقد فيه القرار. كما يطلعه بأنه سيحاول إقناع دول أخرى دائمة العضوية وتحديدًا البريطانيين برفض القرار. وأبلغه سكالى أن هناك مشروع قرار يجرى تداوله في مجلس الأمن يدعو إلى إدانة إسرائيل والدعوة لإرسال قوات سلام من دول صغيرة من أجل دعم المراقبين. وكان رد فعل كيسنجر هو القول "ولكننا لا يمكننا إدانة إسرائيل هل يمكن ذلك" ويرد سكالى "بالطبع لا". ويضيف كيسنجر أنه لا يفضل عمومًا إرسال قوات حفظ سلام دولية ويحبذ تدعيم فريق الأمم المتحدة الذى كان متواجدًا هناك قبل اندلاع الحرب. وعندما يبلغه سكالى بأن المندوب الصينى في مجلس الأمن تساءل عن موقف الولايات المتحدة من فكرة إرسال قوات سوفيتية إلى المنطقة كرر كيسنجر موقفه بأنه سيرفض ذلك.

وفور انتهاء هذه المكالمة يعاود كيسنجر الاتصال بدوبرنين في الساعة ٧,٢٥ مساء ليناشده مجددًا عدم تقديم القرار الداعى لإرسال قوات مشتركة.

ك: لقد كنت أتحدث مع الرئيس ونحن نريد أن نطالبكم بالفعل ألا تدفعوا الأمور نحو الحد الأقصى لأننا سنمارس الفيتو ضد أي قرار يدعو لإرسال أي قوات عسكرية. ما نحتاجه هو المزيد من المراقبين.

د: عندما كنت في موسكو لم تكن قضية إرسال قوات مطروحة. ولكنهم (القيادة السوفيتية) يشعرون الآن بغضب كبير ويريدون إرسال قوات.

ك: ولكن لماذا من خلالنا ما الذى سيتم تحقيقه.

د: السبب هو أنكم سمحتم للإسرائيليين أن يقوموا بما كانوا يريدونه. لقد كان هناك اتفاق بينك وبين بريجينيف...

ك: ليكن ما يكون ولكن إذا كنتم تريدون مواجهة فسيجب علينا الخوض في مواجهة. ولكن سيكون ذلك أمرًا مؤسفًا.

د: أنت تعرف أننا لا نريد مواجهة.

ك: لا يمكن تجنب تبادل الاتهامات خلال الـ ٢٤ ساعة الأولى بعد التوصل لاتفاق إطلاق النار. لقد تقدمنا سويًا بقرارين مشتركين...

د: سوف أرسل هذه المعلومات لموسكو ولكن التوجيهات صدر بالفعل إلى ماليك المندوب السوفيتى في مجلس الأمن.

ك: سوف نرفض القرار وسيكون من المؤسف أن ندخل في مواجهة.

ثم يتصل كيسنجر باللورد كرومر السفير البريطاني لدى واشنطن ويبلغه بقرار الولايات المتحدة الاعتراض على الاقتراح الداعى إلى إرسال قوات حفظ سلام إلى الشرق بما في ذلك قوات سوفيتية وأمريكية ويطلب منه أن تقوم لندن أيضًا برفض القرار. كم يخطره بأن الصينيين قد يقومون أيضًا برفض القرار.

وفى الساعة ٧,٣٠ يتصل بمساعده سكوكروفت ليؤكد له أن الولايات المتحدة تعترض من حيث المبدأ على فكرة إرسال قوات حفظ سلام وليس فقط إرسال قوات أمريكية. "وحتى لو لم تكن هذه القوات أمريكية أو سوفيتية فإنها ستكون خاضعة للنفوذ السوفيتى". ويطلب منه إبلاغ الصينيين بالموقف الأمريكي.

ثم يتصل بالسفير الإسرائيلي ليطلعه على الموقف وقرار الولايات المتحدة ممارسة حق النقض ضد أي قرار يدعو لإدانة إسرائيل أو إرسال قوات حفظ سلام أو إرسال قوات أمريكية.

وفى الساعة ٧,٥٠ مساء يجرى كيسنجر المكالمة التالية مع ألكسندر هيج:

ك: أردت اطلاعك على آخر تطورات ما يحدث. لقد اتخذ الروس منحى قذرًا بعد أن أدركوا أنه قد تم هزيمتهم. هم يقولون لنا الآن أنهم سيوافقون على مشروع قرار تتقدم به الدول غير دائمة العضوية ١- يدين إسرائيل لانتهاكاتها لقرار وقف إطلاق النار ٢- يطالب بإرسال كتائب من قوات حفظ السلام بما في ذلك قوات سوفيتية وأمريكية ولقد قلت لدوبرنين أن هذا تحرك خاطئ ومثير للغضب. نحن سوف ندين كلا الطرفين ونعارض تمامًا إرسال أي قوات عسكرية.

هيج: هل ذهبوا بعيدًا إلى هذا الحد؟

ك: قد يجب علينا مواجهتهم.

هيج: كنا نعلم أن الأمر لن يكون سهلا.

ك: أعتقد أننا يجب أن نقاوم بصلابة الأظافر الآن.

هيج: بالطبع يجب ذلك. تمامًا.

ك: بالطبع إن الموقف سيكون أفضل كثيرًا لو كان الإسرائيليون توقفوا أمس.

هيج: جاءتنى مكالمة من الرئيس.

ويعود كيسنجر للاتصال بدوبرنين قائلا أن ذلك يتم بناء على توجيه من الرئيس في محاولة جديدة لتجنب مواجهة بين الطرفين في حال أصر السوفيت على تأييد مشروع القرار. ويضيف أن معلوماته تفيد بأن القتال قد توقف في ذلك الوقت. ولكن يبدو أن طلبه جاء متأخرًا حيث أن المندوب السوفيتى في مجلس الأمن ألقى خطابه بعد دقائق من هذه المكالمة بإرسال قوات أمريكية وسوفيتية إلى الجبهة. ويدعو كيسنجر دوبرنين مجددًا إلى "ضبط النفس" وأنه ما زال هناك وقت لتغيير موقفهم حيث أن مشروع القرار لم يطرح للتصويت بعد.

وفى الساعة ٨,٥٢ مساء يتحدث كيسنجر مع سكالى حيث يطلعه على ما جرى في مجلس الأمن.

سكالى: لقد امتنع ماليك بالكاد عن مهاجمتنا مباشرة واكتفى بانتقاد إسرائيل بشدة. كما قال أنه فيما يتعلق بطلب السادات فإنه طلب مشروع تمامًا في إطار ميثاق الأمم المتحدة. وطالب الجميع بقطع العلاقات الدبلوماسية مع

إسرائيل وفرض عقوبات عليها. كما أشار إلى زيارتك إلى تل أبيب وأنك تتحمل مسئولية كبيرة. وهو يعتقد أن الولايات المتحدة في موقع يسمح لها بإجبار إسرائيل على القيام بما ترغب فيه. واتهم إسرائيل بتجاهل قرارات مجلس الأمن. كما انتقد تشكيل قوات المراقبة وألمح إلى أنه يجب إرسالهم إلى هناك ولكن لم يشر إلى ذلك مباشرة. لدى خطاب يمكننى إلقاؤه.

ك: لن أقوم برفض شيء لم يتم اقتراحه من الأساس.

س: لقد طلب الزيات منا ذلك رسميًا في المجلس (إرسال مراقبين).

ك: من الأفضل أن تقوم بإلقاء خطابك.

س: السادات يقول أنه يريد من "القوى العظمى أن تتدخل وتحرك قواتنا إلى هناك".

ويقول كيسنجر أنه بعد ساعة تحولت المواجهة التي كانت متوقعة في مجلس الأمن تحولت إلى مواجهة سوفيتية - أمريكية مباشرة وذلك بعد أن أبلغه دوبرنين بخطاب موجه من بريجينيف إلى نيكسون:

"لنقم سويًا الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وبشكل عاجل بإرسال فرق عسكرية أمريكية وسوفيتية إلى مصر من أجل ضمان تنفيذ قرارات مجلس الأمن الصادرة في ٢٢ و٢٣ أكتوبر (٣٣٨ و٣٣٩) والمتعلقة بوقف إطلاق النار وكل النشاطات العسكرية وكذلك ما توصلنا له من تفاهم معك بشأن ضمان تنفيذ قرارات مجلس الأمن.

"ومن المهم الالتزام بذلك دون تأخير. وسأقول لك بشكل مباشر أنه إذا وجدتم من المستحيل القيام بعمل مشترك معنا فيما يتعلق بهذا الأمر فإننا سنجد أنفسنا مضطرين للنظر بشكل عاجل في اتخاذ الإجراءات المناسبة بشكل منفرد. ولا يمكن لنا السماح بعدم الانصياع من قبل إسرائيل...".

ويرى كيسنجر أن هذه الرسالة مثلت أخطر تحد موجه لرئيس أمريكى من قبل زعيم سوفيتى بدءًا بالطريقة المتعجرفة التي بدأت بها الرسالة في مخاطبة نيكسون فقط "بالسيد الرئيس" ونهاية بخلاصتها المتعجرفة أيضًا والتي طالبت "برد فورى وواضح". وأضاف أن الرسالة طالبت أيضًا ليس فقط بأن تقوم القوات الأمريكية والسوفيتية بفرض وقف إطلاق النار ولكن كذلك بفرض تسوية نهائية وفقًا لشروط لم يتم تحديدها ولكن جرت الإشارة إليها مرارًا من قبل موسكو على مدى ذلك العام والتي قمنا نحن برفضها. كما هددت الرسالة بإرسال قوات بشكل منفرد إذا رفضت الولايات المتحدة ذلك. وحقيقة أن الخطاب الذى أرسل نحو الرابعة صباحًا بتوقيت موسكو كان يعكس مدى توتر القيادة السوفيتية.

وفى الساعة ٩,٥٠ مساء يتصل كيسنجر مجددًا بهيج.

ك: لقد تلقيت للتو رسالة من بريجينيف يطلب منا إرسال قوات مشتركة أو أنه سوف يقوم بذلك منفردًا.

هيج: هذا هو ما كنت أخشه.

ك: أعتقد أنه سيتحتم علينا إظهار الصلابة في هذا الموقف.

هيج: هل هذه الرسالة تأتى ردًا على موقفك المتشدد.

ك: لا. كل ما قلنا أننا سنرفض أي قرار يصدر من الأمم المتحدة. في هذا الشأن وما قالوه هو أنهم سيؤيدون القرار لو تقدم به طرف آخر.

هيج: ما هو موقف الإسرائيليين في هذه اللحظة؟

ك: إنهم يواجهون الجيش الثالث.

هيج: أعتقد أنهم (السوفيت) فقط يقومون بالتهويش. هم لن يقوموا بإرسال قوات إلى الحرب هناك. لا أصدق ذلك.

ك: لا أعرف. ما الذى سيمنعهم من نقل مقاتلين عن طريق الجو إلى هناك؟

هيج: لتفكر فيما سيؤدى إليه ذلك بالنسبة لهم؟ بالطبع حجتهم هي أن الإسرائيليين غير ملتزمين.

ك: أعتقد أن الإسرائيليين يجب أن يتقدموا بعرض للتراجع ولكن سيكون هذا أمرًا خطيرًا لأنهم قد يصرون على تراجعهم إلى خلف النقطة التي كانوا عندها.

هيج: لا نتوقع قيام الإسرائيليين بذلك. هل يعرف الإسرائيليين بما يجرى هل أحطتهم علمًا.

ك: نعم. هل يجب على إيقاظ الرئيس.

هيج: لا.

ثم يتصل كيسنجر بالسفير الإسرائيلي في العاشرة مساء لكى يطلعه فيه على مضمون الخطاب السوفيتى.

د: وما هي نواياهم؟

ك: هم يقولون أن كل ما يرغبون فيه هو وقف القتال.

د: لدى أمران أود لفت انتباهك لهما. لقد تلقيت معلومات للتو أن إحدى وحداتنا المحمولة جوًا في مدينة السويس تتعرض لإطلاق نار منذ ساعة. لقد تمت محاصرة أفرادها ومهاجمتهم بالمدفعية الثقيلة من قبل وحدة الكوماندوز التابعة لهم (المصريين). ما ننوى القيام به هو توفير مساعدة جوية لهم لكى يتمكنوا من الخروج من الحصار.

ك: حسنًا. إذا كان السوفيت قد قرروا التدخل فأعتقد أننا قد نكون قد بالغنا في الموقف أمس (إشارة واضحة من كيسنجر إلى التجاوزات الإسرائيلية التي قررها هو شخصيً غض الطرف عنها - الأهرام).

د: لا أود أن نخوض في ذلك مجددًا.

ك: دعنا نفكر في التكتيكات. لابد أن نقدم لهم شيئًا يظهر أنهم في موقف خاطئ تمامًا. وأود أن أعرف إذا كان من الممكن أن توافقوا على العودة إلى الخطوط التي كنتم عليها قبل أن يبدأ هذا الأمر برمته (خرق إطلاق النار).

د: كيف يمكن القيام بذلك؟ يمكننى إطلاع رئيسة الوزراء على ذلك ولكن باستطاعتى أن أقول لك مقدمًا...

ك: لا يوجد لدى وقت لمثل هذا الكلام..

د: هل سيضع السوفيت قوات لمحاربتنا؟

ك: هذا ليس مستحيلا في الواقع. أعتقد أن هذا هو ما سوف يقومون به. سأقرأ لك نص الخطاب لاحقًا ولكن السوفيت يقولون أنه إذا لم نوافق على وضع قوات مشتركة فهم سيقومون بذلك وحدهم.

د: هل يريدون وضع وحدات للسلام أم للقتال.

ك: هم يتحدثون عن السلام.

د: أنا مجرد ممثل لدولة صغيرة.

ك: أنظر. لا يوجد لدى وقت لمثل هذا الكلام! هم يقولون إذا لم نقم بذلك سويًا فسوف يقومون بإرسال قوات من جانب واحد. إذا لم يكن هناك شيء بإمكانك القيام به فسأقبل ذلك أيضًا. ماذا يجب أن يكون ردنا من وجهة نظرك.

د: سأعرض الأمر على رئيسة الوزراء.

كيسنجر ـ دوبرنين الساعة ١٠,١٥ مساء

ك: نحن على وشك الاجتماع للنظر في خطابكم. وأردت أن أخبرك أنه إذا قمتم بأى تحرك منفرد قبل أن يكون لدينا فرصة للرد فسيكون أمرًا خطيرًا للغاية.

د: نعم حسنًا.

ك: هذا أمر شديد الأهمية. لا تضغطوا علينا. أريد أن أكرر ثانية. لا تضغطوا علينا.

٣٥

أمريكا ترد على "تهديد" بريجنيف بإعلان رفع حالة الاستنفار العسكرى

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الأربعاء ١٢ نوفمبر ٢٠٠٣م - ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ

بعد أن أنهي كيسنجر محادثته مع السفير الإسرائيلي سميحا دينيتز، حيث أطلعه علي مضمون الرسالة ذات اللهجة العنيفة التي وجهها الزعيم السوفيتي بريجينيف إلي الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون.. أجري كيسنجر محادثة مع ألكسندر هيج كبير موظفي البيت الأبيض الذي يبدي تشككه في دوافع السوفيت ويقول أن الغرض من اقتراح إرسال قوة مشتركة قد يكون التمهيد لإرسال قوات سوفيتية لعلمهم أن الولايات المتحدة لن توافق علي ذلك. ويحذر كيسنجر من أن إقدام السوفيت علي هذه الخطوة قد يترتب عليه مواجهة مباشرة بين الطرفين خاصة إذا قاموا بمهاجمة إسرائيل. كما يعبر عن رأيه في أن السوفيت ما كانوا ليقدموا علي هذه الخطوة لو لم يكن الرئيس نيكسون يعاني من أزمة داخلية بسبب فضيحة ووترجيت وبدء إجراءات إقالته. كما يطلع كيسنجر هيج علي تطورات الموقف العسكري ويقول أن إسرائيل تواجه الجيش الثالث في الضفة الشرقية وتحاول قطع طرق إمداده. ويتفق الاثنان علي عقد اجتماع عاجل لمجموعة العمل الخاصة في البيت الأبيض. وينقل كيسنجر عن مذكرات نيكسون قوله أنه عندما أبلغه هيج بالرسالة التي وصلت من بريجينيف طلب منه عقد اجتماع مع كيسنجر في البيت الأبيض "وصياغة الخطط اللازمة للرد بشكل حازم علي التهديد السوفيتي المبطن باتخاذ إجراء منفرد. ولم تكن الكلمات تكفي للتعبير عن موقفنا: كان لا بد من اتخاذ تحرك بما في ذلك إعلان حالة الاستنفار العسكري لإحداث صدمة.

(بقية الحلقة مكررة بالكامل في الحلقة ٣٦)

٣٦

كيسنجر يتفق مع السفير الإسرائيلي على تعطيل التحرك السوفيتى المنفرد

واشنطن: خالد داوود

الأهرام السبت ١٥ نوفمبر ٢٠٠٣م - ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ

وفي الصفحات التالية من الكتاب يروي كيسنجر تفاصيل اجتماع "مجموعة العمل الخاصة" الذي ترأسه وبدأ في الساعة ١٠,٤٠ من مساء الأربعاء ٢٤ أكتوبر وانتهي في الثانية من صباح الخميس أي نحو ثلاثة ساعات ونصف. وكانت النتيجة التي خلص لها كبار المسئولين في وزارة الخارجية والدفاع ومجلس الأمن القومي ووكالة المخابرات المركزية هي أن الرد المناسب علي رسالة بريجينيف هو رفع حالة الاستعداد الدفاعي إلي الدرجة الثالثة DefconIII (في مقياس من خمسة وفي الوقت الذي كانت معظم القوات الأمريكية في حالة الاستعداد الرابعة أو الخامسة). ويعني هذا القرار اتخاذ أقصي حالات الاستنفار العسكري في وقت السلم ويتضمن وضع الوحدات النووية كذلك في وضع استعداد. كما تم إصدار الأوامر لقوات وناقلات حربية بالتوجه نحو منطقة الشرق الأوسط لإبلاغ رسالة واضحة إلي موسكو أن الولايات المتحدة لا تقبل التهديد. الداهية كيسنجر يورد مبررات سياسية كثيرة لمثل هذا القرار الخطير والذي لم يذهل فقط السوفيت بل كذلك أقرب حلفاء الولايات المتحدة في أوروبا والرأي العام الأمريكي نفسه حيث تصاعدت الاتهامات لإدارة نيكسون بأنه يسعي لافتعال أزمة دولية خطيرة تصل لحد المخاطرة بمواجهة بين القوتين النوويتين للتغطية علي أزمة ووترجيت والبدء في إجراء إقالته من منصب الرئاسة. وما أكد هذه الاتهامات هو قرار كيسنجر نفسه بسرعة انهاء حالة الاستعداد العسكري هذه والعودة إلي الوضع الطبيعي خلال فترة لا تتجاوز أربعة وعشرين ساعة.

ومن ضمن الوثائق التي كشفت عنها الولايات المتحدة مؤخرا بمناسبة مرور ثلاثين عاما علي حرب أكتوبر محضر اجتماع بين الرئيس نيكسون والسفير السوفيتي دوبرنين في٣٠ أكتوبر والذي تساءل فيه بغضب واضح "أي نوع من العلاقة هذه إذا كان خطاب واحد يكفي لرفع حالة الاستعداد" كما تتضمن نفس الوثائق مذكرات أمريكية رسمية عن نتائج اجتماعات حلف الناتو عبر فيها ممثلو معظم الدول الأوروبية وخاصة الفرنسيون (إذن المسألة تاريخية ولا تتعلق فقط بالعراق!) عن غضبتهم لقيام واشنطن برفع حالة الاستعداد العسكري دون إخطار أقرب حلفائها بهذا الإجراء.

ورغم أن كيسنجر يحاول أن يوحي بأنه كان يعمل بناء علي توجيهات نيكسون فيبقي ذلك أمر يتشكك فيه المؤرخون الأمريكيون أنفسهم كما يرفضون حجته بأنه كان يتحرك لمواجهة العدو الأول للولايات المتحدة في ذلك الوقت الاتحاد السوفيتي وليس لمجرد حماية أمن إسرائيل بسبب تحيزه وولائه لها. ويقر كيسنجر في كتابه بأن الرئيس الأمريكي لم يطلع علي نص الخطاب الذي قام بصياغته وأرسلته "مجموعة العمل الخاصة" باسمه إلي بريجينيف ردا علي "التهديد" السوفيتي. وفي هذا الخطاب لم يشر إلي رفع حالة الاستعداد الدفاعي بالطبع ولكنه حذر من أن لجوء الاتحاد السوفيتي إلي أي تحركات منفردة ستؤدي إلي "إثارة قلق عميق يتضمن نتائج لا يمكن حسابها" من قبل الولايات المتحدة.

هذه الأزمة الدولية التي لم يكن من الممكن أن تعني سوي التهديد بحرب نووية في إطار حسابات الحرب الباردة في ذلك الوقت انتهت ليس بسبب حنكة كيسنجر وذكائه الخارق وقدرته علي اتخاذ مخاطرات محسوبة بل بسبب **استجابة الرئيس الراحل أنور السادات لطلب كيسنجر برفض الاقتراح السوفيتي بإرسال قوة مشتركة مع الولايات المتحدة**

والموافقة بدلا من ذلك علي إرسال قوة دولية لمراقبة وقف إطلاق النار مقابل وعد جديد بالعمل علي التوصل لتسوية سلمية دائمة بعد انتهاء العمليات العسكرية.

ورغم أن كيسنجر كان يتحمل شخصيًا مسئولية هذه الأزمة بسبب منحه الضوء الأخضر لإسرائيل لمواصلة هجومها علي الجيش المصري لتحسين مواقعها بغض النظر عن نفاذ وقف إطلاق النار بموجب قرار مجلس الأمن رقم٣٣٨ وكذلك لمقاومته العنيفة لضغوط العسكريين في البنتاجون من أجل وقف الجسر الجوي بعد التوصل لاتفاق علي وقف القتال فلقد أضطر الوزير الأمريكي وللمرة الأولي منذ بداية الحرب أن يمارس الضغط علي رئيسة الوزراء الإسرائيلية جولدا مائير وقال صراحة للسفير الإسرائيلي دينيتز أنه لن يتم السماح لهم بمهاجمة الجيش الثالث بعد سريان وقف إطلاق النار كما يجب عليهم الموافقة علي دخول الإمدادات الإنسانية. وفي اعتراف نادر يقول كيسنجر أنه اضطر إزاء الموقف الدولي وتهديدات الاتحاد السوفيتي أن يتصرف كوزير خارجية الولايات المتحدة أولا وليس "كطبيب نفسي لإسرائيل" في مواجهة مشاعرها بالصدمة والإهانة بسبب الهزيمة التي لحقت بها.

وفي نفس الوقت قدم كيسنجر اقتراحا للسادات بعقد مباحثات مباشرة مع الإسرائيليين للاتفاق علي تفاصيل وقف إطلاق النار وهو ما وافق عليه الرئيس الراحل وانعقدت بعد مناورات إسرائيلية استمرت حتي اللحظات الأخيرة اجتماعات الكيلو ١٠١ الشهيرة في الساعة الواحدة والنصف من صباح الأحد الثامن والعشرين من أكتوبر. وفور أن أبلغ كيسنجر الإسرائيليين بموافقة السادات علي عقد مباحثات مباشرة مع الإسرائيليين للمرة الأولي منذ اندلاع الصراع العربي - الإسرائيلي عام ١٩٤٨ وافقت مائير علي دخول الإمدادات الإنسانية للجيش الثالث وتوقف الجيش الإسرائيلي عن خرقه المتكرر لوقف إطلاق لنار. وأعتبر كيسنجر هذا التطور أحد أهم إنجازات الدبلوماسية الأمريكية في ذلك الوقت.

وفي استعراضه لاجتماع "مجموعة العمل الخاصة" ليلة ٢٤ - ٢٥ أكتوبر يقول كيسنجر أن قبول الاقتراح السوفيتي الخاص بتشكيل قوة عسكرية مشتركة لوقف إطلاق النار كان أمرا لا يمكن مجرد التفكير في قبوله. فمن ناحية كان السادات قد قام بطرد الخبراء السوفيت من مصر "والموافقة علي دور مشترك مع السوفيت كان سيعني عودة قواتهم إلي مصر بمباركتنا. وكان المطروح إما أن نكون في ذيل قوة سوفيتية في قوة مشتركة تعمل ضد إسرائيل أو أن ينتهي الأمر بمواجهة علي أرض دولة (مصر) تتفق مع الأهداف السوفيتية الخاصة بوقف القتال أو لا يمكننا أن تبدو أنها تعارضها.

"ويزعم كيسنجر كذلك أن ذلك الاقتراح كان من شأنه يثير مخاوف الدول العربية التي يصفها بالمعتدلة وبشكل عام سيؤدي إلي انهيار الاستراتيجية التي كان يعمل علي بنائها علي مدي أربعة سنوات ومنذ اندلاع الحرب: "فمصر ستعود إلي المدار السوفيتي وسيبرز الاتحاد السوفيتي وحلفاؤه الراديكاليون علي أنهم العامل المسيطر في المنطقة كما ستشعر الصين وأوروبا بالغضب من بروز تعاون سوفيتي - أمريكي في مثل هذه المنطقة الحيوية".

ويضيف كيسنجر أن ما دفعه كذلك إلي مساندة قرار رفع درجة الاستعداد العسكري هو ما وصل للولايات المتحدة من تقارير مخابراتية (يشكك فيها هو شخصيا لاحقا) من أن السوفيت أوقفوا جسرهم الجوي في وقت مبكر من يوم ٢٤ أكتوبر علي الرغم من استمرار الجسر الجوي الأمريكي وهو ما تم تفسيره علي أنه إعادة تجميع للطائرات السوفيتية من أجل نقل قوات للمنطقة. كما وردت تقارير أخري عن رفع حالة الاستعداد بين قوات ألمانيا الشرقية وارتفاع عدد السفن السوفيتية في البحر المتوسط إلي خمسة وثمانين وتحرك فرقة بحرية سوفيتية مكونة من ١٢ سفينة بما في ذلك سفينتين برمائيتين إلي الإسكندرية.

وفي تفسيره للتحرك السوفيتي أمام مجموعة العمل الخاصة طرح كسينجر ثلاثة احتمالات: ١- إما أن يكون السوفيت قد اتخذوا هذا القرار من فترة وأن دعوتهم له لزيارة موسكو كانت لمجرد لكسب الوقت ٢- أن ذلك هو رد فعل علي ما بدا أنه هزيمة قد تلحق بالجيوش العربية (بعد البدء بالطبع في الجسر الجوي الأمريكي - الأهرام) ٣- أنهم قد شعروا أن إسرائيل والولايات المتحدة قد قاموا بخداعهم مع تحرك الجيش الإسرائيلي لمهاجمة الجيش المصري الثالث بعد التوصل لوقف إطلاق النار.

وفي الساعة ١١ مساء قطع كيسنجر الاجتماع ليلتقي سريعا بالسفير الإسرائيلي دينيتز وليؤكد له أن التوجه العام هو رفض الطلب السوفيتي وأن ما يجري الاتفاق عليه هو وسائل مواجهته. وعند عودته للاجتماع كان هناك اتفاق علي محاولة تأخير التحرك السوفيتي المنفرد بإرسال قوات إلي المنطقة وذلك من خلال محاولة إقناع موسكو بعقد مباحثات حول الأمر عن طريق إرسال خطاب إلي بريجينيف..

ولكن في نفس الوقت كان هناك إصرار علي ضرورة اتخاذ تحركات يشعر بها السوفيت علي الفور لتأكيد رفض واشنطن لمثل هذا التهديد وذلك قبل وصول الرد الأمريكي إلي موسكو. (ويتضح من خلال مكالمات كيسنجر في هذا الفصل أنه لم يكن هناك ذلك الإجماع علي خطورة الرسالة السوفيتية وأن كبير موظفي البيت الأبيض الكسندر هيج رأي أن الأمر قد يكون مجرد خدعة أو مبالغة لدفع الأمريكيين للتحرك لإجبار إسرائيل علي احترام وقف إطلاق النار - الأهرام.) وفي النهاية كان القرار هو رفع حالة الاستعداد إلي الدرجة الثالثة. ولما كان تلقي السوفيت لهذه الرسالة سوف يستغرق بعض الوقت حتي يتمكنوا من رصد التحركات العسكرية الأمريكية فلقد قرر المجتمعون النظر في اتخاذ إجراءات أخري فورية مثل إصدار الأوامر برفع حالة الاستعداد في الكتيبة ٨٢ المحمولة جوا وكذلك تحريك حاملة الطائرات فرانكلين روزفلت إلي شرق البحر المتوسط لتلتحق بالحاملة إندبندنس وأخيرا تحريك الحاملة جون كينيدي والسفن الملحقة بها علي وجه السرعة من المحيط الأطلنطي إلي البحر المتوسط.

وفي الساعة ١١,٢٥ مساء عاد دينيتز ليقدم اقتراحا لكيسنجر أدرك علي الفور أن مصر سترفضه. وكان الاقتراح هو أن تنسحب إسرائيل إلي الضفة الغربية وتعود القوات المصرية إلي الضفة الشرقية مقابل إنشاء منطقة عازلة مسافتها عشرة كيلومترات منزوعة السلاح علي كل ناحية من القناة. ويقر كيسنجر بأن السادات كان سيعتبر هذا العرض بمثابة إهانة لأن الإسرائيليين يطالبونه ببساطة بالانسحاب من أراض مصرية، كما لم يكن بإمكانه إنهاء الحرب بالتراجع عشرة كيلومترات عما كان عليه الوضع عند بداية العمليات العسكرية. كذلك فإن العرض كان يتطلب إجراء مفاوضات مطولة في وقت كان هدف كيسنجر الأول هو تجنب التدخل السوفيتي "ذلك إذا كان بالفعل وشيكا". وبالتالي تم استبعاد الاقتراح الاسرائيلي.

وكانت الخطوة التالية أمام مجموعة العمل هي تجاوز الاقتراح السوفيتي بالاتصال مباشرة بالرئيس السادات لإقناعه بعدم قبوله. وفي الساعة ١١,٥٥ مساء تمت الموافقة علي نص خطاب باسم الرئيس نيكسون يؤكد معارضة واشنطن للاقتراح السوفيتي بتشكيل قوات مشتركة مع الولايات المتحدة والتحذير من أن ذلك قد يؤدي إلي مواجهة بين الطرفين علي الأراضي المصرية. كما ألمح الخطاب أن مثل هذا التحرك سيؤدي إلي إلغاء زيارة كيسنجر إلي القاهرة في٧ نوفمبر بناء علي دعوة الرئيس السادات.

وفور أن تم الاتفاق علي القرار برفع حالة الاستعداد العسكري أصدر كيسنجر توجيهاته لسكوكروفت بمغادرة الاجتماع للاتصال بدوبرنين وإبلاغه بالتوجيهات التالية: "قل له أن يمتنعوا عن اتخاذ أي تحركات حتي يصلهم رد علي رسالتنا (إلي بريجينيف). وأخبره أنك غير مخول لإعطاء أي رد. لا يجب اتخاذ تحركات انفرادية وإذا تم ذلك فسيترتب عليها أكثر النتائج خطورة. لا بد أن يعرفوا أننا نعني ما نقول". "ولكن يمكن للطرفين أن يمارسا لعبة الحذر".

وقد امتنع دوبرنين عن الرد بحدة علي هذه الرسالة واكتفي بالقول أنه سيبلغ محتواها لموسكو وسيبقي في انتظار ردنا علي رسالة بريجينيف. ومع تواصل الاجتماع وصلت المزيد من التقارير الخاصة باحتمال تحريك ثمانية طائرات سوفيتية تكفي كل منها لحمل ٢٠٠ مقاتل من بودابست إلي مصر من خلال ساعات وتأكيد رفع حالة الاستعداد بين قوات ألمانيا الشرقية بدءا من الساعة الخامسة صباحا بتوقيت واشنطن أي خلال ساعات قليلة أيضا. وفي الساعة ١٢,٢٥ بعد منتصف الليل تمت الموافقة علي القرارات الأخري الخاصة برفع حالة استعداد الفرقة ٨٢ المحمولة جوا وتحريك حاملات الطائرات. وبعد ذلك جري استئناف العمل علي الرد علي خطاب بريجينيف وتقرر أن يكون إرساله له في الخامسة والنصف صباحا بتوقيت واشنطن (الواحدة والنصف ظهرا بتوقيت موسكو). ويوضح كيسنجر أنه لما كان تنفيذ التهديد السوفيتي يعتمد علي الرد الأمريكي فلقد تقرر استغلال هذا الوقت لاستكمال الاستعدادات العسكرية. وفي الواحدة من صباح الخميس٢٥ أكتوبر أتصل كيسنجر بالسفير البريطاني كرومر ليبلغه بالقرار الأمريكي الخاص

برفع حالة الاستعداد والخطاب الموجه لبريجينيف لتكون لندن الحليف الأوروبي الوحيد الذي أطلع بشكل مسبق علي هذه المعلومات. كما أطلعه أنه سيبلغ تحالف الناتو رسميا بهذه التطورات بعد ساعة من إرسال الخطاب إلي موسكو أي نحو الظهر في بروكسل مقر الناتو (وذلك بدلا من التشاور مسبقا مع الحلفاء المفترضين والذين كانوا سيتأثرون بكل تأكيد في حالة وقوع مواجهة أمريكية - سوفيتية في زمن الحرب الباردة) وطالبه بأن تقوم بريطانيا بتوفير المساندة للولايات المتحدة في حلف الناتو والعواصم الأخري.

وفي الساعة ١,٣٥ صباحا عاد دينيتز للظهور ليناشد الولايات المتحدة نيابة عن رئيسة الوزراء جولدا مائير بعدم إجبار إسرائيل علي العودة إلي خطوط ٢٢ أكتوبر أي الموعد الفعلي لتنفيذ القرار ٣٣٨ ووقف إطلاق النار. "وأكدت له أنه لا يوجد لدينا نية للضغط علي إسرائيل في مواجهة تهديد سوفيتي".

وفي الساعة ١,٤٥ صباحا وفي إطار سياسة كيسنجر القائمة علي كسب الوقت طلب من سكوكروفت أن يعاود الاتصال بدوبرنين ليبلغه نفس الرسالة بأنه لا يجب علي موسكو القيام بأية تحركات قبل وصول الرد الأمريكي. ومن خلال رفضه الاتصال مباشرة بدوبرنين كان كيسنجر يعرف أن السفير السوفيتي سيفهم رسالته وهي أن الولايات المتحدة ليست علي استعداد للتفاوض في هذه المرحلة. وتبني دوبرنين نفس الموقف المتماسك القائم علي أنه سيبقي في انتظار الرد وسيبلغ التعليمات إلي موسكو. وفي نفس الوقت صدرت توجيهات إلي قائد القوات الأمريكية في أوربا بتأخير عودة جنود أمريكيين كانوا قد شاركوا في مناورات في حلف الناتو.

وفي الساعة ٥,٤٠ صباحا تم تسليم الرد الأمريكي بإسم الرئيس نيكسون إلي دوبرنين والذي تضمن رفض كل المقترحات السوفيتية. كما تم تسليم الخطاب عبر مبعوث وليس عن طريق الهاتف لكي لا يكون هناك أي مجال لتقديم تفسيرات. وعرض الخطاب موافقة الولايات المتحدة واستعدادها للمشاركة في قوة موسعة من المراقبين تابعة للأمم المتحدة تتشكل من أشخاص غير مقاتلين ولمدة محدودة علي أن تكون مهمتهم الأساسية "توفير المعلومات المناسبة الخاصة بالتزام كلا الطرفين بشروط وقف إطلاق النار". وتضيف الرسالة: "ولكنكم يجب أن تعرفوا علي الرغم من ذلك أننا لا يمكننا الموافقة في أي حال من الأحوال علي اتخاذ إجراءات أحادية. وسيمثل ذلك خرقا للتفاهمات التي توصلنا لها وللمبادئ التي قمنا بالتوقيع عليها في موسكو عام ١٩٧٢ والمادة الثانية من الاتفاقية الخاصة بمنع الحرب النووية. وكما أشرت فإن مثل هذا التحرك سينتج عنه عواقب لا يمكن حسابها ولن تكون في مصلحة أي من بلدينا وستؤدي إلي إنهاء كل ما عملنا بجهد من أجل تحقيقه".

وفي الثامنة من صباح ٢٥ أكتوبر وصلت لكيسنجر أول مؤشرات "أننا قد انتصرنا علي السوفيت. فلقد بات واضحا أن السادات كان يراهن علي الولايات المتحدة وليس الاتحاد السوفيتي". وعندما وصل إلي مكتبه في البيت الأبيض كانت في انتظاره رسالتان بصفته مستشار الأمن القومي (بجانب حيازته لمنصب وزير الخارجية) من حافظ إسماعيل والرئيس السادات شخصيا. "وفي تعبير واضح عن التقدير لخطورة الموقف فلقد قام المصريون بترقيم الرسالتين بالترتيب وذلك لمساعدتنا في متابعة تطور تفكيرهم. الرسالة الأولي كانت إجابة إسماعيل علي رسالتي (ظهر يوم ٢٤ أكتوبر) حول الجهود التي قمنا بها لتأمين التزام إسرائيل بوقف إطلاق النار. عبر إسماعيل عن تقديره لجهودنا في المساعدة. ولم ير أن إرسال ملحقين عسكريين أمريكيين (إلي الجبهة) أمر مناسب وتمسك بأن إرسال قوة سوفيتية - أمريكية مشتركة هو أفضل ضمان. وعلي الرغم من ذلك قال إسماعيل أنه" طالما أن الولايات المتحدة ترفض هذا الإجراء فإن مصر تطالب مجلس الأمن بتوفير قوة دولية (والتأكيد هنا في رسالة إسماعيل)".

وكان هذا يعني أن مصر قامت بسحب الاقتراح الذي تسبب في الأزمة أي تشكيل قوة سوفيتية مشتركة وتقدمت بدلا من ذلك بطلب قوات دولية. ووفقا لتقاليد الأمم المتحدة فإن المطالبة بهذه القوة الدولية كان يعني استبعاد وكان هذا يعني أن مصر قامت بسحب الاقتراح الذي تسبب في الأزمة أي تشكيل قوة سوفيتية مشتركة وتقدمت بدلا من ذلك بطلب قوات دولية. ووفقا لتقاليد الأمم المتحدة فإن المطالبة بهذه القوة الدولية كان يعني استبعاد استخدام قوات من الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن (أمريكا - الاتحاد السوفيتي - بريطانيا - فرنسا - الصين) أي عمليا إنهاء اقتراح بريجنيف.

وكان هذا الأمر أكثر وضوحا في الرسالة رقم ٢ والموجهة من الرئيس السادات إلي نيكسون. واتفقت هذه الرسالة ليس فقط مع محتوي الخطاب الذي أرسله نيكسون الليلة السابقة ولكن كذلك المنطق الذي اعتمد عليه وفقا لكيسنجر. وقال السادات في رسالته: "إنني أتفهم المبررات التي تقدمتم بها فيما يتعلق بالاستعانة بقوة أمريكية - سوفيتية مشتركة ولقد طلبنا من مجلس الأمن بالفعل أن يرسل وبسرعة قوة دولية إلي المنطقة للتحقق من تنفيذ قرارات مجلس الأمن. ونأمل أن يؤدي ذلك إلي تمهيد الطريق أمام المزيد من الإجراءات نحو إرساء سلام عادل في المنطقة وفقا لما دعا له قرار مجلس الأمن الصادر في ٢٢ أكتوبر (٣٣٨)".

ويقر كيسنجر بأن هذه الرسالة كانت تعني "أننا كنا علي وشك كسب اللعبة الدبلوماسية. فبدون المساندة المصرية كان من غير المتوقع كثيرا صدور قرار من الأمم المتحدة يطالب بقوة أمريكية - سوفيتية. وإذا أرسل السوفيت قوات فذلك سيكون إجراء انفراديا من دون موافقة الدولة المضيفة أو الأمم المتحدة. كما أظهرت (الرسالة) أن السادات كان يراهن بمستقبله علي المساندة الدبلوماسية الأمريكية بدلا من الضغط العسكري السوفيتي."

ومن ناحية أخري زاد من شعور كيسنجر بأن الأزمة علي وشك الانتهاء التقارير التي وصلته من سكالي في الأمم المتحدة. فلقد خفتت المساندة بين الأعضاء لاقتراح تشكيل قوة أمريكية - سوفيتية مشتركة وتقدمت مجموعة عدم الانحياز بمشروع قرار جديد صباح الخميس تطالب فيه بتشكيل قوة طوارئ من الأمم المتحدة تحت سلطة مجلس الأمن. ويفسر كيسنجر ذلك بأن الدول غير دائمة العضوية في مجلس الأمن عادة ما تتجنب التصويت علي قرار تعارضه أحدي الدول دائمة العضوية التي تتمتع بحق الفيتو إذا ما شعرت بأن هناك بديلا آخر. وفي وقت لاحق من نفس الصباح أتصل السفير البريطاني كرومر بكيسنجر ليبلغه بمساندة لندن للموقف الأمريكي.

وفي هذه الأجواء المتفائلة اجتمع كيسنجر وهيج بالرئيس نيكسون في الثامنة من صباح الخميس ليبلغاه بتطورات الموقف من النواحي العسكرية والدبلوماسية. "واتفقنا علي أنه سيكون أمر غير مسبوق وبالتالي تحديا كبيرا - إذا أرسل السوفيت وحدات مقاتلة نظامية في منطقة تبعد عن مدارهم وضد رغبة الحكومة المحلية". وعلي الرغم من أن الكونجرس الأمريكي كان قد مرر قبل أيام قانونا يطالب الرئيس بإبلاغه مسبقا بقرار التوجه للحرب فلقد كان نيكسون متمسكا بضرورة معادلة عدد القوات السوفيتية التي قد يتم إرسالها للمنطقة.

وبعد الاجتماع مع نيكسون أرسل رد رئاسي إلي السادات رحبت الولايات المتحدة فيه "بطريقة رجل الدولة في التعامل مع قضية قوات حفظ السلام" وأشار إلي مساندة أمريكا لتشكيل قوة دولية لا تتضمن أعضاء دائمين في مجلس الأمن.

وبين الساعة ٨,٤٠ والعاشرة صباحا أنهمك نيكسون وكيسنجر في إطلاع قادة الكونجرس علي تطورات الليلة السابقة وما تلاها من أحداث. ورغم أن هؤلاء القادة رحبوا بقرار رفع حالة الاستعداد ومعارضة تشكيل قوة مشتركة مع السوفيت فإن كيسنجر يري أن السبب وراء ذلك كان أساسا العقلية الانعزالية التي سادت الولايات المتحدة في عقب حرب فيتنام وتراجع التأييد لإرسال قوات أمريكية مجددا إلي الخارج بغض النظر عن الأسباب. "وبالتالي كانوا (أعضاء الكونجرس) سيعارضون إرسال قوات أمريكية حتي لو كان ذلك بغرض مقاومة تحرك سوفيتي منفرد". وفور أن أطلع نيكسون قادة الكونجرس علي نيته إرسال قوات أمريكية للمنطقة تتمركز في إسرائيل أو أي دول عربية أخري صديقة لتضاهي عدد القوات التي قد يرسلها السوفيت تراجعت روح التعاون التي سادت بداية الاجتماع. وعبر قادة الكونجرس عن تحفظهم الشديد علي اتخاذ أي قرار بنقل قوات أمريكية واعتبار ذلك التحرك منفصلا تماما عن تأييدهم لقرار نيكسون برفع حالة الاستعداد كرد علي ما بدا أنه تهديد سوفيتي.

٣٧

موسكو تشجعت على التهديد باتخاذ إجراء منفرد بسبب حالة الفوضى السائدة في إدارة نيكسون مع توسع فضيحة ووتر جيبت

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الأحد ١٦ نوفمبر ٢٠٠٣م - ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ

كان من الواضح أن قادة الكونجرس لم يقتنعوا بجدية التهديد السوفيتي الذي حاول كيسنجر إقناعهم به وأدركوا أن محاولة نيكسون وطاقمه إثارة هذه الأزمة كان لشد انتباه الرأي العام بعيدا عن فضيحة.. ووترجيت. ويقر كيسنجر بذلك الجدل الداخلي الذي أثاره قرار رفع حالة الاستعداد بين وجهة نظر مؤيدي الإدارة من أن أحد العوامل التي قد تكون دفعت موسكو للتهديد باتخاذ إجراء منفرد حالة الفوضي السائدة في إدارة نيكسون مع توسع فضيحة ووترجيت أو أن الإدارة هي التي بادرت باتخاذ قرار متسرع وخطير لحشد التأييد مجددا لنيكسون بادعاء وجود أزمة دولية قد تؤدي إلي مواجهة مع السوفيت. ويشير كيسنجر إلي مؤتمر صحفي عقده ظهر يوم الخميس ٢٥ أكتوبر هاجم فيه بشدة كبار المعلقين في الصحف الأمريكية الذين أجمعوا علي أن العوامل الداخلية كانت السبب وراء التصعيد الأمريكي. وتلبسته روح المنظر ليزعم أن مثل هذا التحرك كان بغرض "خدمة الأجيال القادمة" في إطار المواجهة القائمة مع السوفيت.

وطالب بأن يكون هناك "حد أدني من الثقة بأن كبار المسئولين في الحكومة الأمريكية لا يتلاعبون بأرواح الشعب الأمريكي". (تستخدم الإدارة الحالية للرئيس جورج بوش تقريبا نفس الحجج بل وربما الجمل في مواجهة الانتقادات الداخلية لحرب العراق والاتهامات الموجهة لها بأنها تخاطر بحياة الأمريكيين من أجل حرب غير مبررة سوي برغبة الرئيس الحالي في الحفاظ علي شعبيته كقائد لأمة في حالة حرب وللفوز بفترة رئاسية ثانية - الأهرام) وبعد أن أنهي مؤتمره الصحفي تلقي كيسنجر مكالمة في الساعة ١,١٨ ظهرا من الأمين العام للأمم المتحدة فالدهايم يخطره فيه بأنه قد تم تجاوز الأزمة وأن مجموعة دول عدم الانحياز تقدمت بمشروع قرار جديد لا يطالب بقوة أمريكية - سوفيتية مشتركة ولكن يدعو إلي تشكيل قوة دولية.

وأصر كيسنجر علي التقدم بتعديل لينص القرار كذلك علي أن هذه القوة الدولية يجب ألا تتضمن أيا من الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن للتأكيد علي موقفه الرافض لوجود قوات عسكرية سوفيتية في المنطقة. وتركزت مكالمات كيسنجر بعد ذلك علي الاتفاق علي تفاصيل هذه القوة وتشكيلها.

كيسنجر - فالدهايم الساعة ١,١٨ ظهرًا.

فالدهايم: الموقف كما تعرف هو أن السوفيت تلقوا تعليمات بقبول التعديل الأمريكي. والفرنسيون فقط هم المترددون الآن. ولقد التقيت بالسفير الفرنسي الذي قال أنه سيطالب بتصويت منفصل علي التعديل الخاص بعدم استخدام قوات تابعة لأي من الدول دائمة العضوية وذلك لكي يبدي اعتراض فرنسا عليه.

ك: لا ينبغي أن تشك يا سيادة الأمين العام في أننا سنستخدم الفيتو في مواجهة أي قرار لا يتضمن هذا التعديل. نحن لن نتساهل في هذا الأمر.

ف: هذا مفهوم. لا توجد مشكلة. الفرنسيون فقط هم الذين يطالبون بتصويت منفصل علي التعديل. ولكنهم بعد ذلك سيوافقون علي مشروع القرار كما هو.

ك: هذا حقهم. ولكن هناك أمر آخر يثير قلقي يا سيادة الأمين العام. نحن نعارض بشكل مبدئي إرسال قوات من دول أوربا الشرقية أو أي دول شيوعية. سيثير ذلك أزمة ثقة هنا.

ف: الاتجاه هنا هو أن يكون بجانب قوات الدول الاسكندنافية قوة من دولة أفريقية مثل نيجيريا وأسيوية مثل ماليزيا.

ك: لا يوجد لدينا اعتراض علي ذلك طالما لا توجد قوات من دول أوربا الشرقية.

ف: هناك اقتراح بقوة من بولندا.

ك: أعتقد أننا قدمنا تنازلا كافيا بالسماح بقوة من السويد (بسبب تأييدها للموقف العربي.)

ف: ولكننا قد نواجه مشكلة مع كندا وذلك بسبب عضويتها في حلف الناتو.

ك: نحن علي استعداد للاستغناء عن كندا ولكن لا نريد قوات كذلك من يوجسلافيا.

وفي الساعة ٢,٤٠ ظهرا يتصل دوبرنين بكيسنجر ليبلغه رسميا بأن الأزمة انتهت كما يتضح من خطاب أرسله بريجينف إلي نيكسون والذي تراجع فيه تماما عن المطالبة بقوة عسكرية مشتركة واكتفي باقتراح إرسال سبعين مراقبا من كل طرف لمراقبة وقف إطلاق النار. وأبدي الزعيم السوفيتي استعداده للتعاون مع الولايات المتحدة لتنفيذ القرارات التي تم التوصل لها في مجلس الأمن في ٢٢ و٢٣ أكتوبر وجدد مطالبته بتنفيذ التفاهمات التي توصل لها مع كيسنجر خلال زيارته لموسكو والمتعلقة بتنفيذ إسرائيل لقرارات مجلس الأمن سعيا نحو تسوية دائمة في المنطقة.

ويحاول كيسنجر أن يلاطف دوبرنين حيث كان علي دراية بأنه يشعر بالغضب من عدم إخطار موسكو مقدما بالتوجه نحو رفع حالة الاستعداد في خرق واضح لسياسة الوفاق. ويذكر كيسنجر دوبرنين أنه حاول أن يكون لطيفا في كلامه عن السوفيت خلال مؤتمره الصحفي الأخير. ويرد دوبرنين متهكما: "نعم لقد شعرت بذلك منذ الرسالة التي وصلتني في الرابعة صباحا".

ك: لا. في الرابعة صباحا لم أكن أحاول أن أكون لطيفا. لقد اعتقدت أنكم توجهون لنا تهديدا. ونحن نأخذ التهديدات علي محمل سيء للغاية.

د: ربما لا يجب علينا مناقشة ذلك الآن

....

وفي الساعة ٥,٣٥ مساء يتصل كيسنجر بدينيتز لاطلاعه علي آخر التطورات.

ك: لقد وصلنا رد من الاتحاد السوفيتي. كل ما يقومون به الآن هو اقتراح سبعين رجل كمراقبين منفردين. لقد تمكنا من هزيمتهم ثانية. سوف نقول لهم أننا لا نري حاجة لسبعين شخصا (من كل طرف).

د: إذن الاقتراح هو وجود مجموعة مشتركة من المراقبين الأمريكيين والسوفيت بجانب القوة الدولية. وأنتم ستقولون لهم أنه لا يوجد حاجة لمثل هذا العدد. هل لديك معلومات عما كان في الطائرات السوفيتية الخمسة التي هبطت في القاهرة اليوم؟

ك: لا

د: ربما كانت تحمل السبعين مراقبا

ك: هذا هو انطباعي.

وكان قد أجري قبل هذه المحادثة مكالمة مع وزير الدفاع شليزنجر لكي يشكره علي المساهمة في النتيجة الناجحة التي أمكن التوصل لها.

ك: أعتقد أن الأمور تسير.

ش: تعتقد أننا نجحنا؟

ك: نعم. لقد وافقوا (السوفيت) علي قرار مجلس الأمن.

ش: ولكن هل سمعنا ردا مباشرا؟

ك: نعم ولكن لتبق علي الأمر هادئا في المرحلة الحالية وإلا سيبدو أننا قد بالغنا في هذا الأمر. (رفع حالة الاستعداد).

ش: لقد كنت أناقش الأمر مع توم (مورار رئيس الأركان) وبيل (كليمنتس نائب وزير الدفاع). ولدينا الآن حالة استنفار في جميع أنحاء العالم ونعتقد أننا يمكننا تخفيض هذه الحالة في بعض المناطق.

ك: أعتقد أننا يجب أن ننتظر حتي منتصف الليل. لا تقم بذلك مباشرة بعد التصويت علي القرار. وإلا سيبدو الأمر وكأنه لعبة لممارسة الضغط (اعتراف صريح من كيسنجر بأن الخطاب السوفيتي لم يكن يستحق رد الفعل القوي الذي دعا له برفع حالة الاستعداد.)

ثم يتصل كيسنجر بالرئيس نيكسون ومستشاره المقرب هيج ليبلغهم ما رأي أنه انتصار أمريكي بعد قبول السوفيت بقرار مجلس الأمن الجديد والتخلي عن المطالبة بقوة مشتركة وإن كان الرئيس الأمريكي يبدو متشككا في ذلك وغاضبا في نفس الوقت من الاتهامات المتزايدة له بأنه لجأ لرفع حالة الاستعداد لصرف الانتباه عن مشاكله الداخلية.

....

كيسنجر - نيكسون الساعة ٣,٠٥ بعد الظهر

ك: السيد الرئيس لقد انتصرنا ثانية.

ن: هل تعتقد ذلك

ك: لقد وافق السوفيت علي القرار الذي تقدمنا به إلي مجلس الأمن والذي يمنع مشاركة أعضاء دائمين. ووصلنا رد من بريجينيف يوافق فيه علي اقتراحنا ويعرض إرسال ٧٠ مراقبا.

ن: هذا أمر سهل لنرسل ١٧٠ إذا أرادوا.

ك: سنبقي علي حالة رفع الاستعداد حتي منتصف الليل ثم نقوم بخفضها في المناطق المختلفة تدريجيا بدءا بألاسكا.

ن: وكيف سنتعامل مع الصحافة غدا؟

ك: سأكون علي استعداد لعقد مؤتمر صحفي غدا والرد علي أولئك الـ (كلمة خارجة) الذين يقولون أننا قمنا بكل ذلك الأمر من أجل أغراض سياسية.

وبعد استعراض أسماء الصحفيين والمعلقين الكبار الذين تبنوا هذا الموقف يقول نيكسون: "بمعني آخر هم يتهموننا بأننا افتعلنا الموقف وخلقنا أزمة" ويطالبه بأن يكون قاسيا مع الصحفيين علي أن يعقد هو لاحقا مؤتمره

الصحفي الخاص به. ويقترح كيسنجر عليه الانتظار حتي يوم الأحد أو الاثنين ولكن نيكسون يقول أنه لا يستطيع الانتظار كل ذلك الوقت.

ك: إذن لتعقد مؤتمرك الصحفي غدا (الجمعة) وسأعامل أولئك الأنذال (الصحفيين) باحتقار. سألوني عن ووترجيت وقلت لهم أنه لا يمكن أن نتوقع المس بالسلطة المركزية في البلد من دون دفع الثمن. (وذلك وفقا لوجهة نظره بأن الأزمة الداخلية في الولايات المتحدة هي التي شجعت موسكو علي التصعيد والتهديد بإجراءات انفرادية).

وفي عدة مكالمات لاحقة يعمل كيسنجر علي ترتيب تفاصيل عقد المؤتمر الصحفي للرئيس الأمريكي بعد أن قرر نيكسون الانتقال إلي كامب ديفيد لقضاء عطلة نهاية الأسبوع هناك.

كما يتصل بزعيم الأغلبية الديمقراطية في مجلس الشيوخ السيناتور مانسفيلد ليطلب منه عقد مؤتمر صحفي يعبر فيه عن سعادته بأداء الرئيس في الأزمة ويخطره بأن مجلس الأمن تبني القرار الجديد مع قيام الصين فقط بالامتناع عن التصويت مما يعني عمليا أن الأزمة قد انتهت "بعد أن كانوا (السوفيت) يهددون حتي أمس بالقيام بغزو عسكري". ولكنه يطالبه في نفس الوقت ألا يعلن انتهاء الأزمة والانتظار لمدة يوم حتي تتضح طريقة تعامل السوفيت مع القرار الجديد.

كيسنجر - نيكسون الساعة ٧,١٥ مساء.

ن: هذه أسماء المجموعة (من الصحفيين) التي أرغب في قيامكم بنقلهم بالطائرة غدا من نيويورك (رؤساء تليفزيونات سي.بي.إس و إن.بي.سي وأيه.بي.سي ورؤساء وتحرير النيويورك تايمز والواشنطن بوست). أعتقد أنه يمكن لك أن تمارس تأثير كبير عليهم (بحكم أنه يهودي تربطه علاقة قوية بالقيادات اليهودية الأمريكية النافذة في وسائل الإعلام). إن همهم الرئيسي هو إسرائيل. من الذي أنقذ إسرائيل هل كان بإمكان أحد آخر إنقاذها؟

ك: الأمر المؤكد هو أننا إذا لم نتمكن من عقده (المؤتمر الصحفي) غدا سنقوم بذلك يوم الاثنين. إننا نسيطر علي الأخبار (بعد موافقة مجلس الأمن علي القرار الجديد وما صوره كيسنجر أنه انتصار أمريكي). لقد أعطونا (شبكات التليفزيون) خمس عشرة دقيقة.

ن: ولكنني فهمت أنه كان من بينهم ست دقائق تتعلق بزعم أننا زيفنا الأمر برمته في شبكة سي.بي.إس وأننا اخترعنا الأمر بأكمله. لقد استخدموا ست دقائق للتركيز علي هذه النقطة السيئة وما سوف يرسخ في اعتقاد العامة أننا افتعلنا الموقف برمته. يجب أن يتأكد زيجلر (المتحدث باسم البيت الأبيض) من عدم استمرار هذا الخلط. أنت تعرف أننا كنا قريبين من مواجهة نووية هذا الصباح.

ك: لقد شاهدت ما عرضته سي. بي. إس وأعتقد أنه كان جيدا بالنسبة لنا. لقد قدموا كل الإجابات الصارمة للرد علي هذه الاتهامات.

ن: هل يحملون الرئيس المسئولية...؟

ك: لا. القيادة بشكل عام.

ن: لتأت بهذه المجموعة من الصحفيين ولتقل لهم أنكم أمريكيون أولا وأعضاء في الجالية الأمريكية اليهودية ومهتمين بشأن إسرائيل. من الذي أنقذ إسرائيل ومن الذي سوف يقوم بإنقاذها في المستقبل..؟

ك: سأفعل بكل ما في وسعي.

....

وفي تقييمه لمجمل الأزمة يقول كيسنجر أن الولايات المتحدة نجحت في تحقيق ثلاثة من بين أربعة من أهدافها وسط أسوأ أزمة دستورية تشهدها الولايات المتحدة: ١- ساعدنا في ضمان أمن إسرائيل ٢- هزمنا تهديدا سوفيتيا بالتدخل العسكري مع حرصنا في نفس الوقت علي عدم إهانة القيادة السوفيتية و٣- حافظنا علي خيار تحسين العلاقات مع الدول العربية. ولكن بقيت المشكلة الرابعة من دون حل وكان السادات قد أرسل خطابا إلي نيكسون في الساعة ٩,٣٠ من صباح الجمعة ٢٦ أكتوبر يتهم فيه إسرائيل باستغلال الموقف لكي "تعزز من مواقعها عبر خطوط المواصلات الخاصة بالجيش الثالث في محاولة لعزله وإجباره علي التسليم" بجانب استمرارها في منع الأفراد التابعين للأمم المتحدة من الوصول إلي المنطقة.

وهدد السادات باتخاذ إجراءات انفرادية لإعادة فتح خطوط الإمداد للجيش الثالث. وأخبرنا أنه أطلع السوفيت علي نفس الموقف وحذر من أن "استمرار حالة الجمود الحالية ستؤثر علي جو المباحثات المقبلة مع كيسنجر في القاهرة. وكتب السادات: "وإنني أود إخطارك بأنه استعدادا لهذه الزيارة فنحن نعمل علي إعداد مقترحات شاملة نأمل أن تمثل نقطة تحول نحو التوصل لتسوية سلمية نهائية".

ويعلق كيسنجر علي هذه الأزمة بالقول: "لقد ساندنا إسرائيل طوال الحرب لأسباب عديدة تاريخية وأخلاقية واستراتيجية. وبلغ الأمر أننا انتهينا للتو من مخاطرة احتمال الدخول في حرب مع الاتحاد السوفيتي وسط أزمة ووترجيت الداخلية. ولم يكن استئناف القتال بعد سريان وقف إطلاق النار سيفيد مصلحة إسرائيل علي المدي الطويل. ولكن قادة إسرائيل الذين جن جنونهم إثر واقع أنه قد تمت مفاجأتهم (بالحرب التي بدأتها مصر وسوريا) وإحساسهم بالألم بسبب الخسائر الكبيرة التي لحقت بهم كانوا يشعرون بعدم الثقة في الرئيس السادات الذي أدار وخطط لهزيمتهم وكانوا يرغبون في أن تنتهي الحرب بالتخلص منه." ويزعم الدكتور كيسنجر بأنه "كان من الممكن تفهم مشاعرهم. ولكن أحد مصالحنا كانت تكمن في منح القادة العرب حافزا لتبني موقفا معتدلا. ولقد اقتنعنا بعد الرسائل التي تم تبادلها مع السادات أنه كان يمثل أفضل فرصة من أجل تحقيق سلام معتدل في الشرق الأوسط.

٣٨

بعد إدخال الدب الروسى إلى القفص.. أصبح من الضرورى البدء في مسيرة السلام

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الاثنين ١٧ نوفمبر ٢٠٠٣م - ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ

يقول كيسنجر أنه لم يعد من الممكن استبعاد أن تتمسك جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل بموقف متشدد.. لأن ذلك كان وراءه عوامل داخلية أيضا، مثلما كان الرئيس نيكسون يواجه فضيحة ووترجيت في الولايات المتحدة، فالانتخابات البرلمانية الإسرائيلية كان مقررا لها أن تجري في ديسمبر من نفس العام بعد أن تأجلت من نوفمبر بسبب الحرب، وكان يجب علينا تحقيق هدفنا مع المحافظة في العلن علي العلاقة القريبة التي تربط بين الولايات المتحدة وإسرائيل، كما كان يتوجب علينا الحفاظ علي ثقة مصر في تلك الساعات الحرجة، فقد كنا في حاجة لهذه الثقة في التعامل مع إسرائيل، وبعد أن نجحنا في إدخال الدب الروسي إلي القفص.. كان يتوجب علينا أن نكون حذرين لكي لا يفكر في شن هجوم جديد.

ويضيف كيسنجر أن الرسائل المتتالية من السادات إلي نيكسون كانت تعكس خطورة الموقف علي الأرض، ولم تكن واشنطن تريد للسادات أن يعود إلي كنف السوفيت، أو الخوض معهم في مواجهة جديدة.. واعتبارا من يوم الجمعة ٢٦ أكتوبر بدأنا مناشدة إسرائيل التقدم بمقترحات لحل هذه المعضلة، وبعد أن ثبت لنا أن ذلك مستحيل اضطررنا في النهاية إلي إصدار ما يمكن اعتباره انذارا دبلوماسيا يحدد موعدا نهائيا لإسرائيل لكي تستجيب لمطالبنا.

"بعد أن تمكنا من منع التدخل السوفيتي كان من الضروري البدء في مسيرة السلام. وكان ذلك يتطلب اتخاذ إجراءات عاجلة لإغاثة الجيش الثالث. وكان هناك إجماع داخل حكومتنا علي الأهداف وخلاف علي الوسائل. وبرزت اقتراحات من وزارة الدفاع بأن تتولي هي مباشرة عملية إعادة إمداد الجيش الثالث باستخدام طائرات النقل C130 واعتبار ذلك تعهدا أمريكيا. كما كان هناك ضغط كبير لوقف الجسر الجوي إلي إسرائيل. ولم أكن مستعدا لقبول أي من الاقتراحين. فلا يمكننا أن نقوم وخلال أسبوعين فقط بإدارة جسر جوي لإمداد طرفين متنازعين في حرب في الشرق الأوسط. وفي نفس الوقت فإن الوقف الفوري للجسر الجوي لإسرائيل قد يفسر علي أنه تخل عن حليفنا مما سيدفع القادة العرب إلي اتخاذ موقف صلب وربما التهديد بتدخل سوفيتي جديد".

وأمضي كيسنجر يوم الجمعة السادس والعشرين من أكتوبر في محاولة إقناع إسرائيل بقبول توصيل بعض المساعدات الإنسانية إلي الجيش الثالث "لتفادي إعلان معارضتنا لموقفها علنا. ولكن أتضح أن هذه المهمة مستحيلة". (والاقتناع بأن كيسنجر والولايات المتحدة كان لا يمكنهما القيام بإجبار إسرائيل علي إدخال الإمدادات فورا إلي الجيش أمر عبثي بالطبع ولكن كان من الواضح أن الوزير الأمريكي استمر حتي اللحظة الأخيرة في التمسك بسياسته القائمة علي كسب الوقت لصالح إسرائيل ولكي تبدو أي تسوية يتم التوصل لها لاحقا كإنجاز كبير يقنع الدول العربية مجددا بأن الولايات المتحدة وربما هو شخصيا - فقط القادر علي حل الصراع مع إسرائيل وليس الاتحاد السوفيتي - الأهرام)

ويقول كيسنجر أنه لم يكن من الممكن استبعاد أن تتمسك مائير بموقف متشدد.. لأن ذلك كان وراءه عوامل داخلية أيضا في إسرائيل حيث كانت الانتخابات البرلمانية علي وشك الانعقاد في ديسمبر بعد أن تم تأجيلها من نوفمبر بسبب الحرب. "وكان يجب علينا تحقيق هدفنا مع الحفاظ في العلن علي العلاقة القريبة التي تربط بيننا. كما كان يجب علينا الحفاظ علي ثقة مصر في هذه الساعات الصعبة والتي كنا بحاجة لها لإقناع إسرائيل. وأصبح الأمر وكأنه سباق بين

إصرارنا وقدرة الجيش الثالث علي التحمل. وارتبط بذلك احتمالات ظهور حكومة معتدلة في مصر. وبعد أن كنا قد نجحنا في وضع الدب الروسي ثانية في قفصه كان يجب علينا أن نكون حذرين لكي لا يفكر في الأمر ثانية ويشن هجوما جديدا".

ويضيف أن الرسائل المتتالية من السادات إلي نيكسون كانت تعكس خطورة الموقف علي الأرض بالنسبة للجيش الثالث. ولم تكن واشنطن تريد للسادات العودة إلي الجناح السوفيتي أو الخوض في مواجهة جديدة مع السوفيت. وبداية من يوم الجمعة ٢٦ أكتوبر بدأنا مناشدة إسرائيل أن تتقدم باقتراحات لحل هذه المعضلة. وثبت أن ذلك مستحيل وهو ما اضطرنا في النهاية إلي إصدار ما يساوي توجيه إنذار دبلوماسي يحدد موعدا نهائيا لكي تستجيب لمطالبنا.

وبعد دقائق من تسلمه رسالة السادات أتصل كيسنجر بدينيتز. وفي نفس الوقت كان الجيش الثالث يحاول كسر الحصار الإسرائيلي من نقطة في شمال مدينة السويس وهو تحرك رآه كيسنجر دليلا علي الموقف الصعب الذي يواجهه حيث كان يخاطر بفقد المزيد من إمكانياته. كما أن ذلك التحرك كان من شأنه أن يؤدي للدخول في جولة جديدة من الخلاف حول الطرف المسئول عن انتهاكات وقف إطلاق النار. واقترح كيسنجر علي دينيتز السماح لقوة من مراقبي الأمم المتحدة بالتوجه فورا لجبهة القتال "كما أطلعه علي قراره بزيارة مصر في٧ نوفمبر. ووعده دينيتز بالرد عليه خلال وقت قصير.

وفي ١١,٣٠ يتصل دينيتز بكيسنجر وكان واضحا أنه لم يكن يحمل ردا من الحكومة الإسرائيلية حيث يبدأ الحوار بانتقاد كيسنجر للانقسامات الداخلية في إسرائيل وعدم قدرة حكومة مائير علي اتخاذ قرارات. وينحو دينيتز باللائمة علي النظام البرلماني ويقر بالانقسامات في حكومته (ويبدو أن استخدام حجة الانقسامات الداخلية لتأخير اتخاذ قرارات في إسرائيل حل سحري تتمسك به كافة الحكومات الإسرائيلية منذ نشأة تلك الدولة عام ١٩٤٨ - الأهرام).

ونحو الثانية عشر ظهرا يتصل كيسنجر بالرئيس نيكسون ليطلعه علي آخر التطورات الخاصة بإرسال قوة مراقبين إلي جبهة القتال وكذلك مضمون رسالة السادات حول الأزمة التي يواجهها الجيش الثالث وقيامه بإبلاغ محتواها للإسرائيليين.

ن: نعم.. لتبلغهم بمحتواها. ولنحاول الحفاظ علي الجزء الخاص بنا في هذه المعادلة.

ك: حينما نقرر أن الإسرائيليين قد ارتكبوا خطأ ما فإننا نميل عليهم بقوة كبيرة (! - الأهرام).

ن: أنا أفهم ذلك.

ك: لقد تقدم المصريون باقتراح وأرسلوا خطابا حول التوصل لتسوية شاملة أثناء زيارتي. ولقد بعثنا برسالة دافئة للسادات باسمك نقول فيها أنك أصدرت توجيهات لي بأن أتبني توجها بناء وإيجابيا؟

ن: جيد جيد. وماذا عن رد فعل الصحافة هل ما زالت التغطية إيجابية

ك: نعم. لقد عبرت الواشنطن بوست عن مساندتها لنا في صفحة الرأي. وبشكل عام فإن التغطية كانت إيجابية للغاية.

وعندما تأخر دينيتز في الرد علي كيسنجر قام هو بالاتصال به في الساعة ١,١٧ ظهرا.

ك: لقد أبديتم استعدادكم للسماح بدخول الغذاء والماء. ورفضكم ذلك سيترتب عليه نتائج خطيرة مع الروس.

د: أريد التقدم لك باقتراح كنت أفكر فيه ولكنه ليس باسم حكومتي. لنفترض أننا سمحنا بخروج كل الجنود ولكن من دون معداتهم. لن نقوم بأخذ سجناء وسنسمح بوصول الماء والغذاء وعودتهم إلي منازلهم سالمين إذا أرادوا وسنفتح الطريق.

ك: من وجهة نظري الحل الأمثل تقديم الماء والغذاء والمساعدات غير العسكرية.

د: سأمرر هذه المعلومات. ولكن في اعتقادي أن ذلك لن يحل المشكلة ولكنه سيؤخر المواجهة التي ستقع مع مصر.

ك: صدقني سينتهي بنا الحال في الجانب الخطأ من المواجهة. سيكون من الأفضل كثيرًا الآن لو ثبتنا مبدأ دخول إمدادات محدودة. أما الاقتراح بالسماح للمغادرة لمن يريد المغادرة فسيعتبر المصريون ذلك أمرا مهينا.

د: نحن لا نريد إهانة مصر ولكن لا بد من إيجاد حل للمشكلة. نحن لا نريد لهذه القوات التحول إلي قوة مقاتلة مجددا.

ك: إنني أفهم ذلك ولكن الحل التدريجي سيكون فتح الطريق أمام الإمدادات غير العسكرية. ستتعرضون لضغوط هائلة إذا واصلتم التمسك بهذا الموقف...نصيحتي الخاصة وهذا ليس موقفا رسميا كما تعرف هي حيلتي المعتادة والقائمة علي محاولة كسب الوقت. لن يتم السماح لكم بالإمساك بهذا الجيش. أنا واثق من ذلك.

د: هذه ليست أولوية بالنسبة لنا. نحن نود لو عادوا إلي منازلهم.

ك: ولا أعتقد أن ذلك سيكون ممكنا أيضا ما لم تقوموا بسحب قواتكم. لن تقوموا بالانسحاب في الشمال.

د: نحن لا نريد جانبي القناة في الشمال.

ك: دعني أقل لك بصراحة أنكم سترتكبون خطأ لو قمتم بالدفع نحو مواجهة كاملة.

د: نحن لا نريد مواجهة ولكن نبحث عن أفضل طريقة لحل الموقف.

ك: حسنا لقد عبرت لكم عن وجهة نظري وسيكون جيدا لو وصلنا رد في وقت مبكر من بعد الظهر.

....

وفي الرابعة بعد الظهر يجري كيسنجر هذه المكالمة الهامة مع مساعده سيسكو والتي يطرح فيها للمرة الأولي فكرة إرسال خطاب للسادات يقترح إجراء مفاوضات مباشرة بين البلدين:

ك: لقد طلب المصريون من فالدهايم مساعدتهم فيما يتعلق بالجيش الثالث. أعتقد أنه يجب علينا القيام بشيء.

س: لقد أطلعني لاري (إيجلبرجر) علي الخطاب الذي نعد لإرساله للمصريين. لنرسل ذلك الخطاب الذي يدعو لمفاوضات إسرائيلية - مصرية مباشرة ولنر ما سيحدث.

ك: هناك مشكلتان. الأولي تتعلق بذلك (الجيش الثالث) والثانية قيام إسرائيل بعمل شئ فيما يتعلق بذلك الخط اللعين.

س: هل تعني من خلال القيام بانسحاب؟

ك: نعم.

س: لقد كنت أشعر بأن الصفقة ستكون إرسال هؤلاء المراقبين مقابل نوع ما من الانسحاب. وإن كنت لا أتوقع إمكانية إقناع الإسرائيليين القيام بذلك خلال الأربع والعشرين ساعة القادمة. ولكن الأمر يستحق أن نحاول.

....

ثم يتصل نيكسون بكيسنجر ليستفسر منه عن موقف الولايات المتحدة من قضية إرسال مراقبين إلي الجبهة بالاشتراك مع الاتحاد السوفيتي. وقال له مستشاره لشئون الأمن القومي ووزير الخارجية أن الخطة الأمريكية تقوم علي العمل علي تقليل عدد المراقبين إلي أقصي درجة وذلك لعدم منح فرصة للسوفيت للدفع بعدد كبير من قواتهم تحت زعم أنهم قوات مراقبة. وأضاف كيسنجر أن الولايات المتحدة ستوضح أنها ستقوم بذلك التحرك بناء علي طلب السكرتير العام للأمم المتحدة.

....

وفي الساعة ٤,١٥ مساء عاد كيسنجر للاتصال بدينيتز لكي يبلغه بأن مصر طلبت عقد اجتماع لمجلس الأمن مساء الجمعة.

"كما تقدم لنا السادات بمناشدة أخري وكذلك الزيات في نيويورك عبر فالدهايم يؤكدون فيها أن الجيش الثالث لن يستسلم أبدا مهما كان ما تقومون به وأنهم سيتخذون إجراءات حاسمة. هم لا يهتمون إلي أي خط تعودون. لن يثيروا المشاكل حول ذلك كما أنهم لديهم استعداد للحديث عن الإفراج عن الأسري والقضايا الأخري. يبدو لي أنكم ستصلون إلي مفترق طرق الليلة وإما أن تتقدموا باقتراحات محددة أولا" إنني أقول ذلك لك كصديق ولم أبلغ الرئيس الذي يعد لعقد مؤتمر صحفي بهذه الرسالة. لا أريده أن يقول شيئا ستندمون عليه لاحقا. ولا يوجد لدي شك في أنه سيقوم بذلك عندما تصله المعلومات في كامب ديفيد. كما أننا في انتظار رسالة تأتينا من موسكو عبر الخط الساخن.

د: هل يمكنني أن أطلعك علي الموقف العسكري. إنني لن أقوم بالشرح.

ك: معلوماتنا الخاصة تفيد أنكم لم تبدءوا (جولة جديدة من القتال)

د: الحمد لله.

ك: ولكن ذلك لا يفرق في أي شيء. ما يسبب القتال هو أنهم يشعرون باليأس.

د: صحيح تماما. إنهم يحاولون الخروج (من الحصار).

ك: لماذا لا تدعوهم يفعلون ذلك ويخرجون من هناك؟

د: سنكون مستعدين للسماح لهم بالخروج والعودة لمنازلهم ولكنهم يطلقون النار علي قواتنا....

ك: لماذا لا تدعونهم يأخذون دباباتهم معهم إن الروس سيقومون باستبدالها بأي حال من الأحوال.

د: لن نفتح الجيب ونسمح بالإفراج عن جيش جاء لتدميرنا. لم يحدث ذلك من قبل في تاريخ الحرب.

ك: وأيضا لم يحدث أن دولة صغيرة تقوم بالتسبب في حرب عالمية بهذه الطريقة. هناك حد لا يمكنكم بعده دفع الرئيس. لقد كنت أحاول أن أقول لكم ذلك علي مدي أسبوع.

د: نحن لا نحاول دفع الرئيس.

ك: فلتقوموا بلعبتكم وسترون ما سوف يحدث.

د: رئيسة الوزراء مائير تعمل الآن علي النظر في مجموعة من الاقتراحات.

ك: نصيحتي لكم هي أن تتقدموا باقتراح بناء.

د: أنا أفهم ذلك ولقد سألتك إذا ما كان شيء ما يدور في ذهنك.

ك: لقد قلت لكم ما يدور في ذهني.

د: بشأن الطعام

ك: أنه بينما تستمر المباحثات تسمحون أنتم بدخول المواد غير العسكرية وربما يمكنكم تثبيت مبدأ عدم دخول مواد عسكرية من ذلك الطريق ثم تنسحبون منه.

د: أحد الاقتراحات القادمة من مائير هي أن تبعث لك بالجنرال ريفا باقتراح كامل حول كيفية حل الموقف.

ويكشف كيسنجر الخبير في سياسة كسب الوقت هذه الحيلة بسرعة بالطبع ويرد: هذا سوف يستغرق عشر ساعات.

د: علي الأقل. هي كانت تري أن بإمكانه أن ينقل لك اقتراحات من قبل تبادل الأسري والأراضي مقابل هذه الخطوة. لا يمكننا السماح لهم بالخروج دون أن نحصل علي شيء بالمقابل.

ك: هذا صحيح ولكن لا يوجد لديكم وقت لمثل هذه المناقشة. سنكون سعداء بأن نقترح عقد مباحثات فورية بينكم وبين المصريين لحل المشكلة. ونحن علي استعداد أن نكون متعاونين ولكن دعني أقل لك أن ما سيحدث هو أن السوفيت سيتقدمون بمطلب متشدد آخر ولا يمكنكم أن تضعوا الرئيس في مواجهة يوما تلو الآخر.

د: نحن لا نريد ذلك.

٣٩

الإدارة الأمريكية تخشى أن يتخذ السوفيت موقفًا متشددًا ردًا على عناد إسرائيلى

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الثلاثاء ١٨ نوفمبر ٢٠٠٣م - ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ

في هذه الحلقة التاسعة والثلاثين يستأنف كيسنجر سرد مكالمته مع السفير الاسرائيلي سيمحا دينيتز حيث يحدد له موعدا نهائيا في مساء نفس الليلة لكي تقدم اسرائيل اقتراحاتها بخصوص تنفيذ قراري مجلس الأمن بوقف إطلاق النار، ثم يعود كيسنجر فيتصل في السادسة والنصف مساء بالسفير السوفيتي اناتولي دوبرينين ليسأله عن مصير الرسالة التي كان من المقرر أن تصل من موسكو إلي واشنطن عن طريق الخط الساخن ثم يجري كيسنجر محادثة مع وليم كولبي مدير المخابرات المركزية الأمريكية ليسأله إذا كانت لديه معلومات عن الرسالة السوفيتية المرتقبة، ويرد كولبي بأنه ليست لديه معلومات محددة في هذا الشأن، ويروي كيسنجر كيف أن الرئيس نيكسون عقد مؤتمرا صحفيا وجه خلاله عبارات حادة إلي الاتحاد السوفيتي، مما تطلب أن يتصل كبير موظفي البيت الأبيض فيما بعد بالسفير السوفيتي لكي يبلغه أن هذه العبارات الحادة لا تعكس حقيقة موقف الرئيس الأمريكي! ولكن السفير السوفيتي يجيبه قائلا: لم تكن هناك مبررات لإعلان الولايات المتحدة رفع حالة الاستعداد علي مستوي العالم، وأن القادة السوفيت مستاؤون للغاية، ثم يشكو من أن كيسنجر ونائبه سكوكروفت تركاه ينتظر لمدة خمس ساعات، وظلا يقولان له ان الرد الأمريكي في الطريق.. إلي أن عقد الرئيس نيكسون مؤتمره الصحفي الذي أطلق فيه عباراته الحادة في حق السوفيت.

كيسنجر ـ دينيتز الساعة ٤,١٥ مساء

ك: إنه لأمر من النادر حدوثه أن تقوم دولة بمحاصرة جيش دولة أخري بعد التوصل لاتفاق وقف إطلاق نار... سوف ألتقي الآن السفير الألماني وسأثير عاصفة حول قرارهم بشأن السفن (كانت ألمانيا الغربية في ذلك الوقت قد قررت وقف مغادرة السفن الأمريكية المتجهة إلي إسرائيل من موانئها بعد التوصل لقرار وقف إطلاق النار.) أنتم الآن في وضع يسمح لكم بالتفاوض ويمكنكم الحصول علي شيء مقابل هذا وذلك بأن تبدأوا غدا مفاوضات حول الموضوع المحدود (الخاص بالطعام).

د: رجالنا يقولون أن الجيش الثالث لديه ما يكفيه من الطعام لمدة يومين أو ثلاثة. كما نسمع تقارير بأن مراقبي الأمم المتحدة سيأتون لإخراجنا من هناك. هذا هو الموقف. لا بد أن نحصل علي صفقة ما.

ك: تقدموا باقتراح قبل التاسعة من مساء الليلة وذلك لإضفاء الغموض علي الموقف وإلا ستحصلون علي إدانة لكم. (لأول مرة يحدد كيسنجر أخيرا موعدا نهائيا لاستجابة إسرائيل لطلب وقف إطلاق النار والسماح علي الأقل بدخول المساعدات الانسانية والطبية للجيش الثالث.)

د: سأتحدث مع مائير ثانية.

وقبل الساعة ٦,٣٠ مساء يتصل كيسنجر بدوبرنين ليسأله عن مصير الرسالة التي علم الأمريكيون أنها قادمة من موسكو عبر الخط الساخن. وكان القلق قد بدأ يسري داخل الإدارة خشية أن يتخذ السوفيت موقفا متشددا ردا علي عناد إسرائيل ومواصلتها خرقها الفاضح لقرارات الأمم المتحدة. وينفي دوبرنين معرفته باحتمال وصول تلك الرسالة وقال أن هذا الأمر عادة يستغرق دقائق عبر الخط الساخن. ويؤكد له كيسنجر أنه مهما كان محتوي الرسالة فإن الولايات المتحدة لا ترغب في خلق أزمة جديدة. ولم تكد تمضي١٥ دقيقة حتي يعود للاتصال بالسفير السوفيتي ليكرر له المعلومات الخاصة بتوقع وصول رسالة من موسكو ويؤكد أن الولايات المتحدة تبذل مجهودا كبيرا لإقناع إسرائيل بتقديم عرض لمصر. ويرد دوبرنين أن الأمر قد يكون متعلقا بتجدد القتال جنوب قناة السويس وينفي مجددا علمه بالرسالة.

ثم يتصل كيسنجر بويليام كولبي مدير المخابرات المركزية الامريكية ليسأله إذا كان لديه معلومات عن الرسالة السوفيتية وإذا ما كانوا قد قاموا باتخاذ خطوات محددة بالفعل..

ويقول كولبي أنه لا توجد لديه معلومات محددة ويشير إلي أن التطور الوحيد كان رسالة السادات الموجهة إلي كيسنجر والتي عبر فيها عن غضبه الشديد بسبب استمرار حصار الجيش الثالث "ولا أستطيع أن ألومه. فالموقف هناك متخبط.".

ويعده بالاتصال به مجددا بعد البحث عن قيام السوفيت بأية تحركات. وبعد سبع دقائق يتصل كولبي بكيسنجر في الساعة ٧,٠٥ مساء وينفي وجود معلومات حول تحركات سوفيتية ولكن وكالة الأمن القومي قامت بحذف بعض الجمل التي دارت في ذلك الحوار. ثم يسأله كيسنجر: هل تعتقد أننا بالغنا في رد فعلنا علي خطابهم يوم الأربعاء ٢٤ اكتوبر؟

كولبي: لا أعتقد أنه كان أمامك خيار آخر. ربما لم يكن لدي السوفيت النية للقيام بأي تحرك إضافي ولكن لهجتهم بدت كذلك. ولقد كان خطابك مباشرا وجيدا. هل تعني رفع حالة الاستعداد؟

ك: نعم.

كولبي: ربما نكون قد بالغنا بعض الشيء برفع حالة الاستعداد علي مستوي العالم.

ك: إنني فقط أتساءل عن تأثير ذلك الخطاب عليهم. وإذا ما كانوا...

كولبي: رفع حالة الاستعداد في العالم هي النقطة الوحيدة. ولكن أعتقد أنك كنت توصل لهم رسالة هامة.

وبعد أن عقد نيسكون مؤتمرًا صحفيًا في تلك الليلة قام هيج بالاتصال بالسفير السوفيتي دوبرنين لمناقشة الموقف ولكي يؤكد له أن بعض التصريحات التي أدلي بها الرئيس الأمريكي وبدت حادة بعض الشيء لم تكن تعكس حقيقة موقفه وأعرب عن أمله في أن لا يساء تفسيرها. ويرد دوبرنين بالقول أن القادة السوفيت يشعرون باستياء كبير للغاية بعد قرار الولايات المتحدة برفع حالة الاستعداد الذي يرون أنه لم تكن له أي مبررات". لقد خلقتم أزمة مفتعلة ولا نعرف لماذا.

ما حدث لا يمكن حتي مقارنته بالأزمة الكوبية. والفارق الأساسي في هذه الحالة أننا كنا علي اتصال دائم مع كيسنجر بشأن كل كبيرة وصغيرة علي مدار الساعة. "ويضيف أنه حتي بافتراض أن الرئيس نيكسون كان يريد إرسال رد حازم علي خطاب بريجينيف فلقد كان من الممكن أن يتم ذلك عبر قناة الاتصال السرية بينهما" ولكن حتي وصول خطابكم لنا لم يشر كيسنجر بكلمة واحدة إلي احتمال رفع حالة الاستعداد. وكان أسهل ما يمكنكم القيام به هو الاتصال بالسفير وأن تعربوا له عن عدم قبول الرئيس (نيكسون) للغة المتضمنة في الخطاب وأنها قد تكون غير دبلوماسية. وبعدها كنت سأقوم أنا بإبلاغ موسكو وكان بريجينيف سيرد وتمضي الأمور بصورة طبيعية".

ويشكو دوبرنين من أن كيسنجر ومساعده سكوكروفت تركاه ينتظر لمدة خمس ساعات وكانوا يتصلون به باستمرار ليبلغوه بأن الرد الأمريكي في الطريق وحتي عندما جاء خطاب نيكسون فإنه لم يكن يشير إلي رفع حالة الاستعداد واكتشف السوفيت ذلك عن طريق الراديو. ويعرب دوبرنين عن رأيه بأن طريقة الإعلان عن حالة الاستعداد بكل ما صاحبها من صخب كان يعني في الواقع أن الولايات المتحدة ليست جادة بشأن الحرب لأنه لو كان الوضع كذلك لقام نيكسون بالاتصال ببريجنيف في محاولة لتجنب الحرب بين القوتين العظميين.

وفي الساعة ٨,٤٥ مساء يعاود كيسنجر الاتصال بالسفير الإسرائيلي ويبلغه بطريقة أكثر صرامة ضرورة قيام تل أبيب بالتقدم باقتراح للخروج من الأزمة الخاصة بالجيش الثالث حيث أن الولايات المتحدة كانت قد قررت "لأسبابنا الخاصة عدم السماح بمهاجمة الجيش الثالث".

ك: السيد السفير أنا الآن أتصل بك كصديق وليس كوزير للخارجية. ستصلنا رسالة عبر الخط الساخن خلال ساعة. وأردت فقط أن أقول لك أن تقديري الصادق هو أنكم إذا لم تتحركوا في اتجاه ما بطريقة تسمح بالتوصل لتسوية جادة بشأن قضية الحصار فسوف تفقدون كل شيء... يجب أن تعرف أنه إذا تدخل الرئيس فإنه سوف يأمر بأن ننضم للآخرين لأنه لا يوجد لدينا ما يمكن التمسك به.

د: هل تعني قضية الإمدادات؟

ك: قضية الإمدادات أو أي شيء آخر قد تتفتق عنه العبقرية الإسرائيلية. اقتراحه (الرئيس) هو عقد مفاوضات.

وحاول دينيتز استخدام كافة الحجج لتبرير تأخر إسرائيل في التقدم باقتراح من قبيل خشية الحكومة الإسرائيلية من الإطاحة بها في حالة تم فك حصار الجيش الثالث بسبب الرأي الغاضب في الداخل. كما أن فك حصار الجيش سيعيد النشاط لفرقتين أو ثلاث فرق مصرية تقوم بتهديد الجسور التي بناها الإسرائيليون للوصول إلي الضفة الشرقية. وبعد أن استمع كيسنجر كان رده: **"دعني أقول لك أن كل ذلك لن يغير من الأمر شيئا. سوف يتم إجباركم إذا وصلت الأمور لهذه النقطة". ويضيف: "أنت تعرف أنني أقف إلي جانبكم. وإذا كان من الممكن أن يختفي ذلك الجيش الثالث الليلة فلن يكون هناك أحد أكثر سعادة مني. لا يوجد لدي أي اهتمام بالجيش الثالث ولكن هذا الأمر سوف يصبح كبيرا للغاية بالنسبة لنا (في ضوء مواجهة محتملة مع السوفيت)". وينهي كيسنجر المكالمة بالتأكيد علي أنه "لن نقوم بالضغط عليكم لثانية واحدة قبل أن يصبح الأمر لا يمكن تجنبه".**

وأخيرا في التاسعة مساء بدأت الرسالة التي طال انتظارها من بريجينيف في الوصول عبر الخط الساخن. وبينما هو في انتظار الحصول علي نسخة منها أتصل السفير البريطاني كرومر بكيسنجر ليبلغه بالاستياء البالغ بين الحلفاء الأوربيين في حلف الناتو بسبب رفع حالة الاستعداد دون إخطارهم بشكل مسبق. ويرد كيسنجر: "دعني أكون أمينا. كان يمكننا النقاش مع الشيطان ذهابا وإيابا ولم يكن الأوروبيون ليغيروا موقفهم ذرة واحدة..قد نصل إلي نقطة يجب فيها علي الدول الواقعة علي جانبي الأطلنطي أن تعيد تقييم العلاقات مع الولايات المتحدة".

وفي الساعة ٩,٤٠ مساء يتصل كيسنجر بدينيتز ليبلغه محتوي رسالة بريجينيف والتي كان أهم ما فيها هو تحذير القيادة السوفيتية من أنهم سينتظرون ليوم واحد للموافقة علي دخول الإمدادات إلي الجيش الثالث وإلا فإنهم سيتخذون الإجراءات المناسبة. واعتبر كيسنجر هذه الرسالة بمثابة فرصة تعطي الولايات المتحدة وإسرائيل يوما إضافيا ولكنه كرر تأكيده لدينيتز أنه لا يمكن السماح بإضاعة المزيد من الوقت. كما أبلغه **بأنه سيسلمه نسخة من الخطاب السوفيتي الذي يطرح كذلك العمل علي التوصل إلي تفاهم سري بين البلدين لحل الأزمة. ويشدد علي أن "التفاهم السري الوحيد الذي توصلنا له معهم هو ذلك الخاص بالرعاية المشتركة (مع السوفيت لمباحثات سلام مقبلة) وهو الأمر الذي ناقشته مع رئيسة الوزراء. لا يوجد هناك أي تفاهم سري آخر."**

ويعلق كيسنجر علي خطاب بريجنيف قائلا أنه "كان وثيقة غريبة تحدثت عن تهديدات للسلام العالمي ولكن لم تشر إلي ما سوف يقوم به الإتحاد السوفيتي بشأنها. وطلبت ردا أمريكيا خلال ساعات قليلة ولكنها لم تهدد بأي عواقب سوي إن ذلك سيثير شكوكا كبيرة في نوايانا. وكانت الرسالة واضحة في التعبير عن الاستياء من رفع حالة الاستعداد ولكن الطريقة الحريصة التي تمت بها صياغة جملها أشارت إلي أنهم تعلموا بعض الدروس الهامة خلال الليالي الماضية. ولكن علي الرغم من ذلك فكان هناك حد لمظاهر الضعف التي يستطيع القادة السوفيت التسامح معها".

وفي دفاع عاطفي عن إسرائيل يقول أنه قاوم ضغوط البيروقراطية عليه (وزارة الدفاع والخارجية) للموافقة علي قيام الولايات المتحدة بتولي عملية إمداد الجيش الثالث. "ففكرة القيام بجسر جوي لطرفين متحاربين كانت أكبر مما يمكن للدبلوماسية تحمله. وكنت أتفهم أن التصلب الإسرائيلي كان يعكس تركيبة من الإحساس بعدم الأمن واليأس يتشابك معهما الخوف من الشعور بالعزلة والخشية من وقوع كارثة وهو شعور مترسخ في روح شعب عاني من الكوارث عبر تاريخه الألفي. كما أن هناك قلقا من أنهم إذا استسلموا للضغط مرة فإن ذلك سيفتح الباب أمام سيل لا ينتهي من التنازلات. **كذلك عكس الموقف الإسرائيلي وجود حكومة منقسمة لا يقدر أي من أعضائها علي أن يبدو أكثر ليونة من زملائه. ولقد ناورت طوال اليوم لتفادي التعبير علنا عن خلاف أمريكي مع إسرائيل وذلك للحفاظ علي التماسك النفسي للإسرائيليين في نفس الوقت الذي أقوم بإقناعهم بعدم استغلال موقفهم المتميز إلي الحد الأقصي. ولكن بات واضحا أن إسرائيل لم تكن في موضع يسمح لها باتخاذ قرار.** ويبدو أنها كانت تفضل أن يتم الضغط عليها للإفراج عن فريستها بدلا من القيام بهذه المهمة طوعا. وكانت مسئوليتي الأولي هي عملي كوزير خارجية للولايات المتحدة وليس طبيب نفسي لإسرائيل. وبأكبر درجة من التردد قررت أن واجبي أصبح يحتم فرض مواجهة. وكانت الطريقة الوحيدة التي يمكنني من خلالها التعبير عن صداقتي لإسرائيل هي بإبقاء الأمر سريا هذا إذا سمحت لي إسرائيل بذلك (بدلا من تسريب المعلومات إلي اللوبي المؤيد لها في الكونجرس للقيام بالضغط علي الإدارة - الأهرام)"

وبعد أن يتخذ كيسنجر هذا القرار والذي كما يتضح من السرد السابق أنه كان صعبا علي نفسه للغاية بسبب "صداقته" لإسرائيل قام بالاتصال بدينيتز في الحادية عشر مساء بعد أن تأخر رد الحكومة الإسرائيلية. وكان الموعد النهائي الذي حدده كيسنجر في السابق لإبلاغه عرضا إسرائيليا ينقله للمصريين من أجل إنهاء أزمة الجيش الثالث هو التاسعة مساء. (ولكن طبعا إسرائيل دائما لها استثناء). ورغم أن كيسنجر لم يكن قد قام بالتنسيق مع نيكسون في هذا الشأن فلقد أبلغ دينيتز بأنه كان يتحدث نيابة عن الرئيس الأمريكي. "وكنت واثقا من خلال المحادثات التي أجريتها معه طوال اليوم أنه سيدعم موقفي. وفي الغالب لو كان الأمر قد طرح علي الرئيس نيكسون في وقت سابق لكان قد وافق علي الخيار الداعي إلي قيام أمريكا بعملية إمداد للجيش الثالث ولكنه كان مشغولا بمؤتمره الصحفي بشأن قضية وترجيت".

كيسنجر - دينيتز الساعة ١٠,٥٨ مساء

ك: دعني أبلغك رد فعل الرئيس من خلال عدة أجزاء. الأول أراد مني أن أوضح بشكل تام أننا لن نسمح باستئناف القتال بعد أن تم التوصل إلي اتفاق لوقف إطلاق النار من خلال مفاوضات شاركنا فيها. وبالتالي فإن هذا بديل غير مطروح. سوف نساند أي تحرك في الأمم المتحدة سيساعد في تحقيق هذا الهدف. ثانيا هو يريد منكم وفي موعد لا يتجاوز الثامنة من صباح الغد ردا بشأن قضية الإمدادات غير العسكرية التي سيتم السماح بوصولها للجيش. وإذا لم توافقوا علي ذلك فسيجب علينا مساندة قرار في الأمم المتحدة يحدد كيفية التعامل مع تنفيذ القرارين ٣٣٨ و٣٣٩ (وهي القرارات التي صدرت خلال الأسبوع ودعت إلي تثبيت وقف إطلاق النار.) لقد توصلنا إلي هذا الموقف بعد تردد نتيجة لعدم قدرتكم علي التوصل لقرار. ومهما كانت الأسباب فهذا ما أراد الرئيس مني أن أقوم بإبلاغه لكم. نحن نريد ردا يسمح بنوع ما من المفاوضات وردا إيجابيا بشأن قضية الإمدادات غير العسكرية وإلا سننضم لبقية أعضاء مجلس الأمن في تحويل الأمر إلي قضية دولية. **لا بد لي أن أؤكد ثانية: الطريق الذي تسيرون فيه انتحاري. لن يتم السماح لكم بتدمير ذلك الجيش. إنكم تدمرون إمكانية عقد المفاوضات التي تريدونها أنتم بعدم قيامكم.....**

د: إن اقتراحك بالإفراج عن الجيش قريب جدا من اقتراحنا.

ك: بإمكانكم التقدم بأي اقتراح لنا وسوف نقوم بتوصيله. نحن لم نتقدم باقتراحات خاصة بنا للمصريين. بإمكاننا غالبا التقدم باقتراح توافقون عليه وتؤخرون تنفيذه بحجة الإجراءات العملية وتكسبون فترة قصيرة من الوقت.

د: هذا إذا تقدمنا بعرض بشأن الإمدادات غير العسكرية

ك: هذا صحيح. وبهذه الطريقة سيكون بإمكاننا علي الأقل الإشارة إلي شيء تمكنا من تحقيقه. لا بد أن أقول لك أنكم أحرار في أن تلعبوا بطريقتكم لتروا ما يحدث. ربما يكون المصريون قد وصلوا إلي حالة كبيرة من اليأس. ولكن ليس هذا هو تقديري. من غير المتصور أن يسمح السوفيت بتدمير الجيش الثالث أو أن يقوم المصريون بسحب قواتهم. لن يوافق السادات علي هذا الأمر.

د: أنا غير مخول ولا أشعر أن لدي القدرة للتقدم بنصائح (لمائير). ولكن لماذا لا يمكنني الرد بان إسرائيل تعرض السماح للجيش بالذهاب كما هو بكل أسلحته الجانبية ولكن لا يمكننا السماح لهؤلاء الناس بأن يصطحبوا معهم ٢٠٠ دبابة وذلك لكي يقوموا لاحقا بضربنا.

ك: الاتفاق كان علي وقف لإطلاق النار وفقا للخطوط التي كانت قائمة في ذلك الوقت. هم لن يوافقوا علي خسارة معداتهم وتسليمها لكم. (اعتراف صريح ومباشر بأن إسرائيل هي التي خرقت اتفاق وقف إطلاق النار وواصلت هجومها لمحاصرة الجيش الثالث.)

د: يمكنهم أن يقوموا بتفجير الدبابات.

ك: أنت تطالبهم بتدمير ٢٠٠ دبابة وسحب قواتهم. هم لن يقوموا أبدا بذلك ولن يقبل السوفيت هذا. لماذا لا تعيدون التفكير لمدة يوم وترون إن كان بإمكانكم التوصل إلي شيء.

ويزعم دينيتز أن إسرائيل لديها صور ووثائق تفيد وجود خطط لهجوم ينوي الجيش المصري القيام به فور أن يتم فك الحصار وكذلك بتواصل تدفق الإمدادات السوفيتية علي الدول العربية. ولكن كيسنجر يرفض كل هذه الحجج ويقول له "لو كان الإتحاد السوفيتي أو مصر هو الذين فعل ذلك بكم (انتهاك بعد اتفاق وقف القتال) لكنت قد ناشدت الرئيس اتخاذ أكثر الإجراءات تشددا". وعندما يقترح دينيتز الانتظار حتي تقوم مائير بإرسال خطاب إلي نيكسون تشرح فيه موقفها يرد قائلا: "بإمكانها إرسال خطاب للرئيس. ولكن ذلك لن يحدث أدني تغيير ويحذره من تنامي الضغط عليه من وزارتي الدفاع والخارجية والتي يصر كيسنجر علي الإشارة لها بوصف "البيروقراطية" ويذكره بضرورة إبلاغه ردا في الثامنة من صباح اليوم التالي.

ويشير كيسنجر إلي أنه لم يطلع أي طرف آخر علي الموعد النهائي الذي حدده لإسرائيل. وفي نفس الوقت أرسل خطابا إلي وزير الخارجية المصري إسماعيل فهمي يناشده فيه الموافقة علي عقد مباحثات عسكرية مباشرة بين مصر وإسرائيل تتناول قضية الإمدادات للجيش الثالث. ثم أتصل بالسفير السوفيتي دوبرنين ليبلغه بأن الولايات المتحدة تبنت مسعي دبلوماسيا جديدا وتتوقع ردا عليه من إسرائيل بحلول بعد ظهر اليوم التالي. ويبرر عدم الكشف له عن الموعد النهائي الذي تم تحديده لإسرائيل (الثامنة صباحا وليس بعد الظهر) بخشيته بأن يزايد السوفيت ويحددون مواعيد نهائية تسبق تلك التي حددتها الولايات المتحدة.

كيسنجر ـ دوبرنين الساعة ١١,١٥ مساء

ك: أردت أن أخبرك أننا سنرد علي الرسالة (التي أرسلها بريجينيف عبر الخط الساخن) خلال ساعتين. وسنناقش الأمور التي أشارت لها بشكل عاجل مع الإسرائيليين ونأمل أن يصلنا رد منهم بحلول بعد ظهر الغد ولكن المشكلة صعبة للغاية.

د: هل تريدني إطلاع موسكو علي ذلك أم ستستخدم الخط الساخن

ك: سنشير إلي نفس الأمر في رسالتنا ولكن لا أعرف إن كنت أرغب أن تطلع موسكو. هم سيحصلون علي رد من طرفنا الآن ولكنني لا أريد أن أعطيك ردا نهائيا حتي نتحدث مع الإسرائيليين.

وفي الثانية والنصف من صباح السبت السابع والعشرين من أكتوبر وبعد مرور ثلاثة أسابيع علي بدء الحرب أرسل كيسنجر خطابا إلي السوفيت باسم الرئيس نيكسون يحمل نفس المضمون الذي أشار له في مكالمته مع دوبرنين. ولكن لم يكد ينتهي من إرسال الخطاب حتي تلقي ردا من جولدا مائير. ويقول أن رئيسة الوزراء الإسرائيلية وجهت ردها له شخصيا رغم أن الرسالة التي وصلتها كانت باسم نيكسون. ولكن مائير كانت عادة تتجنب الاصطدام مع الرئيس وتتعامل مع مساعديه وذلك للاحتفاظ به كورقة أخيرة لإقناعه بتغيير القرار الذي من شأنه التأثير علي الوفاق القائم بينهما كما كانت تتفاخر. وإذا فشلت في ذلك فإن تقديم تنازل للرئيس مع قليل من الخبرة والحظ يمكنها علي الأقل من الاستفادة به لطلب خدمة أخري في المستقبل. (الحكومات العربية عادة لا تقتنع بالمساعدين المؤثرين في الإدارة وتصر علي الاتصال مباشرة بالرئيس بدعوي أنه صاحب القرار الأخير. ولكن الحقيقة هي أن ما يسميه كيسنجر بالبيروقراطية هي التي تقوم بالتنفيذ وبإمكانها إعاقة أي قرار حتي لو صدر من نيكسون شخصيًا. ـ الأهرام)

ويصف كيسنجر خطاب مائير بأنه بدا وكأنه موجه لمخاطبة أعضاء حكومتها في إسرائيل وليس إلي الولايات المتحدة حيث قررت التعبير عن معارضتها للتوجه القائم بوضع الأمر في إطار ضغوط تمارسها القوتان العظميان علي إسرائيل والتلميح بأن الولايات المتحدة تقوم بالتسليم لتهديدات الاتحاد السوفيتي. وكان من شأن وضع الأمر بهذه الصورة أن يثير الرأي العام الأمريكي ضد الإدارة من وجهة نظر كيسنجر. ولكن كيسنجر نفسه أعرب عن دهشته من هذا الرد الغريب والمتشدد الذي أتي بعد ثماني عشرة ساعة من الانتظار "خاصة أن كل ما طرحه كان تقديم نوع ما "من الاقتراح نستطيع الدفاع عنه أمام مجلس الأمن" في مواجهة "الضغوط السوفيتية وبعد أسبوعين من بدء الولايات المتحدة جسرها الجوي لإسرائيل".

وأضافت مائير في لهجة تهكم واضحة أن كل ما تطالب به تحديد ما يجب علي إسرائيل القيام به "لكي تعلن مصر الانتصار في اعتدائها". وكل ذلك والكلام لكيسنجر بسبب اقتراح بالسماح بدخول الماء والغذاء لجيش محاصر لمدي ثمان وأربعين ساعة بعد اتفاق لوقف إطلاق النار تفاوضت عليه الولايات المتحدة ورغم أن العرض الأمريكي كان عمليا سيبقي ذلك الجيش محاصرا حتي بعد دخول هذا الحد الأدني من الإمدادات. وفي استخدام واضح لأحد المزاعم المعتادة التي تلجأ لها إسرائيل لابتزاز الولايات المتحدة والمجتمع الدولي قالت مائير "هناك شيء واضح لا يمكن لأحد أن يمنعنا من القيام به وهو أن نعلن الحقيقة بخصوص الموقف وهي أن إسرائيل يتم معاقبتها ليس بسبب أفعالها ولكن بسبب حجمها (الصغير) ولأنها تقف بمفردها|. ومرة أخري فهم كيسنجر من مضمون الرسالة أن مائير تهدد بالحديث علنا عن "ضغوط" أمريكية مما سيتسبب في المزيد من المشاكل للرئيس نيكسون. ولكن النتيجة النهائية كانت إن مائير رفضت الاقتراح الأمريكي وأصرت وفقا لكيسنجر ألا تفرض تسوية عليها من قبل الولايات المتحدة.

٤٠

لم أذق النوم ليلة ٢٧ أكتوبر.. ولكن النهاية كانت سعيدة

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الأربعاء ١٩ نوفمبر ٢٠٠٣م - ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ

يقول كيسنجر إنه في الوقت الذي كانت تجري فيه تلك المناقشات المفعمة بالعواطف مع مائير.. كان العمل يجري في مجلس الأمن من أجل التوصل لاتفاق بشأن تركيبة القوة الدولية من المراقبين التابعين للأمم المتحدة التي ستتوجه لجبهة القتال مع تمسكه بالتقليل من نفوذ السوفيت إلي أقصي درجة. ويشير في هذا الصدد إلي مكالمة أجراها مع مندوب الولايات المتحدة في مجلس الأمن سكالي أطلعه فيها الأخير علي مباحثاته مع نظيره السوفيتي ماليك بشأن الدول التي سيتم السماح لها بالمشاركة في قوة المراقبين مع إصرار واشنطن علي عدم السماح لأي من دول أوروبا الشرقية بذلك مقابل عدم إشراك دول من حلف الناتو.

كيسنجر: وماذا كان رد فعله

سكالي: لقد قال إن هذه تفرقة وعودة إلي زمن الحرب الباردة. وفيما يتعلق بالمراقبين (القوة المشتركة الصغيرة المكونة من أمريكيين وسوفييت) فلقد قلت له إننا قد نرسل عشرين أو خمسين وإننا علي استعداد لسحب مراقبينا إذا قبلوا هم بذلك. لقد كنت معه حاسما مثل المطرقة.

ك: هو أيضا غبي بعض الشيء.

س: لقد اتهمنا بأننا نحاول الإملاء علي السكرتير العام للأمم المتحدة وكان غاضبا للغاية لعدم موافقتنا علي مشاركة بولندا التي قال إنها دولة عظيمة.

ك (متهكما) نعم بولندا التي لها تاريخ طويل من الحب للشعب اليهودي. ولم تقع هناك مذابح ضدهم منذ أن غادرها آخر يهودي (في إشارة إلي الحقبة النازية).

ك: وما هي وجهة نظرك فيما يجب علينا القيام به الآن؟

س: لا بد أن نتمسك بالعرض الذي قدمناه لهم.

ك: أعني ماذا نفعل إذا تم طرح مسألة انسحاب الإسرائيليين إلي خطوط٢٢ أكتوبر؟

س: أعتقد أنه ما لم نستطيع تحريك الإسرائيليين نحو التراجع فلن يبقي لنا أصدقاء في المجلس.

....

وفي الساعة ٤,٠٧ من فجر السبت ٢٧ أكتوبر وصل رد يحمل أخبارا سارة لكيسنجر من حافظ إسماعيل حيث أبلغه بموافقة مصر علي عقد مباحثات مباشرة بين ضباط مصريين وإسرائيليين برتبة لواء "المناقشة الجوانب العسكرية الخاصة بتنفيذ قرارات مجلس الأمن رقم ٣٣٨ و٣٣٩ الصادرة يومي ٢٢ و٢٣ أكتوبر ١٩٧٣. "وأضافت الرسالة المصرية أن المباحثات يجب أن تعقد تحت رعاية الأمم المتحدة عند نقطة الكيلو ١٠١ علي طريق القاهرة ـ السويس. والشروط الوحيدة الذي نصت عليها الرسالة مقابل القيام بذلك هو ضمان سريان وقف كامل لإطلاق النار قبل ساعتين من الاجتماع الذي تم اقتراح عقده في الثالثة بعد الظهر بتوقيت القاهرة في نفس

اليوم (السبت) والسماح بدخول قافلة تحمل إمدادات غير عسكرية للجيش الثالث تحت إشراف الأمم المتحدة والصليب الأحمر.

ويعلق كيسنجر علي هذه الرسالة الهامة قائلا إنه "من خلال وساطتنا كانت إسرائيل علي وشك الدخول في أول مباحثات مباشرة بين ممثلين عرب وإسرائيليين منذ نيلها للاستقلال عام ١٩٤٨. كما ستواصل إسرائيل احتفاظها بالطريق المؤدي إلي الجيش الثالث وذلك في الوقت التي كانت تضغط فيه الأمم المتحدة بشبه إجماع كامل نحو إجبار إسرائيل علي الانسحاب إلي خطوط ٢٢ أكتوبر. وكل ذلك مقابل السماح بإدخال قافلة واحدة من الإمدادات غير العسكرية وكما كنا نطالب علي مدي الأربعة والعشرين ساعة السابقة."

وفي الساعة ٤,٣١ صباحا رد كيسنجر علي الفور علي رسالة حافظ إسماعيل ليعرب عن مساندته القوية لما ورد فيها ويعلمه أنه قام بإخطار الإسرائيليين بمحتواها "بأقصي درجة من الاستعجال". وفي الساعة ٦,٢٠ صباحا أعلنت إسرائيل أنها وافقت علي العرض المصري بمجمله وقام كيسنجر بإخطار السادات بذلك علي الفور. وبعد ثلاث ساعات وخشية قيام السوفيت بأية حيل أرسل خطابا إلي بريجينيف باسم نيكسون يخطره فيه بالمباحثات المصرية الإسرائيلية الوشيكة وموافقة إسرائيل علي دخول القافلة.

وفي الساعة ٨,٤٥ من صباح ٢٧ أكتوبر يتصل سكوكروفت بكيسنجر ليطلعه علي نص الرسالة التي سيرسلها للأمين العام للامم المتحدة فالدهايم يخطره فيه بتفاصيل الاتفاق المصري ـ الإسرائيلي. وأعرب في نهايتها عن أمله في أن يؤدي ذلك الاتفاق إلي وقف حقيقي لإطلاق النار "يسمح للأطراف المتحاربة بمساعدتنا المشتركة التوصل إلي تسوية عادلة وسلام دائم في الشرق الأوسط".

وفي العاشرة صباحًا يتصل كيسنجر بالسناتور فولبرايت ليخطره بتفاصيل ما جري في تلك الليلة التي لم يذق فيها طعم النوم ولكنه يصف النتيجة بأنها كانت "نهاية سعيدة". ويرد فولبرايت قائلا "إذا تمكنت من إقناعهم بالالتقاء والبدء في مباحثات فهذا إنجاز عظيم".

ولكن كالمعتاد وفقا لكيسنجر فإن كل خطوة للأمام في الشرق الأوسط تتطلب التأكد من عدم وجود رمال متحركة في الطريق. وفي نحو الحادية عشرة صباحا بتوقيت واشنطن (الخامسة مساء بتوقيت القاهرة) اتصل الإسرائيليون بكيسنجر ليبلغوه أن الجانب المصري لم يأت إلي الاجتماع المقرر في الثالثة. وقام علي إثر ذلك بسلسلة من الاتصالات تبين بعدها أن ممثل الجانب المصري قد تم توقيفه عند الكيلو٨٥ من قبل الإسرائيليين ولم يسمح له بالتقدم بدعوي عدم وجود تعليمات. ويبدي كيسنجر دهشته الشخصية من هذا التصرف وفشل الضباط الإسرائيليين في الاتصال بقيادتهم في مواجهة حدث غير مسبوق وعلي الرغم من إصرار الجنرال مصري علي التقدم للتفاوض مع نظيره الإسرائيلي! (علامة الدهشة من عند كيسنجر). ولكن تم حل هذا الخلاف سريعا وتحدث كيسنجر شخصيا مع جولدا مائير. وأتضح أيضا أن إسرائيل تجاهلت إخطار الجنرال إنسيو سيلاسفيو قائد قوات الأمم المتحدة باتخاذ الإجراءات اللازمة التي اتفق عليها الوزير الأمريكي مع حافظ إسماعيل. وطالب كيسنجر بسرعة تحديد موعد جديد. وبعد اتصالات عديدة بين الجانبين تم الاتفاق علي أن يلتقي الطرفان في منتصف الليل بتوقيت القاهرة. وأخيرا

تم اللقاء في الواحدة والنصف من صباح الأحد ٢٨ أكتوبر بالتوقيت المحلي بتأخير نحو ساعة ونصف بين ممثلين عسكريين مصريين وإسرائيليين في مباحثات مباشرة للمرة الأولي خلال ٢٤ عاما تحت رعاية مراقبي الأمم المتحدة. ولكن علي مدي ذلك اليوم واصل الإسرائيليون إجراءاتهم الهادفة لتعطيل وصول قافلة الإمدادات إلي الجيش الثالث وذلك كان أحد الشروط المصرية لعقد المباحثات. وكان الإسرائيليون قد أخبروا كيسنجر في وقت متأخر من يوم الجمعة أن الجيش الثالث لديه ما يكفي من الطعام والماء لمدة ثمان وأربعين ساعة "وأنهم مصرون علي أن تبقي هذه الكميات محدودة وأنه إذا انهار الجيش في الوقت الذي كانت القافلة في طريقها إليه فلن يتم ذرف أي دموع في إسرائيل". وأخيرا وفي صباح الاثنين ٢٩ أكتوبر (بعد الظهر في القاهرة) استطاع كيسنجر إبلاغ حافظ إسماعيل بأن القافلة قد وصلت إلي هدفها. وأعلنت مصر عن موافقتها علي عقد المزيد من الاجتماعات "ورغم أن ذلك لم يكن وعدا قاطعا فلقد كان التحول نحو المفاوضات قد بدأ. ولم يمض وقت طويل حتي بات من الصعب التراجع عن هذا الطريق".

وتسرد المكالمات التي يوردها كيسنجر بعد ذلك تفاصيل هذه الساعات الأخيرة التي انتهت بعقد اجتماع الكيلو ١٠١ منتصف ليلة السبت ـ الأحد رغم كل إجراءات التعطيل والمماطلة الإسرائيلية.

كيسنجر ـ الزيات السبت٢٧ أكتوبر الساعة ١٢,٠٤ ظهرا

ك: كم لطيف منك أن تقوم بالاتصال بي.

الزيات: أود أن أشكرك كثيرا علي اتصالاتك. المشكلة إنه لم يتم تنفيذ ما جري الاتفاق عليه. لقد رأيت رسالة من إسرائيل تدعي أن مصر ستواصل المقاومة حتي تدخل مدينة السويس.

ك: لا! لقد تم اطلاعي قبل لحظة أن الإسرائيليين ينتظرون عند الكيلو ١٠١ وأنهم هناك منذ الثالثة ومستعدون للسماح للقافلة بالعبور.

ز: معلوماتنا معلومات موثقة. هذا الصباح كان ممثلونا ينتظرون المرور ولكنه تم الرد عليهم (من قبل الإسرائيليين) أنه لا توجد لديهم تعليمات.

ك: هذا مستحيل يا سيادة وزير الخارجية. نحن ملتزمون بما قلناه لكم ولتقوموا بإرسال قافلتكم والإسرائيليون ينتظرون عند الكيلو ١٠١. لترسلوا رجلكم إلي هناك ونحن سنعمل علي الفور لحل ذلك. نحن نحاول المساعدة.

ز: سأقوم بالاتصال بطرفنا علي الفور.

ك: وأنا سأتصل بالآخرين ليتصلوا بديان. كما سيقوم أحد العاملين معي بالاتصال بك وتسهيل الحصول علي خط (هاتفي) لتقوم باتصالاتك علي الفور.

....

وفي الساعة ١٢,٢٨ يتصل كيسنجر بهيج حيث يتناولان أولا رد الفعل السوفيتي علي المؤتمر الصحفي لنيكسون وتوابع قرار رفع حالة الاستعداد والذي وصفته موسكو بأنه شبيه بقيام الولايات المتحدة بقصف هانوي في فيتنام. ثم يطلعه علي آخر تطورات الموقف بشأن لقاء الكيلو ١٠١ وتعطل الاجتماع.

هيج: لا يمكننا السماح بتجويع الناس (الجيش الثالث).

ك: ربما يكون بإمكانك المساعدة في تهدئة أولئك المجانين في وزارة الدفاع. إن شليزنجر يتحرك في كل مكان... لا يمكننا إقامة جسر جوي إلي مصر.

هيج: لقد أخبرته ألا يقوم بالاتصال بك. ولكنه قال إننا لا يجب أن ندع الناس يموتون في الصحراء وأن الإسرائيليين يكذبون علينا ويجب أن نتخذ موقفا أكثر تشددا. الإنجاز الكبير سيكون إقناع الطرفين بالعمل علي حل هذه المشكلة سويا.

ك: بهذه الطريقة لدينا فرصة ولكن إذا تدخلنا (كما يطالب وزير الدفاع الأمريكي) فسيؤدي ذلك إلي تجدد الحرب. لقد طلبت منه (شليزنجر) ألا يقوم بإرسال بعثة عسكرية لإسرائيل للتحقق مما إذا ما كانوا يكذبون علينا. هل من الممكن أن تساعدني في التعامل معه؟

هيج: سأقوم بما في وسعي.

....

وفي الساعة ١٢,٤٠ دقيقة ظهرا يجري الحوار التالي بين كيسنجر ورئيسة الوزراء الإسرائيلية جولدا مائير:

مائير: أردت فقط أن أقول لك إن هناك شيئا واحدا لا يمكننا قبوله وهو القول بأن هذا الأمر (تأخير عقد الاجتماع) كان متعمدا من جانبنا.

ك: ما قمنا به كان ترتيب كل الإجراءات.

م: لقد ذهب رجلنا إلي نقطة اللقاء وانتظر. وعندما لم تصل المجموعة القادمة من القاهرة ذهب إلي مقر الأمم المتحدة الذي يبعد نحو عشرة كيلومترات وسألهم إن كانوا يتوقعون شيئا وحاول الاتصال بالقاهرة. صحيح أنه كان يجب علي شخص من طرفنا القيام بالاتصال للتنسيق ولكننا افترضنا أن شيئا ما حدث خطأ مع الجانب المصري.

وبعد جدل حول الأسباب التي أدت إلي تأخر الاجتماع ودخول قافلة المساعدات الإنسانية وإصرار مائير أن الأمر يتعلق بسوء فهم مع الإقرار بالخطأ في عدم القيام بالتنسيق المناسب مع الجنرال المكلف بتمثيل إسرائيل في الاجتماع تطالب رئيسة الوزراء كيسنجر بأن يوفر لها المزيد من التفاصيل حول موقع القافلة والوفد المصري بزعم أن هذه الأمور غير واضحة بالنسبة لها. ويعدها كيسنجر بالاتصال بالجانب المصري والتنسيق بين دينيتز والزيات. ويقترح عليها موعدا جديدا لعقد الاجتماع في نفس الموقع في السادسة من صباح الأحد بالتوقيت المحلي.

ولكن في الساعة ١٢,٥٥ ظهرا يعاود كيسنجر الاتصال بدينيتز ويخبره أنه اتصل بالجانب المصري (وزير الخارجية الزيات) وأنه يصدق روايتهم بأنهم ذهبوا إلي الكيلو٨٥ وتم منعهم من قبل وحدة إسرائيلية بحجة أنه لم يكن يوجد لديهم تعليمات. وأضاف أن الجانب المصري اقترح عقد الاجتماع في العاشرة من مساء نفس اليوم (السبت) بالتوقيت المحلي بدلا من إضاعة سبع ساعات والانتظار حتي السادسة صباحا وأنه اتفق معهم علي ذلك الأمر. ولكن دينيتز يشكك في صعوبة تحقيق ذلك ويعده بالاتصال برئيسة الوزراء مائير. وكان كيسنجر قد تحدث مع الزيات قبل لحظات من مكالمته مع السفير الإسرائيلي حيث أكد له بشكل قاطع التزام الولايات المتحدة بالاتفاق الذي تم التوصل إليه.

وفي الواحدة ظهرا اتصل شليزنجر بكيسنجر ودار الحوار التالي الذي عكس تردي العلاقات بينهما إلي حد ما:

ش: ما الذي قمت به بشأن قضية الجيش الثالث؟

ك: نحن في وضع الآن يسمح لنا بالتعامل مع هذه القضية. لا يمكنني إنزال قوات أمريكية في الإمارات والقيام من هناك بتوفير إمدادات للجيش الثالث.

ش: بالطبع لا.

ك: يجب علينا أن نركز علي تحقيق الأمرين التاليين: دخول القافلة الليلة وعقد الاجتماع.

ش: رائع...المهم هو الجيش الثالث.

ك: لا.. الأهم هو تثبيت وقف إطلاق النار. إذا توصل المصريون والإسرائيليون لاتفاق حول الجيش الثالث فهذا... لا يوجد لدينا مصلحة فيما يحدث للجيش الثالث.

ش: لدينا بعض الاهتمام بالجيش الثالث. لقد قمنا نحن بالمساعدة في ترتيب وقف إطلاق النار وتم بعد ذلك محاصرتهم وهذا يؤثر إلي حد ما علي موقعنا في المنطقة كصانعين للسلام..

ك: أؤكد لك أنني قمت باتصالات مطولة معهم استغرقت طوال ليلة أمس. كما أنني كنت علي اتصال طوال صباح هذا اليوم مع الزيات وفهمي وهم سعداء للغاية بما نقوم به.

ش: لقد قمت بعمل رائع.

ثم يسأل كيسنجر شليزنجر إذا ما كان من الممكن للقافلة السفر خلال الليل ويجيب بأن ذلك أمر ممكن. وبدوره يستفسر وزير الدفاع إذا ما كان كيسنجر قد أبلغ إسرائيل بأنه سيتم وقف الجسر الجوي إذا لم ينصاعوا. ويرد كيسنجر "لقد قلت لهم أننا سنكون قاسين للغاية ولكن لم أشر إلي ما سوف نقوم به".

ش: في جميع الأحوال إذا سمحوا بدخول القافلة فذلك سيعني أنه تم تسوية المشكلة.

ك: لم نتحدث بشأن الجسر الجوي. ما قلته لهم أننا سنصوت ضدهم في مجلس الأمن.

ش: إذا قاموا بمنع هؤلاء الناس من إدخال الماء والغذاء فسيكون ذلك عملا إجراميا.

ك: العاشرة مساء اليوم تجيء بعد نحو ثلاث ساعات (بالتوقيت المحلي).

ش: حسنا. ولكن في حالة إذا ما فشلوا في القيام بذلك يجب علينا أن نفكر في قطع الجسر الجوي. هذه ستكون طريقة للتعبير عن وجهة نظرنا بوضوح.

ك: أعتقد أن ذلك سيكون من ضمن الأمور الذي قد ننظر فيها عندما نواجه ذلك (الرفض الإسرائيلي).

ولم تمض سوي عشرة دقائق حتي يعاود شليزنجر الاتصال بكيسنجر ليبلغه هذه المرة بما بدا أنه معلومات خطيرة وهي أن الجيش الثالث يقوم ببناء جسرين عبر قناة السويس وأن الإسرائيليين بصدد مهاجمتهم. ويعده كيسنجر بالاتصال علي الفور بالسفير الإسرائيلي.

كيسنجر ـ دينيتز الساعة ١,١٥ ظهرًا

ك: لقد سمعت للتو من مصر. هم يريدون الاجتماع عند منتصف الليل بالتوقيت المحلي.

د: ذلك سيكون أفضل بالنسبة لنا. لقد اقترحنا الحادية عشرة ولكني سأقترح منتصف الليل.

ك: هم يريدون أيضا تحريك القافلة.

د: نعم القافلة والاجتماع.

ك: ولقد أخبرنا المصريون أن هناك عددا من المراقبين التابعين للأمم المتحدة منعوا من دخول مدينة السويس. هل بإمكانكم السماح لهم بالدخول؟

د: يجب علي التأكد من ذلك. لا توجد السلطة لاتخاذ القرار.

ك: أرجو أن تأتيني برد إيجابي سريعا. لدي مطالب بوقف الجسر الجوي وأن تقوم القوات الأمريكية بتوفير الإمدادات (للجيش الثالث). إن حكومتنا تكاد تصاب بالجنون.

....

وفي الساعة ١,٣٥ ظهرا يتصل شليزنجر بكيسنجر ليؤكد له إمكانية أن تقوم القافلة بالتحرك ليلا علي طريق السويس. وأكد له كيسنجر بدوره أنه يضغط علي الإسرائيليين وأنه هددهم بعقوبات إذا لم يتم تنفيذ الاتفاق.

٤١

على سبيل المزاح.. طلبت من جولدا مائير لقاء السادات عند الكيلو ١١١ ونصف!

واشنطن: خالد داوود

الأهرام السبت ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٣م - ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ

في الساعة ١,٥٥ بعد الظهر يجري اتصال بين كيسنجر والسفير الاسرائيلي سيمحا دينيتز الذي ينفي منع دخول مراقبي الأمم المتحدة إلي السويس ويقول أنهم وصلوا في ساعة متأخرة وطلبوا البقاء عند مدخل المدينة حتي الصباح. وأضاف "إنني أطلعك علي آخر المعلومات من ديان. هناك اتفاق والكل هناك سعيد. لا يوجد قتال الآن." وفيما يتعلق بالقافلة والاجتماع يبلغ دينيتز كيسنجر بموافقة الحكومة الإسرائيلية "رغم كل المصاعب" علي عقد الاجتماع في نفس المكان وأنه تم التنسيق مع مراقبي الأمم المتحدة الذين قاموا بدورهم بالتنسيق مع المصريين لكي يتم عقد الاجتماع عند منتصف الليل. وفيما يتعلق بالقافلة قال أنه سيتم السماح لها بالدخول إلي السويس بشرط أن يتولي قيادة الشاحنات سائقون تابعون للأمم المتحدة أو إسرائيليون وليسو مصريين وذلك بزعم إن إسرائيل لديها معلومات أن مصر سترسل رجال مخابرات في هيئة سائقين للاطلاع علي الموقف ومواقع القوات والدبابات الإسرائيلية "بعد التقدم لنحو سبعين كلم داخل أراضينا" (سريعًا اعتبر ديان الجزء الذي احتلته إسرائيل علي الضفة الشرقية جزءًا من الأراضي الإسرائيلية - الأهرام.) ويناشده كيسنجر عدم القيام بأية ألاعيب وألا يكون ذلك المطلب الأخير الخاص بالسائقين محاولة للتعطيل لأن ذلك سيكون أمرًا غير مقبول. كما يزعم دينيتز بأن الجيش الثالث يقوم بمواصلة محاولة بناء الجسور علي مدي اليوم وإطلاق النار علي الجنود الإسرائيليين ويطلب من كيسنجر أن يطلب من مصر الالتزام الكامل بوقف إطلاق النار.

في الساعة ٢,١٠ بعد الظهر يعود كيسنجر للاتصال بشليزنجر ليبلغه بتفاصيل الاتفاق مع إسرائيل وأنه تم تحديد منتصف الليل كموعد نهائي للقاء. ويهنئه وزير الدفاع على ذلك ويطلب منه أن ينسب الفضل في التوصل لذلك الاتفاق إلى الرئيس نيكسون لأنه يحتاج مثل هذا النوع من الدعم وسط مشاكله الداخلية. (ومن المعروف أن كيسنجر كان يقوم بنسبة كافة القرارات المهمة إليه وهو ما قد يكون صحيحًا إلى حد ما في تلك الفترة حيث كان الرئيس نيكسون غارقًا في توابع أزمة ووتر جيت.)

وفى الساعة ٢,٤٠ بعد الظهر يتصل كيسنجر بدينيتز ليبلغه بموافقة مصر على أن يقوم سائقون تابعون للأمم المتحدة بقيادة الشاحنات وأنهم يرغبون في دخول السويس عند منتصف الليل. ويعرب دينيتز عن رأيه أن الأمم تسير على ما يرام.

وفى الساعة ٣,٠٥ بعد الظهر تجرى المكالمة الأخيرة التي يشير لها كيسنجر في كتابه وكانت مع دينيتز الذى أبلغه رسالة مع مائير توكد فيها مجددًا أن قوة الأمم المتحدة هي التي اختارت طوعًا عدم الدخول إلى مدينة السويس في المساء بسبب المخاطر هناك وأن عددهم زاد من خمسين إلى ٢٥٠. وأضاف أنه سيتم السماح لهم بدخول المدينة ولكن دون تقديم مساعدة لهم بزعم أن إسرائيل ترفض تحمل مسئوليتهم. كما تم التأكيد على الاتفاق الخاص بسائقى الشاحنات وأن يكونوا تابعين للأمم المتحدة وكذلك قيام مصر بإصدار أوامر جديدة تدعو إلى الالتزام بوقف إطلاق النار.

ويحاول دينيتز إضفاء جو من المرح على المحادثة ويقول لكيسنجر إن مائئر طلبت أن ينقل له المزحة التالية:

د: رئيسة الوزراء تريد اللقاء بالسادات في الساعة ٣,٣٠ من مساء اليوم عند الكيلو ١١١ ونصف. وإذا وصلتك رسالة إيجابية من السادات.. وهى تتفهم مهمتك المستحيلة في معرفة الحقيقة عندما تقنعه بالإجابة.

ك: أنا سعيد أنه ما زال لديها روح دعابة.

د: نعم لقد كنت على وشك أن أفقد هذه الروح.

ك: أن متأكد أن الأمور ستسير على ما يرام.

ك: لقد انتهينا من أسوأ يوم.

"وأخيرًا في الساعة الواحدة والنصف بالتوقيت المحلى من صباح الأحد ٢٨ أكتوبر وبعد تأخير نحو ساعة ونصف الساعة عن الموعد المقرر التقى ممثلون عسكريون مصريون وإسرائيليون في مباحثات مباشرة للمرة الأولى خلال ٢٤ عامًا تحت رعاية الأمم المتحدة".

"وفى صباح الاثنين ٢٩ أكتوبر أبلغ كيسنجر حافظ إسماعيل بوصول القافلة إلى مدينة السويس "ووافقت مصر على عقد المزيد من الاجتماعات مع إسرائيل للتوصل إلى تسوية بشأن أمور أكثر أهمية. وبينما بقيت هذه الأمور دون حل حاسم فلقد بدأ التحول نحو المفاوضات وبات من الصعب التراجع عنها. وانتهت هذه المحادثات باتفاقية فض الاشتباك الأولى بين مصر وإسرائيل في يناير ١٩٧٤ ولحقها اتفاق سياسى في سبتمبر ١٩٧٥ ثم معاهدة سلام في ١٩٧٩ والتي مازالت نافذة حتى وقت كتابة هذه الكلمات".

***

في شهر مايو الماضى احتفل وزير الخارجية ومستشار الأمن القومى السابق هنرى كيسنجر بعيد ميلاده الثمانين. ورغم أنه خرج رسميًا من الحكومة الأمريكية عام ١٩٧٧ فهناك إجماع على أنه ما زال شخصية قوية ومؤثرة حتى وقتنا هذا من خلال مكتبه للاستشارات الدولية "كيسنجر آسوشيتز Kissinger Associates" في مدينة نيويورك. فكيسنجر يتمتع بعلاقات دولية نافذة عبر المحيطات واتصالات وثيقة بمراكز صنع القرار في واشنطن بحكم الانتماء لناد واحد هو نادى السياسيين الأمريكيين الذى يسميه البعض هنا بـ "الحكومة الدائمة".

ومنذ وصول الرئيس الحالي جورج بوش إلى البيت الأبيض عام ٢٠٠١ كان كيسنجر من بين مستشاريه المقربين الذين يستعين بنصائحهم في قضايا السياسة الخارجية. وأثارت هذه العلاقة زوبعة في نهاية العام الماضى بعد أن قرر بوش تعيينه ليرأس لجنة مستقلة للتحقيق في أوجه القصور التي أدت لوقوع هجمات الحادى عشر من سبتمبر. القرار كان بمثابة الصدمة للرأي العام الأمريكي ولغالبية أسر الضحايا الذين يرغبون قبل كل شيء في معرفة حقيقة ما حدث ومن المسئول الذى يمكن توجيه اللوم له للفشل في إحباط مقتل ٢٧٠٠ شخص. فكيسنجر والحقيقة بشكلها المثالى لا يجتمعان إلى حد ما ولا يمكن لهما أن يكونا وجهين لعملة واحدة. فالرجل نموذج للسياسى المحنك الذى اعتمد طوال مسيرته السياسية المبدأ الأكر بدائية في إدارة أي صراع وهو أن الغاية تبرر الوسيلة بغض النظر عن أي أبعاد أخلاقية أو قانونية. وأحد أقواله المأثورة: "الأشياء غير القانونية نقوم بها على الفور. أما الأمور غير الدستورية فتستغرق وقتًا أطول". ومثلما ينظر البعض في العالم إلى كيسنجر كنموذج يحتذى للسياسى العبقرى فهناك كثيرون في أمريكا يرون أنه يستحق معاملة "مجرمى الحرب" وذلك لدوره في بعض أسوأ المذابح والحروب التي شهدتها دول جنوب شرق آسيا وتحديدًا في فيتنام وكمبوديا ولاوس وكذلك في بنجلاديش وتيمور الشرقية. وكيسنجر متهم كذلك بوقوفه وراء بعض أسوأ أعمال العنف والانقلابات الدموية التي قادها عسكريون في أمريكا اللاتينية وعلى رأسها بالطبع الإطاحة بالرئيس المنتخب لتشيلى سلفادور الليندى على يد الجنرال بينوشيه والذى ما زال ضحاياه يتعقبونه لمحاكمته حتى اليوم كمجرم حرب. وعندما قرر كيسنجر الاعتذار عن قبول مهمة رئاسة لجنة ١١ سبتمبر لم يكن استجابة لحملة الانتقادات التي تجددت ضده في الصحف الأمريكية والتي أعادت التذكير بماضيه المثير للجدل ولكن لأنه رفض لكشف عن قائمة الدول والجهات التي يتعامل معها ويخدم مصالحها في إطار شركة الاستشارات الخاصة التي يديرها بناء على طلب أسر الضحايا الذين أرادوا ضمان نزاهة التحقيق.

ولكن بالنسبة لمؤيدى كيسنجر فهو الأكاديمى الخبير في العلاقات الدولية والذى أتى من ألمانيا مهاجرًا وهو طفل في الخامسة عشرة في أوج اضطهاد اليهود هناك عام ١٩٣٨ وهو الذى أنقذ الولايات المتحدة خطر المواجهة النووية مع الاتحاد السوفيتى القوة العظمى المنافسة في ذلك الوقت. وكما بدأ ودفع كيسنجر الولايات المتحدة للحرب مع فيتنام عام ١٩٦٨ في إطار المواجهة الأوسع مع موسكو فلقد كان هو أيضًا الذى عمل على إنهائها مما أهله للحصول على جائزة نوبل للسلام بينما هو منشغل في حل الموقف المتفجر في الشرق الأوسط بعد اندلاع حرب أكتوبر. وكذلك فإن كيسنجر هو صاحب سياسة الانفتاح على الصين وزياراته التاريخية لبكين هي التي مهدت الطريق أمام تحسين العلاقات بين البلدين. وبالتالي اكتسب سمعة دولية في ذلك الوقت بأنه هو الوحيد القادر على حل الأزمات العالمية وأصبح إعلان تدخله لتسوية صراع ما إيذانًا بأنه على وشك الحل على يد الساحر كيسنجر. فالإنجازات التي حققها كانت تبدو مستحيلة ومستعصية على الحل في زمن الحرب الباردة والتي كانت حربًا فعلية بين القوتين العظميين استخدمت فيها كل الوسائل العلنية والسرية وراح ضحيتها الملايين. ولكن الضحايا لم يكونوا أمريكيين أو روس حيث أن المواجهة المباشرة بين العملاقين في ذلك الوقت كانت تعنى استخدام أسلحة نووية بل كانت الضحايا أبناء الشعوب الأخرى في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية الذين دفعوا ثمن المنافسة بين القوتين لتوسيع نفوذهما وإمبراطوريتها الخاصة.

وكيسنجر بذكائه ونفوذه وطموحه الواسع كان محرك سياسة الولايات المتحدة في واحدة من أهم مراحل المواجهة مع الاتحاد السوفيتى. ودفعه طموحه لعدم الاكتفاء بمنصب مستشار الرئيس ريتشارد نيكسون لشون الأمن القومى بل ناور وحارب لأعوام حتى تمكن كذلك أن يستولى على منصب وزير الخارجية الذى مثل طموحًا شخصيًا له بصفته خبيرًا في الشئون الدولية. وكان هدفه الأول والمعلن في كل الأزمات التي خاضها هو تقليص نفوذ "العدو الشيوعى" وبروز الولايات المتحدة كأكبر قومة مهيمنة على العالم. وإذا كان هذا هو الدافع الأساسى وراء السياسات التي صاغها في ذلك الوقت فإن الأمر يكتسب بُعدًا آخر عندما يكون متعلقًا بالشرق الأوسط وإسرائيل. فكيسنجر يهودى أمريكى لا يخفى تعاطفه الكامل وإيمانه بإسرائيل مثل العديد من السياسيين الأمريكيين أعضاء "الحكومة الدائمة" وبغض النظر عن ديانتهم. فالكثير من اليهود الأمريكيين المؤمنين بإسرائيل كنبوءة توراتية تغلغلوا داخل كافة مؤسسات صنع القرار الأمريكي منذ عقود حتى أصبح النظر لإسرائيل كحليف استراتيجى لابد من حمايته ولا يمكن التخلي عنه هو أحد أركان السياسة الخارجية الأمريكية في التعامل مع الشرق الأوسط. وإذا كان هناك من انقسام في صفوف الإدارات الأمريكية المختلفة حول هذه القضية فهو حول درجة دعم إسرائيل في مواجهة العرب بطريقة لا تؤدى إلى خسارتهم تمامًا مع التمسك التام بحماية أمن إسرائيل. أما احتمال التفكير أو الإشارة أو التلميح بالتخلى عن التأييد الكامل لإسرائيل فهو من المحظورات السياسية هنا في الولايات المتحدة. (ويكفى على سبيل المثال للتدليل على ذلك ما تعر له هوارد دين أحد مرشحى الحزب الديمقراطى للتنافس على منصب الرئاسة العام القادم عندما قال قبل شهرين أن الولايات المتحدة يجب أن تتبنى سياسة "منصفة" تجاه الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي. تعرض دين لنقد قاس وكأن أول من هاجمه زملاءه في الحزب الديمقراطى وعلى رأسهم السناتور جو ليبرمان الذى أصر على أن "الانحياز" إلى إسرائيل "هو ركن من أركان السياسة الخارجية الأمريكية".)

ومن نفس هذا المنطلق أدار كيسنجر الأزمة التي واجهها بعد اندلاع حرب ٦ أكتوبر. فمن ناحية كان يزعم أمام بقية أقطاب الإدارة أن هدفه الأساسى وراء مساندة إسرائيل المطلقة من خلال جسر جوى غير مسبوق في التاريخ بلغ هبوط طائرة أمريكية مقاتلة في مطار تل أبيب كل ١٥ دقيقة هو عدم السماح بهزيمة دولة حليفة للولايات المتحدة أمام العرب الذين يدعمهم السوفيت في إطار الحرب الباردة. ولكنه كان يلقى مقاومة من آخرين في الإدارة ممن كانوا يتفقون معه على وجوب مساعدة إسرائيل ولكنهم كانوا يدركون أن انحياز كيسنجر العاطفى والمطلق لها قد يؤدى في النهاية إلى الإضرار بمصالح الولايات المتحدة نفسها.

وفى خطاب ألقاه كيسنجر مؤخرًا في مقر السفارة الإسرائيلية في واشنطن بمناسبة حضوره حفل تأبين لرئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين أكد الرجل الذى أدار سياسة أمريكا تجاه الشرق الأوسط إبان حرب أكتوبر ١٩٧٣ ومهد للتحول التاريخيى في علاقة مصر بالولايات المتحدة واستمرار ولائه الكامل والمطلق لإسرائيل بل ومساندته لحكومة رئيس الوزراء الحالي إيريل شارون. ففي قاعة اكتظت بكبار المسئولين في إدارة بش وقيادات الكونجرس

وضع كيسنجر مساندة الولايات المتحدة لإسرائيل في إطار تأييد "قضية شعب يعيش في بيئة معادية ووسط جيران يرفضون الاعتراف حتى بوجوده". وبالنسبة له فإن وجود إسرائيل مثل "نهاية للعذاب والاضطهاد الذى عانى منه اليهود على مدى تاريخهم الطويل". (أي أن السيد كيسنجر مؤمن بوجود إسرائيل مثله في ذلك مثل عتاة الصهاينة). وأضاف أن رابين اتخذ "مخاطرة كبيرة" ببدء مسيرة السلام "لأن التنازلات التي كان سيقدمها الطرف الآخر (العرب والفلسطينيين) تكاد تكون رمزية (٧٨ في المائة من أرض فلسطين التاريخية تنازل رمزى للغاية بالفعل!). بينما كان كل ما يريده هو الحصول على الاعتراف بهذه الدولة المهددة بالتدمير... ولذلك فإن الولايات المتحدة مطالبة بأن تبدى دائمًا التفهم لحقيقة أن إسرائيل تشعر طوال الوقت بأن وجودها نفسه مهدد".

ويواصل حديثه عن ما يرى أن مأساة وخصوصية إسرائيل والشعب اليهودى الذى واجه (إبان الحقبة النازية) ويواجه خطر الفناء. فالسيد كيسنجر يعتقد بأنه "لا توجد دولة أخرى في العالم تقدر الروح البشرية كما تقدرها إسرائيل. وعندما تعاملت مع أمهات الأسرى الإسرائيليين في مصر وسوريا (أثناء حرب ١٩٧٣) فهمت مدى صعوبة التضحيات التي يقدمها شعب يعادل سقوط كل قتيل فيه مصرع المئات من الأمريكيين (نظرًا لصغر حجم شعبها واليهود عمومًا)". ورغم كل معاهدات السلام التي وقعتها إسرائيل في مصر والأردن والفلسطينيين فإن السيد كيسنجر الصديق الصدوق لإسرائيل يرى أن جوهر صراعها مع العرب ما زال قائمًا "حيث لم يتضح بعد إذا كان شركاء إسرائيل يقبلون بوجودها وينظرون إلى المفاوضات على أنها وسيلة للتوصل إلى تسوية نهائية أم يتعاملون مع هذه المفاوضات باعتبارها خطوة نحو تدمير إسرائيل. لا توجد دولة في العالم تقدم تنازلات مقابل وعود رمزية. وفى إسرائيل يجب الحفاظ على ذلك التوازن الرفيع لحماية شعب كان في مقدمة من تعرضوا للاضطهاد بسبب عزتهم ورغبتهم في الاستقلال". وبالرغم من كل هذه المخاطر أضاف كيسنجر فإن إسرائيل عندما رأت في عهد رابين فرصة للسلام "اتخذت مخاطرات ضخمة وربما غير مسئولة. ولا يوجد لدى شك في نوايا الحكومة الحالية (برئاسة إيريل شارون) وأنها إذا رأت فرصة أمامها للسلام فسوف تتصرف بنفس الطريقة".

أما السفير الإسرائيلي في واشنطن دانييل أيالون فلقد أشاد بدوره بالعلاقات مع الولايات المتحدة قائلًا أنها "لم تكن أفضل حالا مما هي عليه الآن. فنحن نشترك في نفس القيم ونواجه نفس التهديدات وتاريخنا متداخل من ناحية طريقة نشأتنا كدول (وفقًا لهذا المنطق فالفلسطينيون هم الهنود الحمر وقد ينتهى بهم الحال في محميات تحيطها الأسلاك الشائكة).... كل الأمريكيين شعروا أنهم إسرائيليون في ١١ - ٩ (بزغم أن ما تتعرض له إسرائيل على يد الفلسطينيين شبيه بهجمات ١١ - ٩) وكل الإسرائيليين شعروا أنهم أمريكيون عندما تم اغتيال رابين حيث كان الأمر شبيهًا بمقتل جون كينيدى". وأوضح أنه على الرغم من كل المخاطر التي تتعرض لها إسرائيل فإن "رئيس الوزراء شارون قال أنه على استعداد لتقديم تنازلات مؤلمة وذلك على الرغم من أننا لم نخسر أي حرب". فهذا هو المنطق الذى يفهمه صناع القرار في السياسة الأمريكية وهو أن من ينجح في تحقيق النصر بالقوة أمام عدوه لا يجوز مطالبته بتقديم تنازلات.

شعرت أن هذه المقدمة الطويلة عن كيسنجر ضرورية قبل الخوض في التعليق على كتابه "الأزمة" الذى عرض الأهرام فصوله على مدى الفترة الماضية. هذا الكتاب الذى احتوى مئات المكالمات الهاتفية التي أجراها كيسنجر منذ اندلاع الحرب في السادس من أكتوبر وحتى نهايتها لم يكن مجرد مراجعة للتطور اليومى للحرب والدور الذى لعبه هو شخصيًا في كافة مراحلها ولكنه كان أيضًا وثيقة نادرة تعكس الطريقة التي تنظر بها المؤسسة الحاكمة في الولايات المتحدة للصراع العربى - الإسرائيلي بدءًا من البيت الأبيض ومرورًا بوزارة الخارجية والدفاع ووكالة الأمن القومى ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

٤٢

كتاب كيسنجر أكد هزيمة إسرائيل في حرب أكتوبر

واشنطن: خالد داوود

الأهرام الأحد ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٣م - ٢٩ رمضان ١٤٢٤هـ

رغم أنه مضي ثلاثون عاما وتغيرت العديد من الإدارات منذ انتهاء حرب أكتوبر فلا تزال الخطوط العريضة للسياسة الأمريكية منذ ذلك الوقت قائمة دون تغيير: اعتبار أن القرارات الدولية مثل ٢٤٢ و٣٣٨ مبادئ عامة يجري تنفيذها فقط من خلال المفاوضات المباشرة مع رفض الانسحاب الإسرائيلي الكامل من الأراضي العربية التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧ لأن المنتصر لا بد أن يحقق بعض المكاسب ولكن الأهم من هذا وكما قال كيسنجر في خطابه في حفل تأبين رابين ـ ضمان اعتراف العرب "بحق" إسرائيل في الوجود وعدم اعتبار المفاوضات خطوة أولي نحو السعي لتدميرها. وبسبب "الطبيعة الخاصة" للشعب اليهودي وشعوره التاريخي بالاضطهاد والخشية من الفناء رأت الإدارات الأمريكية المتعاقبة أنه لا بد من التعامل مع إسرائيل برفق وتفهم وعدم إجبارها علي قبول ما تري أنه يضر بأمنها.

وعندما تقدم رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إيهود باراك باقتراحات قال الإسرائيليون إنها كانت "الأكثر كرمًا" في التاريخ لتسوية الصراع مع الفلسطينيين أثناء مفاوضات كامب ديفيد عام ٢٠٠٠ مع الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات كان الشرط الأساسي مقابل ما قدمته من تعهدات هو موافقة الجانب الفلسطيني علي التوقيع علي وثيقة يعلنون بمقتضاها إنهاء الصراع والاعتراف "بحق" إسرائيل في الوجود "كدولة يهودية". كم غريب هو أن يطالب الإسرائيليون العرب بأن يصبحوا هم أيضا صهاينة فيؤمنوا بادعاءاتهم حول أن الحل النهائي لمأساة اليهود عبر تاريخهم هو إنشاء دولة خاصة بهم في أرض فلسطين (هذا هو تعريف الصهيونية وفقا للكتب الرسمية الإسرائيلية.).

لو كان اليهود قد قرروا أن الحل الوحيد لاضطهادهم التاريخي هو إنشاء دولة في روسيا أو ألمانيا أو بولندا أي المناطق التي تعرضوا فيها بالفعل لمذابح وممارسات يخجل منها التاريخ البشري لكان من الممكن تصور أن يتعاطف العرب مع معاناتهم كقضية نظرية تتساوي مع مساندتنا لأي أقلية تتعرض لاضطهاد في أماكن تبعد عنا آلاف الأميال وأن نقول مثلا بأننا نؤمن بحق اليهود في روسيا في دولة مستقلة. ولكن أن يأتوا إلي قلب المنطقة العربية بعد اضطهادهم في أوربا ليستولوا علي قطعة غالية من أرضها ويفرضون نظاما أسوأ من الحكم العنصري علي الفلسطينيين ثم يطالبوننا أن نؤيدهم في ذلك "الحق" التاريخي فلا شك أن هذا عبث وجنون ولكن ليس من وجهة نظر السيد كيسنجر والمؤمنين بإسرائيل في الولايات المتحدة.

ومثلما يكشف كتاب "الأزمة" عن جهود كيسنجر ومناوراته المتواصلة للدفاع عن إسرائيل وضمان تفوقها فإنه يعكس أيضا مدي روعة النصر الهائل الذي حققه المصريون والسوريون والعرب جميعا خلال هذه الحرب المجيدة والفاصلة في تاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي بكل تأكيد.

كنت في السادسة من العمر عندما اندلعت حرب أكتوبر ومثل أبناء جيلي الذي يقترب الآن من العقد الرابع ومن لحقنا من أجيال لا نفهم حقيقة ما جري في أكتوبر ١٩٧٣ وأهمية هذا الحدث. وفي الوقت الذي تبدو فيه الأوضاع العربية شديدة التردي ويتعرض الفلسطينيون لمذابح يومية وتحتل القوات الأمريكية العراق فإنه يمكن للأجيال الحالية أن تنظر إلي حرب أكتوبر علي أنها نموذج قريب لما يمكن أنه ينجم عنه التخطيط الدقيق والتعاون والتنسيق الحقيقي بين الدول العربية وكذلك القيادة الحازمة التي تعرف حدودها جيدا وتعمل من أجل تحقيق هدف واضح.

يختلف الكثيرون علي الرئيس السادات وسجله ولكن من يقرأ كتاب كيسنجر يدرك جيدا مدي شجاعة ذلك الرجل في اتخاذ قرار الحرب شديد الصعوبة. فالحرب حينذاك لم تكن مجرد مغامرة بمستقبله الشخصي بل كذلك مغامرة بمستقبل أمة بأكملها كان من الواضح أنها فقدت إلي حد كبير شعورها بالثقة ويعتصرها إحساس بالإهانة. وبعد الهزيمة الكاسحة التي لحقت بالدول العربية في ١٩٦٧ فلقد كان احتمال وقوع هزيمة مماثلة بمثل تلك النتائج الكارثية يكفي بمفرده لتردد أي قائد في اتخاذ قرار جديد بالحرب. وبسبب هزيمة٦٧ يتضح من محادثات كيسنجر في الأيام الأولي للحرب مدي ثقته المفرطة في أن الأمر برمته سينتهي بهزيمة ماحقة للعرب خلال يومين أو ثلاثة. وعندما كشف له السفير الإسرائيلي دينيتز في التاسع من أكتوبر حقيقة الموقف وأن حليفته المدللة إسرائيل قد عانت من خسائر فادحة برر كيسنجر ذلك بأن إسرائيل حاربت في ١٩٧٣ وفقا لعقلية ١٩٦٧ وبالتالي ساهم غرورها واستهانتها بقدرات الجانب العربي في خسارتها. ولم يكن كيسنجر والإسرائيليون يستبعدون فقط احتمال انتصار المصريين في أي حرب ولكنهم لم يكونوا يتوقعون اندلاعها من الأساس وذلك بزعم إدراك الرئيس السادات بأنه لن يتمكن من الانتصار في مواجهة إسرائيل القوية.

ولم يكن علي الرئيس السادات فقط تجاوز ذلك الشعور الحقيقي بالخشية من هزيمة جديدة بل كان عليه أن يدير الحرب أيضا في ظروف دولية صعبة للغاية ترتبط بظروف الحرب الباردة بين القوتين العظمتين. ولا شك أن الرئيس السادات كان يدرك جيدا أن الولايات المتحدة ستسرع لنجدة إسرائيل ولكن هدفه منذ البداية كان تحريك قضية الشرق الأوسط بعد أن بدا أنها دخلت مرحلة طويلة من الجمود. وكما يتضح من الوثائق الأمريكية الرسمية التي تم الكشف عنها مؤخرا بمناسبة حرب أكتوبر (والتي سيصدرها الأهرام كاملة قريبا في كتاب) فلم يكن لدي كيسنجر المسئول عن صياغة سياسة أمريكا الخارجية في ذلك الوقت النية في القيام بأي تحرك حقيقي لتسوية الصراع العربي - الإسرائيلي والاستجابة لمطلب العرب الأساسي وهو انسحاب إسرائيل من الأراضي التي تم احتلالها عام ١٩٦٧. فقد كان منشغلا للغاية في قضايا دولية أخري كثيرة وعلي رأسها بالطبع سياسة الوفاق مع السوفيت وحرب فيتنام والعلاقات مع الصين. وبالتالي أدرك الرئيس السادات أنه لم يكن أمامه من خيار سوي الحرب لاستعادة الاهتمام بملف الشرق الأوسط ولكن بشرط أن يتمكن من تحقيق انتصار يحسن من موقف العرب التفاوضي. كما استغل الرئيس السادات ظروف الحرب الباردة لمصلحة القضية العربية وكان دور المواجهة القائمة في ذلك الوقت بين أمريكا والاتحاد السوفيتي حاسما في تحديد مسار حرب أكتوبر ونهايتها.

ورغم مرور ثلاثون عاما علي حرب أكتوبر فما زال الجدل يدور حول الحكم النهائي علي نتيجة هذه الحرب وهل انتهت بانتصار مصر أم إسرائيل. ويأتي كتاب كيسنجر ليعطي الرد النهائي علي هذا الجدل الطويل. "لو لم نكن قد أقمنا الجسر الجوي لكانت إسرائيل قد ماتت بحلول الوقت الحالي" كانت هذه شهادة كيسنجر يوم السابع عشر من أكتوبر أي بعد ثلاثة أيام من البدء في الجسر الجوي الأمريكي بكامل قوته. فذلك الجسر الجوي لم يكن أمرا عاديا أو مسبوقا حتي داخل الإدارة الأمريكية نفسها. فوزارة الدفاع والعسكريون في البنتاجون لم يكونوا يعارضون فقط اقامة الجسر الجوي خشية تأثير ذلك علي العلاقات مع العالم العربي بل كذلك لأنه قد يضر بالمخزون الأمريكي نفسه في إطار التزاماتها العسكرية التي كانت قائمة في ذلك الوقت خصوصا في جنوب شرق آسيا. ولم يكتف كيسنجر بالإصرار علي البدء في جسر جوي فقط ولكنه طلب إقامة جسر بحري كذلك ليحمل آلاف الأطنان من المعدات الثقيلة وليتواصل الجسران حتي بعد أن كان قد أتفق شخصيا مع الرئيس السوفيتي السابق ليونيد بريجينيف علي قرار لوقف إطلاق النار. فكيسنجر لم يكن يريد فقط ضمان تعويض إسرائيل عن كل الخسائر التي لحقت بها في حرب أكتوبر (وهي كثيرة للغاية) بل تزويدها كذلك بمخزون ضخم من الأسلحة لضمان تفوقها وعدم تعرضها لهزيمة مماثلة في حالة تجدد القتال. وهذا الإصرار علي استمرار تدفق الأسلحة رغم إصدار مجلس الأمن لثلاث قرارات (٣٣٩ و٣٣٨ و٣٤٠) تدعو لوقف إطلاق النار قام هو شخصيا بصياغتها لم يغضب فقط حلفاء الولايات المتحدة في أوربا بما في ذلك ألمانيا الغربية التي قررت منع السفن الأمريكية المحملة بالدبابات من الإبحار من موانئها بل كذلك المسئولين في وزارة الدفاع الأمريكية الذين بدأوا يسربون للصحف الأمريكية قرب اتخاذ قرار بوقف الجسر الجوي وهو ما أغضب كيسنجر بشدة.

وبجانب دوره المحوري في استمرار تدفق الجسر الجوي والبحري فلقد كانت استراتيجية كيسنجر منذ أن أدرك هزيمة إسرائيل في بداية الحرب هي ضمان استمرار القتال لأطول فترة ممكنة بعد البدء في الجسر الجوي وذلك لكي تتمكن من تعويض خسائرها وتحسين موقفها في أي مفاوضات ستعقب وقف إطلاق النار. وعندما طالب السوفيت بعد نحو أسبوع من اندلاع الحرب بتمرير قرار في مجلس الأمن يدعو لوقف إطلاق النار (وكان الموقف حينذاك لصالح مصر بالتأكيد) كان كيسنجر هو الذي تعمد تعطيله حتي تتمكن إسرائيل من تحسين موقفها العسكري. وفي إطار نفس السياسة القائمة علي كسب الوقت لصالح إسرائيل جاءت مؤامرة كيسنجر الكبرى (وهي بالفعل مؤامرة) بإعطائه الضوء الأخضر لرئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير لمواصلة الهجوم علي الجيش الثالث وتوسيع الثغرة التي نجحوا في فتحها علي الضفة الشرقية للقناة بعد صدور قرار رسمي بوقف إطلاق النار يوم ٢٢ أكتوبر. وعلي مدي خمسة أيام كاملة قامت فيها إسرائيل بمحاصرة الجيش الثالث ومنع حتي الإمدادات الغذائية والمياه والأدوية من الدخول لجنوده وهي الإجراءات التي وصفها وزير الدفاع الأمريكي في ذلك الوقت شليزنجر بأنها كانت إجرامية كان كيسنجر يقاوم بشراسة اتخاذ قرار أمريكي لإلزام إسرائيل فورا بالتوقف عن القتال رغم إدراكه الكامل أنها هي التي كانت تقوم بخرق وقف إطلاق النار أو بوقف الجسر الجوي. ولكن بعد أن أتضح له أنه لم يعد من الممكن مقاومة هذه الضغوط الداخلية والدولية والتي تضمنت تهديدا من السوفيت باتخاذ إجراءات منفردة اضطر كيسنجر وبصعوبة شديدة أن يبلغ مائير أنه لم يعد يوجد أمامها بديل سوي التخفيف من حصار الجيش الثالث والالتزام بوقف إطلاق النار.

كيسنجر الموالي لإسرائيل والذي كان يري في هزيمتها هزيمة للولايات المتحدة نفسها يصعب عليه بالطبع الإقرار صراحة بانتصار مصر في تلك الحرب بل أنه في حديثه مع مائير في ٢٢ أكتوبر يستغرب معها تصميم السادات علي أنه حقق انتصارا. ولكن الحقيقة مرة أخري تكشفها مكالمات كيسنجر نفسه والتي أوردها في كتابه. ففي مكالمة أجراها مع الرئيس نيكسون قبل قيامه بالاجتماع مع أربعة وزراء خارجية عرب يوم ١٧ أكتوبر أقر كيسنجر بأن "الوضع قد تغير استراتيجيا" بعد الحرب "ولم يعد بإمكان دولة واحدة ادعاء التفوق في المنطقة". عندها يرد نيكسون: "بمعني آخر وبشكل أساسي إن إسرائيل لم يكن بإمكانها ادعاء التفوق. "كيسنجر المؤمن بإسرائيل والذي أدهشته الصراحة المباشرة في رد نيكسون قال: "صحيح وإن كنت لا أنصح صياغة الأمر بهذه الطريقة" وذلك لكي لا يشعر العرب بالنشوة من النصر الذي تحقق. وحتي في تبريره لرفض إسرائيل الالتزام بوقف إطلاق النار ومواصلة هجومها علي الجيش الثالث يقول كيسنجر أنه كان يتفهم مدي شعور الإسرائيليين بالغضب مما لحق بهم من إهانة في بداية الحرب وبالتالي تحكمت فيهم رغبة في الانتقام من مصر ولكن هذا الإصرار كان من شأنه التهديد بمواجهة نووية مع الاتحاد السوفيتي. وعند هذه النقطة يتذكر كيسنجر آسفا أن وظيفته الأساسية كانت وزير خارجية الولايات المتحدة وليس طبيبا نفسيا لإسرائيل واضطر إلي مطالبة مائير بوقف القتال.

الانتصار الذي حققته مصر كان في كسر غرور إسرائيل وشعورها بالمناعة وعدم قدرة العرب جميعا علي المس بها. ولولا هذه الحرب وهذه الهزيمة التي لحقت بها لما كانت قد تقدمت خطوة واحدة ولو لمجرد التفكير في الانسحاب من الأراضي العربية التي احتلتها عام ١٩٦٧. فالسادات وكافة القادة العسكريين المصريين خططوا ليس لتحرير سيناء بالكامل عن طريق الحرب لأننا ببساطة لم نكن نملك الإمكانيات أو الأسلحة اللازمة للقيام بذلك. ولكن الهدف كان تحريك الموقف وتحقيق أكبر قدر من المكاسب بعد تحطيم أسطورة إسرائيل التي لا تقهر. ومن هذا المنطق فلقد حقق السادات غرضه الأساسي. أما تطورات الحرب اللاحقة بما في ذلك تمكن إسرائيل من العبور إلي الضفة الشرقية للقناة ومحاصرة الجيش الثالث فلقد أضحت تفاصيل معركة حربية كان السادات يدرك جيدا أن ظروف الحرب الباردة ستؤدي إلي وقفها والخروج منها بموقف أفضل مما كان عليه الحال قبل ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وهو ما حدث بالفعل. وبعد أن كان كيسنجر يصر في بداية الحرب علي ضرورة عودة القوات المصرية إلي مواقعها قبل بدء القتال فلقد أقر مع نهاية الحرب أن هذا المطلب سخيف وأن مصر والسادات لن يقوما أبدا بالانسحاب ولو من سنتيمتر واحد من أراض مصرية نجح الجنود المصريون البواسل في تحريرها. وفي مواجهة رغبة إسرائيل الدموية لتحطيم الجيش الثالث أخبر كيسنجر الإسرائيليين صراحة أن السادات لن يوافق أبدا علي استسلام جنوده وأنهم سيواصلون القتال رغم كل الظروف. كما ذكرهم بأنه من غير المعقول الموافقة علي مواصلة إسرائيل الهجوم علي الجنود المصريين بعد الاتفاق علي وقف إطلاق النار. وفي كلا الموقفين كانت مصر تحظي بتأييد رأي عام عالمي كاسح بما في ذلك في أوروبا

وحتي داخل بعض قطاعات الإدارة الأمريكية. أما ادعاءات إسرائيل بأن قواتها كانت علي بعد عشرات الكيلومترات من القاهرة أو دمشق فقد يكون ذلك صحيحا. ولكن الإسرائيليين الذين آلمتهم هزيمتهم كانوا يدركون جيدا أنهم لم يكونوا قادرين علي الإقدام علي الاقتراب من هذه العواصم الأبية ليس فقط لعدم إمكان هذه الدولة الصغيرة السيطرة علي شعوب لو تقدموا نحوها لأكلوهم أحياء ولكن أيضا لأن إقدام إسرائيل علي هذه الخطوة كان سيعني ببساطة حربا نووية بين الولايات المتحدة والسوفيت. ولم يكن السوفيت وحتي الولايات المتحدة نفسها ليسمحا لإسرائيل باحتلال المزيد من الأراضي العربية في إطار الظروف الدولية التي كانت قائمة في ذلك الوقت.

ومثلما كان قرار الحرب هاما وفاصلا فلقد كان قرار الدول العربية النفطية بتخفيض انتاجها تدريجيا وفرض مقاطعة علي الدول التي تساند إسرائيل وعلي رأسها الولايات المتحدة بنفس درجة الأهمية. وللمرة الثانية يستبعد كيسنجر أن يكون لدي العرب الشجاعة لاتخاذ مثل هذا القرار ويدلل علي ذلك بموقف وزير الخارجية السعودي السابق عمر السقاف الذي بدا "لطيفا للغاية" وأشاد بقدراته الشخصية الفائقة بقوله أن من استطاع حل أزمة فيتنام يستطيع بالتأكيد التوصل لتسوية في الشرق الأوسط. ولكن العرب قاموا باستخدام سلاح النفط للمرة الأولي في تاريخهم وكانت النقطة الأساسية هي أن يؤكدوا للعالم أنه لا يجوز الاستهانة بمطالبهم وأنهم سيستخدمون الأسلحة الفاعلة التي يملكونها للضغط من أجل تحقيق أهدافهم. وقد يكون كيسنجر مولعا ومؤمنا بإسرائيل ولكن ليس باستطاعة العالم بأكمله التضحية بمصالحه الحيوية لدعمها في مواقف تخالف قرارات الشرعية الدولية.

السفير الإسرائيلي في واشنطن عندما قدم كيسنجر في حفل تأبين رابين قال إن كتبه تعتبر نصوصا يدرسها الباحثون والمهتمون بالسياسة الخارجية. وكتاب "الأزمة" نص مهم بالفعل لا يكشف فقط عن العديد من الحقائق الهامة المتعلقة بحرب أكتوبر المجيدة ولكنه أيضا مدخل لفهم دهاليز السياسة الأمريكية بكل تعقيداتها (بما في ذلك افتعال أزمات دولية لدرجة رفع حالة الاستعداد النووي للتغطية علي مشاكل داخلية مثل فضيحة وترجيت) ومدي تغلغل ونفوذ "المؤمنين" بإسرائيل سواء في الإدارة أو الكونجرس ودورهم في تحديد سياسة القوة العظمي الوحيدة في العالم الآن نحو الصراع العربي - الإسرائيلي. كما أنه وأخيرا دليل دامغ علي النصر المهم الذي حققته مصر والعرب في هذه الحرب التي جاءت تتويجا لجهد شاق وتخطيط مضني قام به قادة مصر علي مدي ست سنوات ونفذه جنودها البواسل.

انتهي عرض الكتاب